

يونيو 2018

425

الأشياء تنادينا

قصص

تأليف: خوان خوسيه ميّاس

ترجمة: أحمد عبداللطيف

مراجعة: د. محمد النصار



الأشياء تنادينا

قصص



الأشياء تنادينا

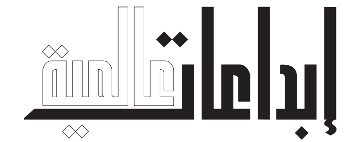
قصص



تــــألــــيــــف: خوان خوسيه ميّاس

تــرجــــــمــــة: أحمد عبداللطيف

مــــراجــــعــــة: د. محمد النصار



تصدر كل شهرين عن

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

التنضيد والإخراج والتنفيذ: وحدة الإنتاج

في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

التدقيق اللغوي: وائل أحمد حمزة

www.nccal.gov.kw
ebdaat_alamia@nccal.gov.kw
ebdaat_alamia@yahoo.com

ISBN: 978-99906-0-589-9

الأشياء تنادينا

قصص



LOS OBJETOS NOS LLAMAN

By: Juan Jośe Millás

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2018م

إبداعات عالمية - العدد 425

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(1923 - 1990)

الفهرس

مقدمة المترجم

الواقع ذاته كحدث غرائبي في قصة خوان خوسيه ميّاس

في عـام 1946، ستشـهد مدينـة بالينثيـا الإسـبانية مولـد كاتبها الكبير خـوان خوسـيه ميّـاس، وبعـد سـت سـنوات مـن هـذا التاريـخ سـينتقل الطفـل، مـع عائلتـه الكبـيرة، إلى مدريـد، وهنـاك سـيبقى للأبـد. عـن هـذه السـنوات القاسـية، حيـث إسـبانيا حديثـة الخـروج مـن حـرب أهليـة دمـرت بناهـا التحتيـة، وأورثـت الفقـر والرعـب لـكل العائـلات، وخلّفـت وراءهـا مـرارة لا يمكـن محوهـا مـن جـوف أطفـال هـذه الفـترة، تلاهـا حكـم ديكتاتـوري عسـكري بعـد انتصـار القوميـين بقيادة الجـنرال فرانكـو، وحيـث الحـرب العالميـة الثانيـة تـدك أوروبـا فتنـشر الـدم والرعـب في جميـع أركانهـا، عـن هـذه السـنوات القاسـية يقـول ميّـاس إن «الـبرد الـذي دخـل في جسـدي لا يمكـن أن يخـرج أبـدا». هذا الـبرد الـذي شـكّل أحـد مفـردات الطفـل، سيشـكّل بعـد ذلـك أحـد مفـردات الكاتـب، حيـث الخـوف والوسـاوس والانكفـاء عـلى الـذات والعزلـة مولّـد لأسـئلة وجوديـة وفلسـفية كبـيرة تنبـع في الأسـاس مـن الأحـداث اليوميـة البسـيطة التـي تبـدو، لبسـاطتها، غـير لافتـة، لكنهـا في واقـع الأمـر هـي الحيـاة نفسـها، كـما يقـول جوزيـه سـاراماجو «لا يمكـن فهـم الأحـداث الكـبرى إلا بفهـم التفاصيـل الصغـيرة». ربمـا لم يلتفـت الطفـل ميّـاس إلى أن عالمـا سرديـا يتشـكّل حولـه بفضـل هـذه القسـوة والعنـف والرعـب، لكـن الشـاب ميّـاس التفـت لذاتـه ونظـر إليهـا بعمـق، فوجـد عالمـا يسـتحق أن يـروى، إذ عـالم الطفولـة لم ينتـه عنـد الطفولـة، بـل صـار، لسـوء الطالـع أو لحسـنه، عـالم الشـاب ذاتـه، وعـالم الرجـل والشـيخ.

ميّاس في سياقة السوسيوثقافي

ربما لم تتأثر إسبانيا بشكل كبير بالحرب العالمية الثانية، وإن كان الرعب عابرا للحدود، إذ كانت كارثتها الداخلية أكبر من أن تسمح لها بأن تلتفت كثيرا إلى خارجها. نشبت الحرب الأهلية عام 1936 حين انقلب الجنرال فرانكو على الحكومة اليسارية الديمقراطية، واستمرت الحرب بعنفها إلى عام 1939، عام انتصر الجنرال والفيلق القومي، بعد كثير من الدماء المهدرة، على الجمهوريين الديمقراطيين، ليؤسس لنظام سلطوي يكتمل به مثلث النازية الهتلرية والفاشية الموسولينية، لتدخل معه إسبانيا في نفق مظلم، وتنعزل عن أوروبا والعالم، وتعاني ما تعانيه من فقر ورعب وقمع لن ينجلي إلا بموت الجنرال عام 1975 والاتجاه نحو انتقال ديمقراطي طموح والتصويت على دستور 1978 الديمقراطي. في وسط كل هذا الارتباك السياسي، في وسط الخوف من مجرد الكلام، في وسط الرقابة الحديدية وغياب الأفق، ولد خوان خوسيه ميّاس في مجتمع أقصى ما كان يتوق إليه مثقفوه هو الهجرة غير المشروطة بعد أن باتوا هدفا للمطاردات، وبعد أن غدا القتل وسيلة للسيطرة، حتى لو كان قتلا رمزيا كما حدث للشاعر فيديريكو جارثيا لوركا أثناء الحرب الأهلية نفسها. عاش ميّاس، إذن، ما يقرب من ثلاثين عاما تحت هذا النظام، وعانى، كما عانى مواطنوه، من هذه الحالة السياسية وهذه العزلة. لكنه، على عكس مجايليه من الكُتّاب، بل والسابقين عليه من كُتاب الخمسينيات والستينيات الذين شعروا بواجب أخلاقي في توثيق هذه الأحداث روائيا وقصصيا، والاتجاه نحو أدب واقعي ملتزم لا يخلو أحيانا من المباشرة ويعلو فيه الحس الوطني على الحس

الفني والجمالي، اختار ميّاس أن يسير في طريق منحرف، وأن يصيد من غابة الواقع ما يلزمه فنيا، ليس تخليا عن مجتمعه، بل بحثا عن الجمال وإعادة رؤية الواقع من منظور آخر، منظور ينطلق من تفاصيل الحياة اليومية، ورؤية تسلِّط ضوءها على الفرد لا على الجماعة، إذ المجتمع في نهاية المطاف مجرد أفراد.

ينتمي خوان خوسيه ميّاس جيليا إلى جيل 68، وهو الجيل الذي يضم أهم كُتّاب الأدب الإسباني حاليا: ميّاس، خابيير مارياس، خوان مارسيه، إنريكي بيلا ماتاس، من بين آخرين. ويرتبط اسم الجيل بالتمرد الطلابي الذي انطلق في فرنسا في مايو 68 واستمر لمدة شهرين، واعتبره المحللون والنقاد أكبر موجة تمرد وإضراب عام في تاريخ فرنسا وربما في أوروبا الغربية. رفع التمرد شعارا يساريا في مواجهة "الاستهلاك"، وانضمت إليه مجموعات عمالية ونقابات، وكان له تأثيره الكبير في ميلاد حركة الهيب هوب. هذا التحرك على المستوى السياسي والاجتماعي، كان له بالغ الأثر على كُتّاب هذا الجيل، لكن بدرجات مختلفة ومن زوايا مختلفة. فعام 68 في إسبانيا كان مرحلة بداية انحدار السلطات الفرانكوية، وبداية انخماد لهيب ديكتاتوريته، بعد أن تمت السيطرة التامة وبعد أن تحقق له ما يريد، حدث ذلك مع بداية بزوغ تمرد في الشارع الإسباني لم ير كثيرا من النور، يمكن أن نسميه احتقانا في أعلى درجاته. وجاء عام 75 ليحل الأزمة بموت الجنرال نفسه. حركة 68 (التي يعترض ميّاس نفسه على ارتباطه بها، ويفضّل أن يسموه جيل 70، ويرى أن النقاد يحاولون استغلال الحدث السياسي الفرنسي لتمهيد الأرض للجيل الأدبي الإسباني) تواكبت مع ظهور ما بعد الحداثية، التي ساءلت الحقيقة وانحازت لنسبيتها،

وتواكبـت مـع كُتّـاب فردانيـين، لا يؤمنـون بالسـؤال الجماعـي ولا بالسرديـات الكـبرى (مزايـا مـا بعـد حداثيـة أخـرى) بقـدر مـا يؤمنـون بالفـرد كـذات، ويسـلطون الضـوء عـلى التحليـل النفـسي والاسـتبطان، أهـم مـا يميـز ميّـاس.

لقـد اسـتغرقت السرديـة الإسـبانية كثـيرا في تفاصيـل الحـرب الأهليـة، وأضاعـت عـلى نفسـها فرصـا كبـيرة مـن التطـور في اتجـاه تكويـن جماليـة خاصـة، وابتعـدت عـن التجريبيـة حتـى باتـت كوثيقـة تاريخيـة مغلقـة، بعـد أن قطعـت مسـافة طويلـة مـن الخـبرة والتوهـج بدايـة مـن ميجيـل دي ثيربانتـس وحتـى ميجيـل دي أونامونـو، ولا نظـن أن السـبب في ذلـك كان الكُتّـاب وحدهـم، إنمـا المؤكـد أنـه السـياق العـام مـن ناشريـن ومتلقـين كانـوا يرغبـون في أن يـروا حياتهـم اليوميـة بمآسـيها وأزماتهـا مسـجّلة في قصـة أو روايـة، وربمـا اسـتجاب الكُتّـاب لمفهـوم السـوق أو لوخـزات الضمـير والالتـزام الاجتماعي. عـلى أي حال، أي كانـت الأسـباب، فمـع الحـرب الأهليـة دخلـت السرديـة الإسـبانية نفقـا مظلـما عـلى المسـتوى الجـمالي، ولإنقاذهـا، كانـت في حاجـة إلى البُعـد عـن التـورط في الواقـع أو رؤيتـه مـن منظـور فـوق واقعـي. مـن هنـا اسـتعادت السرديـة الإسـبانية توهجهـا مـع خيـال خـوان خوسـيه ميّـاس الـذي، للمفارقـة، يمكـن قـراءة أعمالـه في مجملهـا تحـت ضـوء الوثيقـة السوسـيوثقافية. لقـد اسـتطاع ميّـاس أن يطـرح سـؤال الهويـة، الهويـة الإنسـانية أو الإسـبانية، وأن يسـجّل أزمـات الإنسـان المعـاصر عـبر سرديـة شـديدة الشـفافية والرقـة، كأنهـا المـاء، كأنهـا الزجـاج، مـن دون أن يتـورط في الواقـع المعـروف أو ينطلـق مـن نفـس منظـور الكُتّـاب السـابقين عليـه. إنـه كافـكا السرديـة الإسـبانية، لكنـه يمتـاز عن كافـكا بحسـه الفكاهـي وبسـخريته الناصعـة مـن الواقـع والـذات.

حياته وأعماله

لـن يكمـل ميّـاس دراسـته بكليـة الفلسـفة والآداب، إذ كان مضطـرا طـوال حياتـه لأن يعمـل بجانـب الدراسـة، واعتاد عـلى الدراسـة الليلية، ثـم يتخـذ قـرارا بـترك الجامعـة في عامـه الثالـث، ليعتمـد عـلى القـراءة ويبنـي ثقافتـه بنفسـه، وسريعـا مـا ينـشر روايـة أولى بـدا فيهـا تأثـره بالكاتـب الأرجنتينـي خوليـو كورتاثـر، وإن بـدت فيهـا أيضـا أصالتـه ككاتـب يحـاول شـق طريـق مخالـف للروايـة الإسـبانية، سـيتضح بعـد ذلـك أنـه طريـق خـاص جـدا، يمكـن أن نطلـق عليـه «ميّـاسي»، إذ اسـتطاع بدايـة مـن روايتـه الثانيـة، التـي غـدت روايتـه الأولى بعـد أن محـا مـن تاريخـه روايتـه الأولى، «العقـل هـو الظـلال» (1975) أن ينحـت أسـلوبه الخـاص وصوتـه المميـز، وهـو مـا التفـت إليـه النقـاد سريعـا ففـاز بجائـزة «سيسـامو» في الروايـة. أثنـاء ذلـك كان يعمـل إداريـا بشركـة الطـيران الإسـبانية «إيبيريـا»، فبـدأ رويـدا رويـدا يكتـب للصحافـة حتـى قـرر أن يسـتقيل مـن عملـه نهائيـا وأن يكـرس حياتـه للكتابـة والاكتفـاء بكتابـة مقـالات للصحـف فصـار أحـد أبـرز كُتّـاب المقـال بجريـدة «البايـيس» الإسـبانية واسـعة الانتشـار، وذلـك بفضـل أسـلوبه المميـز والسـاحر الـذي لا يفصـل فيـه بـين مـا هـو ذاتي ومـا هـو جمعـي، وتميـزت مقالاتـه بأنهـا تجمـع مـا بـين القصـة والمقـال، حتـى أُطلـق عليهـا "المقـال الأقصوصـة" التـي ينتقـد فيهـا الواقـع والمجتمـع لكـن في إطـار قصـة مؤلفـة.

سـتتوالى أعـمال ميّـاس أثنـاء ذلـك، وتتنـوع مـا بـين القصـة والرواية والمقـال والريبورتـاج الصحـافي، ففـي الروايـة ينـشر «رؤيـة الغريـق» (1977)، «الحديقـة الخاليـة» (1981)، «الورقـة المبلولـة» (1983) والتـي سـتحقق نجاحـا جماهيريـا لافتـا ومعهـا سـتتحقق شـهرته

الجماهيرية الكبيرة، «حرف ميت» (1984)، «فوضى اسمك» (1987) «هكذا كانت العزلة» (1990) والتي ستفوز بجائزة نادال للرواية، «العودة إلى البيت»، وهذه الروايات الثلاث ستجمع بعد ذلك في كتاب واحد بعنوان «ثلاثية العزلة»، «أحمق وميت وابن حرام وغير مرئي» (1995)، «الترتيب الألفبائي» (1998)، «لا تنظر تحت السرير» (1999)، «امرأتان في براغ» (2002)، «المدينة» (2005)، «لاورا وخوليو» (2006)، «العالم» (2007) وستفوز بجائزتين: جائزة بلانيتا المرموقة والجائزة الوطنية في الرواية، «ما أعرفه عن العفاريت» (2010)، «المرأة المهووسة» (2014)، «من الظل» (2016)، «حكايتي الحقيقية» (2017).

أما أعماله القصصية، فثلاثة كتب: «ربيع الحداد وقصص أخرى» (1989)، «قصص زناة تائهين» (2003) و«الأشياء تنادينا» (2008)، بالإضافة إلى متتالية قصصية مونولوجية بعنوان «هي تتخيل وهلاوس أخرى».

سيكون لكتابة المقال نصيبها كذلك في كتب لافتة مثل «جسد وبروستاتا» «مقالات قصصية» «أعداد فردية وزوجية ومعتوهة» «الأحلام تتحقق» «ثمة شيء ليس كما يقولونه لي» «كلها أسئلة» و«ظلال على ظلال». بالإضافة لكتب تضم ريبورتاجات صحافية مثل «عين الكالون» و«حيوات على الحافة» و«ماريا ومرثيدس».

هواجس وأسئلة

يبدو الراوي في كل أعمال ميّاس القصصية والروائية واحدا، هو ذاته، حتى لو اختلف نوعه، راوٍ واحد ينتمي إلى الطبقة الوسطى وغالبا رجل ناضج في منتصف العمر. يتنقل الراوي بين الضمير الأول:

الـذاتي، إلى الضمـير الثالـث: الـراوي العليـم، في هـذه المجموعـة، وإن كان الضمـير الأول هـو السـائد في معظـم أعـمال ميّـاس. اختيـار هـذا الـراوي الـذاتي ليـس بعيـدا عـن مضمـون القصـص نفسـها التـي تنطلـق مـن لحظـة ذاتيـة جـدا ثـم تتسـع لتشـمل معنـى أكـبر، لكنـه إيهـام أيضـا بالصـدق والحقيقيـة، مـا يجعـل القـارئ يتماهـى مـع النـص وإن بـدا غريبـا عـن الواقـع. حميميـة الضمـير أحـد مقومـات السرديـة مـا بعـد الحداثيـة أيضـا، إذ الفـرد المهمّـش يتحـدث بصوتـه، لكنـه ليـس الفـرد المنتـصر أو الأسـطوري أو البطـل، بـل الفـرد المهـزوم والـلا بطـل، وهـي خصائـص شـخصية وسرديـة تبـدو في موقعهـا الطبيعـي مـع الضمـير الأول. هـذا البطـل الميّـاسي، أحـد مخلفـات حربـين عالميـتـين كبيرتـين وحـرب أهليـة، هـو الصـورة المناقضـة للبطـل الحـداثي الـذي ولـد في أوروبـا المنتـصرة علميـا وفلسـفيا، حيـث تحـول فيهـا الإنسـان، بنـاء عـلى هـذه الفلسـفة، لمركـز الكـون، غـير أن أحـداث النصـف الأول مـن القـرن العشريـن كانـت كافيـة لتراجـع الفلسـفة الأوروبيـة نفسـها لتضع الإنسـان في موقعـه الطبيعـي ككائـن ضعيـف، لا يسـتطيع حتـى الدفـاع عـن نفسـه. مـن هنـا كان ميـلاد تيـار مـا بعـد الحداثـة في النصـف الثـاني مـن القـرن العشريـن، مـع الناقـد المـصري إيهـاب حسـن وليوتـار وميشـيل فوكـو وجـاك دريـدا، مـن بـين أسـماء أخـرى كثـيرة، وكان تدشـينه في السـبعينيات رغـم أن تجلياتـه الأدبيـة ظهـرت مـن قبـل مـع خورخـي لويـس بورخـس وتيـار الواقعيـة السـحرية، وهـو التيـار الـذي انتـصر للميتافيزيقـي والغيبـي والمجهـول، وطـرح مـن جديـد أسـئلة خاصـة بمـا وراء العـالم والمـرئي، وهـي أسـئلة تجاهلتهـا الحداثـة واستسـهلت الإجابـة عنهـا بالنفـي. بالطبـع كان للحداثـة الأوروبيـة مزاياهـا الكـبرى، وفتحـت مجـالا كبـيرا للعلـم والتفكـير، لكنهـا لم تقـدم مـا كان ينتظـره الإنسـان من

أجوبة على أسئلته الوجودية، ولم تستطع أن تنقذ أوروبا من الحرب العالمية الأولى ولا الثانية، ولا استطاعت حقن الدماء التي أهدرت لملايين البشر. ميّاس، إذن، ينتمي أدبيا لتيار التشكك في الحداثة، تيار الإيمان بضعف الإنسان وهزيمته في الواقع، تيار الوساوس والهواجس والأسئلة حول اللاوعي والوجودي، واختار أن يعبّر عن نفسه بالابتعاد عن الواقع قليلا ليقرأه من نافذة الغرائبية، فكان الاستبطان والتحليل النفسي معولين له، وكان الخيال الجامح عمودا رئيسيا في أدبه. غير أن ميّاس، على عكس كُتّاب آخرين كتبوا في نفس التيار، اختار أن ينطلق من الواقع اليومي، من هذه التفاصيل المكررة لحدّ أننا لا ننتبه إليها، فبات كل حدث قابلا للتحول لقصة، وليست قصة اعتيادية، إنما قصة خلّاقة، تحمل الكثير من المعاني خلفها، والمعنى هو ما يطمح إليه الأدب، إذ المعنى هو الجوهر، هو الوصول لمعرفة إنسانية، هو تصور كينونتنا كبشر، هو بلورة لخبرة ما، حتى لو لم يكن المعنى جوابا لسؤال، حتى لو كان محض باب يفتح أسئلة أخرى، هذا أيضا من خصائص ما بعد الحداثة، إذ الإنسان الفرد المهزوم لا يعرف أجوبة. من جانب آخر، يبدو الانشغال بالوصول إلى معنى واضح في الثيمات التي يختارها ميّاس، وهي ثيمات يضعها في إطار شكل يحمل الكثير من التجديد، فالكاتب الإسباني «مايسترو» في التكنيك، كما يبدو في رواياته «من الظل» و«أحمق وميت وابن حرام وغير مرئي» و«المرأة المهووسة»، ففي الأول يتناول قصة رجل أربعيني دخل في خزانة ملابس قديمة معروضة للبيع، ليجد نفسه في بيت عائلة، فيظل يراقبها من داخل الخزانة عبر السمع، ومن مكانه يمر بتجربة صوفية ثرية، وفي الثانية يوجه نقدا للمجتمع الإسباني من خلال بطله الذي كان مديرا للموارد البشرية بإحدى

الـشركات الكـبرى الحكوميـة، فيمـر أيضـا، عقـب طـرده مـن العمـل، بتجربـة إنسـانية مذهلـة يقلّـب فيهـا حياتـه مـن الطفولـة ليكتشـف أن مـا وصـل إليـه مـا كان ليصـل إليـه لـولا أنـه اجتمعـت فيـه الصفـات الموجـودة في عنـوان العمـل ذاتـه. وفي الثالثـة، «المـرأة المهووسـة» ينطلـق مـن فتـاة تظهـر لهـا كلـمات لا وجـود لهـا في المعجـم، ليتطـور العمـل في إطـار سـؤال جوهـري طرحتـه الفتـاة عـلى الكلمـة الغريبـة: لـو أردتِ أن تدخـلي المعجـم يجـب أن نقُـصَّ منـك بعـض الحـروف. إنهـا لعبـة تشـبه لعبـة الحيـاة نفسـها، حيـث التخـلي والتنـازل أو الحيـاة.

وهنـا، في هــذه المجموعــة، «الأشـياء تنادينـا»، تتجـلى مهـارات ميّـاس العبقريـة في القــدرة عـلى حكايـة قصـة في عـدد قليـل مـن الصفحـات، وبسلاسـة لا نظـير لهـا، وبلغـة سـيّالة، فتفتـح القصـة أفقـا يمكـن مـن خلالـه مشـاهدة أنفسـنا، وطـرح أسـئلة عليهـا. وكعـادة ميّـاس في أعـمال أخـرى، تسـيطر أسـئلة المـوت والوحـدة والهويـة عـلى كل سرديـة، وكأن الشـخصيات عـلى تنوعهـا تعـاني مـن نفـس الأزمـة.

«الأشـياء تنادينـا» في نهايـة المطـاف، هـي نحـن، هـي كل واحـد فينـا، إنهـا مجموعـة قصصيـة تسـائل إنسـان اليـوم، وتعكـس حيرتـه ووساوسـه، وتضعـه أمـام مـرآة، وهـي إذ تفعـل ذلـك تتعمـق في ذواتنـا بينـما تفتـح نافـذة عـلى معرفـة العـالم. في كثـير مـن القصـص، سـيجد القـارئ العـربي نفسـه هنـاك، فرغـم أن الكاتـب إسـباني ومـن ثقافـة أخـرى، إلا أن أسـئلته هـي الأسـئلة الإنسـانية الرحبـة، أسـئلة قـادرة عـلى رؤيـة بـؤس الإنسـان وتسـعى لفهمـه.

أحمد عبداللطيف
مدريد 2018

الأصول

LOS ORÍGINES

الميتة
LA MUERTA

ذات يوم، أشار زميل مدرسة إلى امرأة وقال لي:

- انظر إليها، إنها ميتة.

كان يبدو لي مستحيلا أن تتحرك امرأة ميتة بهذه الطبيعية بين الناس. وبالفعل، كنت أعرف أنها أكذوبة، غير أنه بدا لي مثيرا أن أصدّقها، وهكذا اتبعتُ صديقي في اللعبة، بينما يؤكد لي أن لديه قدرة تمييز امرأة ميتة بين آلاف النساء الحيات.

- لكن بماذا تميزها؟

- لا شيء محدد، وكل شيء في نفس الوقت. إن ركّزت، تسير الميتات محاطات بشيء كفقاعة من حوائط غير مرئية. حين تتمتع بقدرة الشعور بهذه الفقاعة، ستتعلم تمييزهن.

بعد هذا الحوار بأيام قليلة، كنت أركل بقدمي أحجار شارعي حين رأيت امرأة داخل فقاعة. لا بد أني أنا من صنعتُ الفقاعة، لكن المرأة كانت واقعية بالكامل. سرت وراءها في الخفاء حتى شارع «لا أبينيدا دي أميركا»[1]، ثم شارع «فرانثيسكو سيلبيلا»[2]، ثم وصلتْ إلى محل حدادة ودخلتْه لتخرج بعد قليل معلقة في

(1) أحد الشوارع المهمة في مدريد، ويعني جادة الأمريكيات.

(2) شخصية سياسية إسبانية.

ذراع رجل طويل جدا وله شارب مثل شارب كلارك جيبيل[3]. كان الرجل حيا، بالطبع، ولم يكن يعامل المرأة كجثة. على العكس، كان يقترب من جسدها كلما سنحت الفرصة، وكان ينقل حائط الفقاعة ناحية الجانب الآخر، ثم يقبّلها في رقبتها من خلال غشاء يبدو أنه لم يكشفه. دخلا معا في حانة مطلة على شارع «ميخيكو»[4] وتناول كل منهما شطيرة كالماري واحدا. وعندما كانت تمد ذراعها لتأخذ من البار كوب البيرة، كانت تسحب يدها من الفقاعة من دون أن تخدشها، مثل أشياء أخرى لديها القدرة على التسلل إلى فقاعة صابونية.

وبدأت أركّز انتباهي في الرجل. كان يبدو نمطا لشخص دنيوي، كنت أتطلع أنا إلى أن أكونه في ذاك الوقت. وكنت أفكّر بسذاجة أنه رجل من الطبقة العليا، ولابد أنه يتحرك بنفس الطبيعية بين الموتى والأحياء. هذا الرجل كان يتصرّف برشاقة مذهلة وكان يعرف في أي لحظة يجب أن يزرر أو يفك زر الجاكيت ومتى يمرر إصبع السبابة على طرف شاربه، كما يعرف التقاط فتات الخبز كأنه يلتقط فكرة. وعند خروجهما من الحانة، عانق خصرها وشدها ناحيته بعنف، حتى إنه لم ينتبه إلى الفقاعة. حينئذ، انصرفتُ عن مطاردتهما ولديّ فكرة رومانسية بأن الحب يكمن في إنقاذ الآخر من الموت، وقررتُ أن أنتظر فرصتي.

بعد شهور قليلة، جاءت إلى الحي فتاة جديدة، وكانت محاطة بفقاعة. كانت صغيرة جدا على الموت، لكنني استشرتُ صديقي فأخبرني بأن الموتى من كل الأعمار.

---

(3) ممثل أمريكي حائز على جائزة الأوسكار.

(4) تعني المكسيس: وهي طريقة النطق باللغة الإسبانية.

- لديّ ابنة عم عمرها ثلاثة أسابيع وميتة أيضا.

- وماذا يقول أبواها؟

- لا يعرفان ذلك. أغلب الناس لا يرون الفقاعة.

عشقتُ الفتاة كمجنون، وحين استطعت ادّخار المال الكافي، دعوتها إلى تناول وجبة في حانة شارع فرانثيسكو سيلبيلا المطلة على شارع ميخيكو. ثم حاولتُ الاقتراب منها لأنقذها من الفقاعة، لكنها لم تستجب لي. وفي اليوم التالي، حين مررتُ بالقرب من مجموعة تقف معها، لاحظتُ أنها تشير إليّ بلمحة سخرية. كانت تتباهى بأنها سلبتني الوجبة، وكان ذلك ثروة بالنسبة إلينا. حينئذ، ورغم خجلي، اقتربتُ من المجموعة وصوبتُ إصبعي إلى صدرها وقلت لها:

- أنتِ ميتة. لا تظني أني لا أعرف.

فابتعدتْ كل صديقاتها قليلا، كأنهن يخفن العدوى، ومنذ ذلك الحين غدت تجر حياتها وحيدة، وأنا لم أحاول أن أخفّف عنها، رغم أنها ظلت تتوسل إليّ بعينيها. ثم تزوجتْ من رجل ميت من الجوع وباتت ترافقه في قداسات الموتى كل أسبوع. بقيتْ في الحي، وكلما ذهبت إلى هناك لزيارة أبويّ، كانت تتصنع المصادفة لأحررها من الفقاعة التي لا تزال مقيدة بداخلها. لكني الآن، حتى لو تمنيتُ، فلن أستطيع تحريرها، لأني أنا نفسي غدوت مسجونا على مدار كل هذه السنوات داخل غشاء شفاف ومرن لا يمكن أن ينقذني منه إلا امرأة حية.

ولا أزال أعزب
CONTINÚO SOLTERO

ذات مـرة، اصطحبنـي أحـد زمـلائي بالمدرسـة إلى واجهـة محـل ملابـس كان يقـع بالشـارع الرئيـسي لحينـا، وطلـب منـي أن أحـدّق في واحـدة مـن المانيكانـات التـي قـد رآهـا مـن قبـل، إذ بالإضافـة لتمثيلها امـرأة شـقراء، كان عـلى وجههـا انطبـاع مختلـف عـن بقيـة عرائـس الواجهـة.

- ماذا يحدث؟ قلت وأنا أتصنع اللامبالاة.

- ركّز جيدا -ألح هو- ألا تلاحظ شيئا فيها؟

- كلا.

أشـار صديقـي حينئـذ إلى فسـتان هـذه المانيـكان لأرى تحـت إبطيهـا بقعتـين صغيرتـين، كأنهـا تتعـرق.

كان حقيقة، لكنني أرجعت ذلك إلى غرابة في نسيج الفستان.

- إنهـا المانيـكان الوحيـدة المبقّعـة -برهـن- بالإضافـة لذلـك، فمنـذ زمـن وأنـا أتأملهـا ويحـدث لهـا ذلـك مـع كل الملابـس التـي يُلبسـونها إياهـا.

عـدتُ إلى البيـت مرتبـكا، وفي تلـك الليلـة حلمـتُ بكوابيـس حسـية. وفي اليـوم التـالي، حـين رحـتُ إلى المدرسـة، مـررتُ مـن أمـام

المحل ورأيتهم قد غيّروا فستان المانيكان للتو. الآن كانت ترتدي بلوزة بيضاء نظيفة تماما. ومع ذلك، عند العودة من المدرسة، ظهرت دائرتا العرق الملفتتان.

قضيتُ أنا وصديقي كل ساعات الفراغ أمام المانيكان، كنا مريضين برغبة حسية، وربما بالحب أيضا: أين الحد الفاصل بينهما؟ وفي هذياني، كان يبدو لي أن المرأة المصنوعة من الكرتون والحجر كانت تنظر إليّ كأنها تترجاني لأنقذها من حالتها هذه وأن أحوّلها إلى امرأة واقعية. لكن كيف أفعل ذلك إن كنت أنا وهي نعيش في بعدين مختلفين.

كان أبي يعرف صاحب المحل، فطلبتُ منه توصية لأعمل معهم في أيام أعياد الميلاد حيث يزداد ضغط العمل. وبدا حسنا للمالك أن يكون لديه صبي لفعل كل شيء، وفي اليوم الأول من الإجازة بدأتُ العمل وكنستُ الأرضية وقمتُ بكل المهام، بينما كنتُ أراقب المانيكان الشقراء.

بعد يومين أو ثلاثة، وصلتْ إلى المحل فساتين وقفة العيد الفانتازية. وفي تلك الليلة، بقي كل العاملين في المحل بعد إغلاقه لتغيير الواجهات وتعليق الزينة. وسلّموني المانيكان التي كانت تعرق وأمروني بأن ألبسها فستانا أسود، عاري الكتفين جدا، وعقدا من اللؤلؤ غير الحقيقي وحذاء بكعب إبرة.

- لا تتجاوز معها. قال لي رئيسي ضاحكا، كأنه انتبه إلى شغفي بها.

حين صارت المانيكان بين ذراعيّ وحملتها إلى خلف الواجهة لأجرّدها من ملابسها، كان قلبي على وشك أن يقف. لم تكن لي أي تجربة جنسية، غير أن إمكانية أن أقلع وألبّس تلك المرأة التي

تعرق، حتى لو كانت امرأة مزيفة، بدت لي أفضل من أي لقاء مع فتاة واقعية. لم أكن أعرف كيف أتصرف لأداري ارتباكي. ولحسن الطالع، كان جو العمل مضغوطا ولم يكن أحد يلاحظ الآخر. ثمة شيء واحد كان يعكّر متعتي، فحين كنت أسحب المانيكان من الواجهة لألبسها فستان العيد، بدا لي أني رأيت صديقي على الجانب الآخر يراقب من الظلام وبحسرة حركاتي أنا والمانيكان.

عندما كنت أنا والمرأة الكرتونية وجها لوجه، في غرفة حقيرة في خلفية الواجه، جردتها، بحنجرة جافة، من سترتها التي كانت ترتديها وتحققتُ بالفعل من أن إبطيها كانا مبلولين. أنا أيضا كنت أتعرق في تلك اللحظة، من دون أن أتمكن من علاج ذلك. وكان ثمة عاملان آخران في ظهري، يجهّزان الزينة والزينة المعلقة، غير أن أيا منهما لم ينتبه إليّ. لكن المانيكان، نعم. المانيكان نظرت إليّ بابتسامة محمّلة بنية ما.

كانت أجمل أعياد الميلاد في حياتي وحتى اليوم، كلما فكّرت في ذلك، ليس بوسعي أن أتخيل إثارة أروع من تلك التي تلقيتها من عروسة تعرق.

ثم عدتُ إلى المدرسة بانتهاء الإجازة، ولم يسألني صديقي إلا عن المانيكان، غير أني كنت أتظاهر بالتجاهل، كأن حدث رؤيتي لها عن قرب أفقدني الشغف.

- لا تعرق. (كذبتُ)

- وبقعة الفساتين؟

- لا أعرف، لكني أؤكد لك أنها لا تعرق.

ولم نتحدث عنها مرة أخرى. وذات يوم اختفت المانيكان من المحل ومن حياتنا، وكلما كبرنا كانت الفانتازيا تتضاءل في حواراتنا.

وخلال الجامعة، لم ألتق أنا وصديقي، رغم أننا كنا نتصادف أحيانا في الحي ونتناول زجاجة بيرة. وكان يهيأ لي أننا كلما تحدثنا لم يكن ذلك إلا ذريعة حتى لا نتحدث عن المانيكان. وحين تزوج صديقي، دعاني إلى زفافه. وحين اقتربت لأقبّل عروسته، رأيت فيها دائرتي عرق تحت إبطيها. حينئذ رفعتُ عينيّ وتبادلتُ مع صديقي، خلال عُشر ثانية، نظرة قلق. ثم ضغطتُ على يده وتمنيتُ له السعادة.

ولا أزال أعزب.

سيدات ضَخْمات
MUJERES GRANDES

كانـت أمـي تحـب قصـص الأقـزام الذيـن تسـعهم راحـة اليـد. وفي كل عـام، مـع بدايـة الشـتاء، كانـت تخـرج المعاطـف مـن عمـق الخزانـة وتقـول لنـا: «انظـروا جيـدا في الجيـوب، فربمـا يوجـد أقـزام وتؤذونهـم بأيديكـم».

وإذا رأتنـا ندخـل غرفـة مظلمـة، كانـت تطلـب منـا أن نسـير بحـذر حتـى لا نـدوس عليهـم، وفي الصبـاح، قبـل أن ننتعـل أحذيتنـا، كان علينـا أن نتحقـق مـن أنهـا خاليـة منهـم. وذات مـرة أهـدوني قطـا، غـير أن أمـي أقنعتنـي بـأن أعيـده، ليـس لأنهـا لا تحـب القطـط، إنمـا للخطـر الـذي تمثلـه القطـط عليهـم. لم أر أيـا منهـم في حيـاتي، لكنـي كنـت أعيـش مهووسـا بهـم، وخـلال الإفطـار تعـودت أن أتـرك لهـم، في فـراغ تحـت مائـدة السـفرة، بسـكويتتين تختفيـان في سـاعة العشـاء. ربمـا كانـت أمـي ترميهـما سرا، وربمـا كانـت تأكلهـما لتغـذي العفاريـت التـي تسـكن في رأسـها.

ثمـة فـرع في الأدب عـن الأقـزام. إنهـم أنـاس ميزتهـم الوحيـدة أن الكشـتبان يسـعهم. لقـد كان لي خيـالات كثـيرة معهـم، كنـت فيهـا متأثـرا بالطبـع بأمـي وبقـراءتي لــ جيلفـير[5]. ولأني كنـت طفـلا منعـزلا،

(5) عمل أدبي يهتم بعالم الأقزام.

كان الأقـزام المتخيلـون يملـؤون فـراغ العلاقـات الشـخصية. وأحيانـا، حـين كنـت أفتـح درجـا، كنـت أحـاول أن أفـزع واحـدا مـن هـؤلاء العفاريـت المختبئـين خلـف بكـرة خيـط. وفي الحـمّام، لم أكـن أرفـع غطـاء التواليـت أبـدا حتـى أتأكـد مـن أن عفريتـا لا يطفـو عـلى وجـه المـاء.

أعتقـد أنهـم لم يكـن لهـم ملمـح شـخصي محـدد. لم يكونـوا لا أشرارا ولا طيبـين، لا مجانـين ولا رصينـين، لا جهـلاء ولا حكـماء. نحـن نعـرف صفـات الحوريـات الأخلاقيـة، وصفـات السـاحرات، غـير أن عفاريـت أمـي كانـوا يفتقـرون للتقييـم الأخلاقـي. كانـوا، ببسـاطة، مجـرد عفاريـت. وكان ذلـك، رغـم أنـه في كِـبري يثـير فيّ حـيرة مـا، إلا أنـه كان طبيعيـا في طفولتـي. لـو أنـك كنـت قزمـا، مـا كنـت لتحتـاج إلى أن تكـون شـيئا آخـر. البـشر وحدهـم مـن يحتاجـون إلى أن يكونـوا مهندسـين أو صحافيـين أو محامـين.

في أحيـان كثـيرة أتسـاءل: لمـاذا هـذه الكائنـات تفتقـر إلى نسـختها النسـائية؟ إذ إن أمـي كانـت تتحـدث دائمـا عـن قـزم لا عـن قزمـة، أبدا. وأنـا كنـت أتخيلهـم بقبّعـة مـن الشـعر وربطـة عنـق. كانـوا مدخنين في عمومهـم، ويبـدو أنهـم يتمتعـون بوضـع اقتصـادي مريـح. وذات يـوم سـألت أمـي: لمـاذا لم يتزوجـوا مـن سـيدات بنفـس أحجامهـم؟ فرفعـتْ كتفيهـا كأنهـا لا تعـرف تفسـيرا لذلـك. ثـم لم تسـتطع مقاومـة وسواسـها وأضافـت بملمـح متبـاهٍ: «لأنهـم يغرمـون بالسـيدات الضخمـات».

مُتع التاكسي
LOS PLACERES DEL TAXI

كانـت أمـي مغرمـة بالقصـص المرسـومة وبالأمـراض. وفي السريـر، مكانها الطبيعـي جـدا، كانـت تقـضي يومها وهـي تقـرأ هـذه القصص. غـير أنهـا، بمجـرد أن تشـعر بمجـيء أبي، كانـت تخبّئها تحـت الملاءات وتضع الترمومـتر في فمهـا. لم أفهـم أبـدا إصرارهـا عـلى إثبات أنهـا امرأة تعيسـة، ومنكوبـة، ومريضـة. عـلى أي حـال، أتـاح لي هوسـها بالسريـر أن أمتلـك كل القصـص المرسـومة لتلـك الفـترة. وبجانـب البيـت، كان ثمـة كشـك يمكـن أن نتبـادل معـه القصـص المقـروءة بقصـص أخـرى أقـدم قليـلا. ومـع تبـادل القصـص لأربـع مـرات أو خمـس، كانـت تعـود إلى البيـت بـأوراق مفكوكـة وملطخـة ببقـع القهـوة. حينئـذ كان يجـب الاسـتثمار في القصـص الجديـدة التـي كانـت تتبـع نفـس مسـار القديمـة. وكان قانـون التحـول هـو: الحكايـات قديمـة، كل الحكايـات قديمـة.

وعندمـا لم تكـن في السريـر، كان يـروق لأمـي أن تذهـب إلى المجمعـات التجاريـة بوسـط المدينـة. وكانـت دائمـا تصطحبنـي معهـا. كنـا نذهـب في تاكـسي، لأنهـا كانـت مغرمـة بسـيارات الأجـرة، لكنهـا كانـت تغمـز لي بعينهـا وتطلـب منـي أن أقـول لأبي إننـا ركبنـا البـاص.

والحقيقـة أنهـا حتـى هـذه الطريقـة لم تجعلهـا سـعيدة، إذ كانـت تراقـب طـوال الوقـت وبقلـق هائـل حركـة العـداد. وأتذكـر أنـه كان يتحـرك كل خمـس ثـوانٍ. أنـا الآن أركـب تـكاسٍ كثـيرة، أعتقـد أني أفعـل ذلـك لأمنـح بهجـة مـا لِطيـف أمـي أكـثر مـماً أمنحهـا لنفـسي، فالحـق أني كلـما ركبـت المـترو أو البـاص تخطـر لي دائمـا فكـرة صالحـة لكتابـة مقـال.

وذات يـوم، وبداخـل المـول التجـاري، التقينـا بسـيدة أنيقـة جـدا تغطـي رأسـها بطاقيـة صغـيرة. تبادلتـا التحيـة ببهجـة حـارة وأدركـتُ أنهـما كانتـا زميلتـين في المدرسـة. كان واضحـا أن وضـع صديقـة أمـي الاقتصـادي أكـثر راحـة منـا. وكان واضحـا كذلـك أنهـما يتحاربـان لتثبت كل واحـدة منهـما أن الحيـاة أكرمتهـا أكـثر مـن الأخـرى.

حينئـذ انحـرف انتباهـي إلى مانيـكان امـرأة كان أحـد الباعـة يجرّده مـن ملابسـه تحـت مـرأى مـن العامـة. انفصلـتُ عـن أمـي وصديقتهـا وانجذبـتُ لهـذا العـرض البورنوغـرافي، وعندمـا ابتعـدت قليـلا، وحـين ظنّـتْ ربمـا أني لـن أسـمعها، قالـت أمـي إني ابـن الخادمـة.

كنت سأقسم لك إنه ابنك. قالت صديقتها.

الحقيقة لا. ردت بشيء من الضيق.

عُدنـا إلى البيـت في تاكـسي، وكنـا نراقـب بقلـق حـركات العـداد. كانـت أمـي تنظـر إليّ بنظـرات المذنبـة. وفي البيـت، أعطتنـي مـالا ثـم عانقتنـي وكـررتْ مـا تقولـه دائمـا:

قل لأبيك إننا ذهبا إلى وسط المدينة بالباص.

لغز
UN MISTERIO

مرت أمي بعدة مراحل، مثل بيكاسو، إلا أنها بدلا من الرسم كانت تهوى الانتقال من هنا لهناك. في منتصف الصباح كانت تتوجه إلى السوق. وأحيانا كانت تسمح لي بمرافقتها (ليس دائما، إذ إنها كانت تحب أيضا أن تكون بمفردها، أو هذا ما كانت تقوله). وأنا كنت أقف، مثل أغلب الأطفال، أمام محلات الجزارة، مأخوذا بأجسام الحيوانات المفتوحة في منتصفها قناة. ولأني لم أكن أؤمن بالموت، كنت أفكر أن تلك الأبقار المذبوحة لا تزال تحيا، رغم أنها فقدت وسيلة التعبير عن نفسها لأنهم قد انتزعوا منها أعصابها. اليوم يمكن أن أقول ذلك بكل هدوء وثقة لهؤلاء الأشخاص الذين يشكون مثلما كنت أشك: أبقار محلات الجزارة ميتة، ميتة تماما، ولن تشعر بأي ألم لو قطعوها إلى رِيَش أو حوّلوها إلى لحم مفروم. الخراف أيضا ميتة، وكذلك الأرانب. حتى الجزار نفسه، أحيانا، يكون ميتا. أقول ذلك لأن الجزار بجزارة السوق بحيي كانت له عينان جاحظتان، مثل عيون الأبقار المسلوخة، وكان شاحبا شحوبا يخيف. وعندما رأيت أول فيلم عن الزومبي، أدركت المسألة.

وذات يوم، اشترت أمي من محل الدجاج دجاجة كاملة، بكل أشيائها، وكان كل شيء في مكانه الطبيعي، رغم أنها كانت ميتة تماما. ثم عُدنا إلى البيت وشرع كل منا في الانشغال بما عليه الانشغال به. وفي ساعة الغداء، كنت أنتظر مشاهدة الدجاجة على المائدة، غير أننا بدلا من ذلك أكلنا بيضا مقليا. استغربت لذلك، لكني لم أقل شيئا. فكرتُ أن الدجاجة من أجل العشاء، أو من أجل اليوم التالي. لكن الدجاجة لم تظهر لا على العشاء ولا في اليوم التالي. في تلك الفترة لم يكونوا يجمّدون الأطعمة لأن الثلاجة لم تكن تتمتع بنظام الترموستات، وبالتالي كان من الصعب بمكان تفسير ذلك.

- ماذا حدث للدجاجة يا ماما؟ سألتُ بعد أسبوع أو أسبوعين.

- انس الدجاجة.

- لماذا؟ ألححتُ.

- انسها نعم، لأني أقول ذلك.

ولأني لم أكن طفلا صعبا بأي شكل، أطعتُ ونسيتُ الدجاجة حتى ماتت أمي. في الشرفة، كان ثمة أصائص كبيرة تضم نبات إبرة الراعي، وكانت أمي توليها رعاية كبيرة، وعند تقسيم البيت قلتُ لإخوتي أريد أن أحتفظ بالأصائص، ففرّغتُها ونقلتُها إلى بيتي، وحتى وهي بلا طين كانت ثقيلة بزيادة.

عند تفريغها، عثرت على بقايا عظمية لدجاجة، كانت بكل جلاء قد دُفنت هنا مثل سنوات طوال. لماذا فعلتْ أمي ذلك مع هذا الطائر؟ لن أعرف السبب أبدا. فالآباء، حين يرحلون، يورّثوننا ألغازا أكثر من الثروات.

زيت خروع وتصوُّف
ACEITE DE RICINO Y MISTICA

كانت أمي تهتم بشكل كبير بحالة اللسان. وفي الصباح، كانت ترصنا في صف لنعرض لها لساننا واحدا وراء الآخر. ثم كانت تقرر من منا يحتاج إلى تناول زيت خروع ومن لا يحتاج. كان لزيت الخروع طعم مقزز، رغم أن أخي أنطونيو -وكان غريبا جدا- يروق له على ما يبدو. وأحيانا كان يتناول سرا زيتي وزيت أختي إلبيرا.

- كيف يمكن أن يروق لك؟ كنت أسأله.

- لا يروق لي، إنما أعوّد نفسي قليلا قليلا على الأشياء التي لا تروق لي.

بعد سنوات، لاحظت متفاجئا أن طريقة أخي لمواجهة الواقع تظهر في الكتب الورقية باسم التصوف. فالمتصوف يبحث عن الخير عبورا بالشر، أو يتألم ليبلغ السكينة، كما تفضلون حضراتكم. لقد كان أخي متصوفا من دون أن يسمع قط هذه الكلمة الملفتة. وفي بعض الأيام كان يلوّث لسانه بإرادته بقليل من الحبر حتى تعطيه نسبة مضاعفة من الجرعة. وكان يؤكد أنه يشعر بالطمأنينة حين يبدأ اليوم بعقاب غير مستحق. وكان يتنبأ بأن المستقبل سيكون مترعا بأشياء غير مستحقة، وسنضطر في كل الأحوال إلى أن نبلعها،

ولم يكن مخطئا. وأنا من عانيت أقل منه، أو ربما كنت أكثر اتباعا للتصوف الذي يكمن في أن الخير سيأتيك مجانا، بمعنى أنه قادم قادم، كنت أغسل لساني بطرف منشفة بعد أن أبللها بقليل من الصابون.

أحتفظ منذ ذلك الحين بعادة النظر إلى لساني في المرآة حين أستيقظ. ليست عادة غريبة جدا؛ تفعلها شخصيات كثيرة في الأفلام. ما لا أعرفه هو ما إن كنا جميعا نبحث عن نفس الشيء. ربما في اللسان، كما في خطوط اليد، يمكن قراءة المستقبل، أو على الأقل الماضي القريب. الليالي التي أحلم فيها بكوابيس، بالفعل، أصحو بلسان قذر. حينها أذهب للمطبخ ولا أتناول ملعقة واحدة، بل اثنتين، من زيت الخروع، واحدة لي وواحدة لأخي أنطونيو الذي مات في الربيع الماضي. لم يعد يثير فيّ تقززا كثيرا. بل إنه يروق لي قليلا. ورغم أني لم أستطع التعود كلية على الأشياء التي لا تروق لي، إلا أني توصلت لنوع من التسامح الملفت معها. ومع مرور السنين، ومع إدراكي أن التصوف منتج خيالي، بتُّ صوفيا. وكل يوم، أعثر على ألم صغير أعاقب به لساني. ولا أفعل ذلك من أجل التدين ولا من أجل جوع العالم، بل أفعله من أجل الماضي الذي ما زلت أحتفظ به بإخلاص مريض.

نفس العبارة
LA MISMA FRASE

كان لـدى أمـي دميـة روسـية أحضرهـا لهـا أبي مـن باريـس. وكان إخـوتي يصيبهـم الجنـون كلـما فتحوهـا ورأوا بداخلهـا دميـة أخـرى شـبيهة بهـا. كانـوا يعتقـدون أنهـا سـقف الغرابـة. وأنـا، الأكـثر سـذاجة، كنـت أعتقـد أن الإنسـان مركّـب بنفـس الطريقـة. هكـذا، كان داخـل مـدرس الرياضيـات ثمـة مـدرس رياضيـات آخـر أصغـر منـه قليـلا، وآخر وثالـث ورابـع. حينهـا، كان لي زميـل أعـرج، اسـمه أنطونيـو، وكان يقـع عـدة مـرات مـن درجـات السـلم. وأنـا كنـت أنتظـر أن يتحطـم ليخـرج مـن داخلـه جيـش صغـير كلـه أنطونيـو ويعـرج في حـرم المدرسـة. ورغـم أنهـم بعـد ذلـك، في مـادة العلـوم الطبيعيـة، قالـوا لي إننـا مـن الداخـل مصنوعـون بطريقـة أخـرى، إلا أني دائمـا تخيلـت نفـسي مليئـا بـ خوانـات خوسـيه بأحجـام صغـيرة تتضـاءل كلـما اقتربـتُ مـن أقـصى أعـماق نفـسي.

وعندمـا كـبرت، حاولـت أن أفهـم عنـد دراسـة «التـذوق الأدبي» الاختلافـات بـين الشـكل والمضمـون، تذكـرت كثـيرا الدميـة الروسـية، وأدركـت أنـه مـا مـن مضمـون أكـثر فاعليـة مـن الشـكل نفسـه، لكنـي عجـزت عـن صياغـة هـذه الفكـرة في شـكل أدبي. حتـى لـو عرفـت،

بلاغيا على الأقل، أن في العمق ثمة شكلا، فأنا أرتبط بالعالم كأنه شيئان مختلفان. لذلك، كلما رأيت على رفوفِ محلٍ دمية روسية، أفتحها وأواصل فتحها حتى النهاية، على أمل أن أَعثر في داخلها على شيء مختلف عن الدمية ذاتها. لكنه لم يظهر أبدا. وربما في ذلك يكمن سرها، إذ لا نعرف أحدا يعبر أمام هذه العرائس إلا ولفتت انتباهه، رغم أن فتحها لا يعدنا بأي احتمالية لمنح مفاجأة ما.

كانت دمية أمي الروسية فوق تسريحة غرفتها. وأحيانا، عندما كنت أختبئ تحت السرير، كنت أرى كيف تفتح وتغلق هذه اللعبة السوفييتية القادمة من باريس. كانت أمي تمنحني شعورا بأنها تبحث داخل الدمية عن شيء لم تعثر عليه داخل نفسها. ودائما ما كانت تتركها بإيماءة خيبة أمل لتدعك رموشها. لكنني أعتقد أنها خيبة أمل إيجابية. الفكاهة، بحسب برجسون[6]، نوع من الانتظار خائب الأمل. والدمى الروسية تخبئ في داخلها نظاما فلسفيا يثير شعورا مشابها. والمرء يشك في أن الحياة، كينونة الشيء، ليست إلا تتابع نفس الشيء داخل نفس الشيء. لقد فهمت ذلك وأنا صغير، وأنا أمام حيرة إخوتي وأمي، ثم نسيت هذا الفهم وأنا كبير. وكل ذلك حدث لأني لم أستطع أن أكتب عبارة تحتوي بداخلها نفس العبارة التي تحتوي بداخلها نفس العبارة ونفس العبارة..

(6) فيلسوف فرنسي: هنري برجسون حائز على نوبل.

تجهيز المنتجات
ELABORACION DE PRODUCTOS

لم تكن أمي قادرة على حل أي مشكلة ما لم تحوّلها أولا إلى دراما. وبنفس طريقة الرياضي الذي لا يفهم الواقع حتى يحوّله إلى معادلة، لم تكن هي تفهم أي معضلة منزلية إن لم تحوّلها إلى كارثة. نحن، ككائنات بشرية، غرباء هكذا؛ نحتاج إلى تجهيز المواد الخام -سواء كانت بطاطس أو زئبقا- لنجعلها صالحة للاستخدام النهائي. لا نفهم الذهب، على سبيل المثال، حتى نحوّله إلى قلادة. قد نستطيع التمتع به بحالته في الطبيعة، لكن لا؛ نحتاج إلى أن نستخرجه من الأرض الصلبة، وأن نصهره، وأن نقولبه ونعرضه للبيع. وحينئذ نقول: «مبهر، يا لجمال الذهب».

تحويل السردين إلى سردين معلب تغير إيجابي في هذا الاتجاه. وكانت المادة الخام التي تشيد بها أمي حدثها الدرامي هو المشكلات المنزلية اليومية الصغيرة. مثلا، نفدت أنبوبة الغاز يوم الإثنين ولن تمر عربة التوزيع حتى الثلاثاء. في البداية، ليست هناك أي تراجيديا، لأن الأطفال يحبون أكل السندوتشات. بل إن في ذلك جانب إيجابي بأننا كنا نكسر الروتين. لكنها كانت تشد شعرها وتروح من هنا لهناك وتنفث عواء يقف له شعرنا.

وإن حـاول أبي أن يهدّئهـا، كانـت توبّخـه بـألا ينشـغل بهـذه الأشـياء، وتؤكـد أنهـا عبـدة لنـا جميعـا، فكنـا نراقبهـا ونحـن نرتجـف.

وبعـد نصـف سـاعة مـن دون أنبوبـة غـاز، كان أبي، يائسـا مـن توبيخـات أمـي وصرخاتهـا، يصفـق البـاب بقـوة أو يهـدد بإلقـاء نفسـه مـن الشرفـة. فيـما تـشرع أختـي الصغـرى في البـكاء، مرتعـدة مـن المشـهد، ويهـدد الجـيران بالاتصـال بشرطـة المجلـس المحـلي إن لم يتوقـف الـصراخ. في تلـك اللحظـة بالـذات، حـين يوشـك العـالم عـلى الانفجـار ونحـن بداخلـه، كانـت أمـي تعـبر الشـارع وفي برهـة تعـود مبتسـمة ابتسـامة انتصـار ومعهـا أنبوبـة اسـتعارتها مـن أختهـا التـي تعيـش في البيـت المواجـه لبيتنـا. ولم يكـن غريبـا أن تلـوم أبي أن فكّـر في الانتحـار لسـبب تافـه مثـل هـذا. «أنـت مجنـون»، كانـت تقـول لـه بينـما تعانـق أختـي الصغـيرة حتـى تتوقـف عـن البـكاء. وأنـا كنـت أنـزل إلى الشـارع مطرقـا، محـاولا تحويـل مـا حـدث إلى منتـج معلّـب، فربمـا بذلـك أسـتطيع فهمـه. غـير أني لم أدركـه حتـى الآن، وكتابـة ذلـك ليـس إلا معالجـة مـادة الواقـع الخـام وتحويلهـا إلى أدب لأجعـل منهـا شـيئا مهضومـا.

أفضل أمسية في حياتي
LA MEJOR TARDE DE MI VIDA

حين تنفد مني الحبوب المهدئة، أزور أمي وأسرق منها في الخفاء قبضة كبسولات. لديها منها من كل الأنواع، وليست حبوبا منوّمة فحسب، بل منوّمات حقيقية، بالإضافة للمهدئات، ومرخيات العضلات ومضادات الالتهابات. لا أعرف كيف تصرف الوصفات الطبية، لكن المؤكد أنها لا ينقصها أي كبسولة لتلقي بها في فمها. وأنا، في المقابل، أضطر إلى تسولها منها لأن كل الأطباء الذين أتقاطع معهم ضد الكيمياء. بعضهم ينصحني بتدريبات تنفسية، وبعضهم ينصحني بالخضراوات، مع أن ما أفادني طوال حياتي لم يكن إلا الحبوب. هكذا اقتربت من بيت أمي بعد الغداء وشرعت في مشاهدة التلفزيون معها حتى نامت. حينها تسحّبت على أطراف أصابعي إلى الحمّام وفتحت الخزانة-المرآة ذات الأبواب الثلاثة حيث تحتفظ بالمخدرات[7]، لكنها كانت خالية.

بعد الصدمة الأولى، أدركتُ أنها قد انتبهتْ إلى أن بعد كل زيارة لها تختفي دستتان أو ثلاث من الكبسولات، لذلك لابد أنها غيّرتْ مكانها. توجهتُ إلى غرفة النوم وبحثتُ في كل أدراج الخزانة،

(7) جميع أنواع الأدوية المخدرة (للأمراض النفسية).

كذلك في كل ثقوب الأدراج، لكني لم أعثر على شيء. وعند عودتي إلى الصالة، فتحتْ أمي عينيها وسألتني:

- هل أنت هنا فعلا أم أنك مجرد كابوس؟

- أنا مجرد كابوس. أجبتها مرتبكا، فغمّضتْ عينيها مرة أخرى.

حينئذ رأيت علبة أقراص فوق منضدة القهوة. كانت تحتوي على ثلاث حبات صغيرة لا أعرف من أجل ماذا، لكني تناولت واحدة زرقاء وبعد قليل اجتاحتني طمأنينة مذهلة تتمخض من الضفيرة الشمسية وتنفتح في شكل مروحة لتشع كميات غير ملفتة من السعادة في اتجاه المخ. لابد أنه قرص منوّم من الجيل الأخير. فمنذ فترة قريبة قرأت في مجلة عن الأدوية أن أقراص المنوّم هذه ليس لها آثار جانبية ولا تسبب الإدمان إلا بقدر ما تسببه البطاطس المقلية.

وبعد أن تمتعتُ للحظات بحالة سلام بوذية، بدأت أنظر حولي محاولا تخمين أين يمكن أن تحتفظ أمي بأدويتها. وبينما كنت أبحث بداخل الماعون، فتحت هي عينيها مرة أخرى وحدّقت فيّ بتأمل، لكنها لم تسألني هذه المرة عن شيء. قالت لنفسها فحسب: «ها هو الكابوس يعود مرة أخرى»، وعادت إلى النوم. بحثتُ في كل فتحات الدرج وعثرتُ على متعة جمة وأنا أتحسس الشُّوَك والسكاكين وأطباق طفولتي الفخّارية. عادة ما تبدو لي هذه الأدوات منفّرة، لكن القرص الأزرق الذي منحني كمية هائلة من السكينة، منحني أيضا نظرة جديدة، نظرة ساذجة. لقد بدت لي ملاعق القهوة وشُوَك المحار أعمالا فنية. في بيتنا لا نأكل المحار عادة (وكنا على وشك ألا نأكل السمك)، لكن أبي، عليه الرحمة، اشترى من «سوق الراسترو»[8] هذه الشُّوَك، أظن ليعتقد نفسه أحدا.

(8) هو سوق يقام كل يوم أحد من الأسبوع (يعادل سوق الجمعة في الكويت).

وخشية أن تستيقظ أمي، كتمتُ صوت التلفزيون قليلا، لكن ذلك تحديدا ما دفعها لتفتح عينيها مرة أخرى، ونظرتْ إليّ بتأمل وسألتني:

- هل أنت أنت أم أخوك؟

لديّ أخ توءم هو المفضّل، بحق، لدى أمي. جاوبتها بأني أخي وانتظرتُ لأرى إن كنت أصبتُ، فأصبتُ تماما، حتى إنها قلبت رأسها للجانب الآخر وبدأت في الشخير. ومع مرور الوقت، كان تأثير القرص الأزرق يتضاعف. انسجام تام بدأ يسود بين أشياء البيت ودقات قلبي، انسجام جعلني أشعر بأن الواقع وأنا نفس الشيء، والفكرة اقتحمتني حتى إني بلغتُ الشك في ما إن كنت أنا أنا أم أنا أخي. وصوت داخلي قال لي إني أنا أنا، وبالتالي يجب أن أواصل بحثي عن الحبوب.

عثرت عليها في النهاية في علبة «كولا كاو»[9] كبيرة في المطبخ. كان ثمة مئات من الحبوب، مختلفة الأحجام والألوان، لكن ولا واحدة زرقاء، ما جعلني أظن أن أمي كانت توزّع الغنيمة في عدة أماكن. أخذتُ قبضة كما أفعل عادة، وبمجرد أن أغلقت العلبة هُيّئ لي أني أسمع احتكاك مفتاح في قلب باب البيت. لا أحد يملك مفتاحا إلا أنا وأخي، فضلا عن أمي، وبالتالي ظننت أنه أخي. اختبأت خلف باب المطبخ وسمعت خطوات متوجهة إلى الصالون. حين تأكدتُ تماما من أنه لا يمكن أن يسمعني، تسحّبتُ إلى الممر وخرجتُ من البيت من دون أن ينتبه إلى وجودي. ركبتُ سيارة أجرة وتوجهتُ إلى بيت أخي، حيث قدّمتْ لي زوجته فنجان قهوة، وظللنا نتحدث حتى بدأت أفيق من آثار القرص الأزرق.

(9) مسحوق شوكولاته مشهور في إسبانيا.

بتر غير مرئي
UNA AMPUTACION INVISIBLE

حين انتبهت، وأنا في ممر أحد الأسواق، إلى أني فقدتُ تليفوني المحمول، تصببتُ عرقا، لكنه ليس عرقا باردا كما في روايات الرعب، إنما عرق ساخن. تعرض جسدي لتغير مناخي يمكن ترجمته بأنه سخونة عامة في قشرته. واعتقدت للحظة أن جسدي سيُسلق في سوائله بداخل هذه القشرة. كان ينتابني في الوقت نفسه شعور بالاستغراب والحيرة، كأني تعرضتُ للتو لبتر عنيف وغير مؤلم لأحد أعضائي. والبتر خلّف وراءه جذرا غير مرئي للآخرين، جذرا نفسيا من المستحيل أن يُرى، حتى تفهموني، غير أنه مرعب جدا كأنه جذر من لحم ودم. وبعد تجاوز موجة السخونة الأولى، فتشتُ جيوب المعطف وبحثت في بطانته من دون أي نتيجة تذكر.

لاحظتُ حينها أناسا ينظرون إليّ وأدركتُ أن سلوكي لابد أنه سلوك مجنون. لم أستطع أن أشرح لهم ما أمر به من تغيرات ناتجة عن بتر تليفوني المحمول لأنهم لن يفهموا. لم يكن ثمة جرح، لم يكن ثمة دم، ولا علامات عنف خارجية. لا أحد إلا من فَقَدَ تليفونا ذكيا مثلي يعرف عمّا أتحدث. فالتليفون يضم أجندة تليفونية بها مئات الأرقام المتراكمة على طول سنوات ومن

المستحيل استعادتها كاملة. به أيضا ملحوظات وتواريخ ورسائل صادرة وواردة لن أقرأها مرة أخرى أبدا. لن أبالغ لو قلت إن تليفوني كان عضوا إضافيا لجسدي، ليس بأهمية الكبد والكليتين، لكنه أكثر قيمة من الحويصلة الصفراوية أو الزائدة الدودية. ففي سفرياتي كان يربطني ببيتي. وفي البيت، كان يربطني بالخارج.

أتذكر المرة الأولى التي رأيت تليفونا، لمن يكن تليفونا محمولا، بل تليفون بيت، تليفون حياتنا كلها. كنت قد وصلت للتو من المدرسة. أخذتني أمي من يدي وساقتني إلى غرفة الجلوس. وفي وسط المنضدة المتحركة، وفوق مفرش أخضر يؤطره ويبرزه، كان ثمة تليفون أسود. بدا لي أنه تتكوّن حول الجهاز هالة ضوء غريبة، كأنها هلوسة، وكانت كذلك بالنسبة إليّ بطريقة ما، إذ ظللت أسمع أبويّ دائما يتحدثان عن التليفون بتقدير يشبه الحديث عن الأشباح.

وفي الحال أردت أن أهاتف زميلا بالمدرسة، لكن أمي قالت لي لا، لأنه غالٍ. التليفون فقط للأمور الطارئة. وبالفعل، كان للأمور الطارئة. في ذاك العام لم أسمعه يرن إلا مرتين، مرة ليخبرونا بأن جدي مات، ومرة، بعد نصف ساعة من الأولى، ليخبرونا بأن جدي بُعِث (كان أبو أمي يدخل بسهولة ما في حالة تخشب، وكان الطبيب قد شخّص موته بالخطأ). ومن جانبنا، لم نستخدمه إلا مرتين كذلك، مرة لنخبر بأن أخي قد وُلِد، ومرة لنخبر بأنه قد وُلِد مرة أخرى (كانا توءمين، غير أن الثاني جاء متأخرا بنصف ساعة حين لم نكن ننتظره).

ليس عندي أمور مهمة تجبرني على الالتصاق بالتليفون. أعرف لو أن أحدا احتاج إلى تحديد مكاني فسيفعل ذلك بطريقة

أو بأخـرى. أمـا أجنـدة الأرقـام فسأسـتعيدها بمسـاعدة أصدقـائي. كل مـا قلتـه في الأسـطر الأولى لأبـرر نوبـة الرعـب الناتجـة عـن فقـد التليفـون لم تكـن إلا سلسـلة مـن الأعـذار. فالتصاقـي بالتليفـون لـه أسـاس فانتـازي لم أعـترف بـه أبـدا حتـى الآن. انظـروا، منـذ شـاهدت وأنـا في الثامنـة أو التاسـعة أول تليفـون عـلى منضـدة غرفـة الجلـوس ببيـت أبـويّ، راودتنـي فكـرة فانتازيـة بـأن التليفـون سـيرن ذات يـوم وسيسـألون عنـي، وأن أمـي، مدهوشـة، سـتمرر لي التليفـون ونوعـا مـن التقديـر، ومـن الجانـب الآخـر للخـط سـتأتيني حقيقـة أساسـية. وأنـا سـأغلق الخـط، وسـأعود إلى عائلتـي لأؤكـد لهـم أن كل شيء مبـاح أو كل شيء محـرّم، بالتتابـع.

أعتقـد أني مـا زلـت أنتظـر هـذه المكالمـة، ومـن خلالهـا سـأعرف إن كان للحيـاة معنـى أم لا. ومـن أجـل هـذه المكالمة، أحتمـل كل المكالمات الأخـرى كـما أحتمـل مـا يتحتـم عـليّ تسـديده. ومـن هنـا جـاءت نوبـة العـرق المفاجئـة التـي تعرضـت لهـا في أحـد ممـرات السـوق حـين تحققـت مـن أني فقـدتُ التليفـون المحمـول وأني انفصلـت ليـس عـن العـالم، الـذي يمكـن الاسـتغناء عنـه، بـل عـن الحقيقـة الجوهريـة التـي تمنـح لوجـودي معنـى. وحـين تـأتي هـذه المكالمـة، سـتكونون أنتـم أول مـن يعـرف محتواهـا، إذ ربمـا تسـاعدكم عـلى مواصلـة الحيـاة.

أول طبق مُشكّل
MI PRIMER PLATO COMPINADO

في روايـة Absolute friends لــ جــون لي كاريــه، يقــول أحــد الجواسـيس لجاسـوس مبتـدئ ومرتـاب: «نحـن لا نعيـش في الواقـع، إنمـا نـزوره». كان لي خـال ثـري يعيـش أيضـا خـارج الواقـع، رغـم أنه كان يـأتي ليقـضي برهـة مـع مـن يعيشـون فيـه. كان يـأتي في سـيارة 15 مـترا يركنهـا أمـام بيتنـا ويسـلّم مفاتيحهـا لنـا نحـن الأطفـال لنلعـب فيهـا بينـما يتحـدث مـع أبـويّ. وداخـل هـذه العربـة ذات المقـود الخشـبي المكسـو بالجلـد، كنـا نشـعر بأننـا بعيـدون عـن الواقـع. وكانـت أمـي تقـول لـه: «خطـأ أن تـترك المفاتيـح للأطفـال، سـيضيّعون لـك كل شيء».

مـا كنـت أسـمعه أننـا نـترك داخـل السـيارة مليئـا بالواقـع، لأننـا بالفعـل لم نكـن نظيفـين جـدا. لكـن خـالي لم يكـن يهتـم، إذ كان يمررهـا عـلى خدمـة تنظيـف متخصصـة في محـو بُقـع الواقـع، حتـى أكثرهـا تمـردا. أظـن أن الواقـع بالنسـبة إليـه كان نوعـا مـن عربـدة نهايـة الأسـبوع. كان يهبـط إلى الواقـع مثـل آخريـن يلتقطـون عاهـرات لأنـه كان رجـلا ذا اهتمامـات متنوعـة. ورغـم أني لم أعـرف أبـدا بمـا كان يتحـدث مـع أبـويّ، إلا أني أعـرف أن محادثاتهـم كانـت متوتـرة، إذ أكـثر

من مرة كنت أسمع أصواتهم من خلف الباب. كان خالي رجلا غامضا ولم يكن أبواي كذلك.

وذات يوم، راح ليبحث عني في الصباح بعد أن قضيت معه عدة ساعات خارج الواقع. لقد اصطحبني إلى نوع من المنتجعات ذات حمّامات سباحة متنوعة الأحجام. وكل عدة أمتار كان ثمة كشك خشبي بسقف من الجريد كان يمكن أن تطلب فيه ما تريد من دون أن تدفع. وفي غرف تغيير الملابس كانت ثمة حمّامات بأرض خشبية وموزعات ماء الاغتسال بمياه ساخنة تنشر ضبابا من الأبخرة. رأيت كذلك للمرة الأولى في حياتي ساونا ونساء كثيرات جميلات جدا بملابس لا يبدو أنها صُنِعت في هذا العالم. أو على الأقل لم أرها من قبل. وكانت المرة الأولى كذلك التي أتناول فيها طبقا مُشكّلا. قد يبدو الطبق المشكل الآن مجرد طبق شعبي، لكنه في تلك الفترة كان حديث الاختراع، وكان أكثر ما يُتطلع إليه من وجهة نظر فن الطعام، بل ومن وجهة نظر الفلسفة، إذ لم يكن مجرد طريقة للتغذية فحسب، إنما نوعا من تناول الوجود.

وفي الظهيرة، اصطحبني خالي في سيارته إلى حارة من خلالها كنت ألمح شارعا رئيسيا به ثمة متجر للسيارات من نفس ماركة السيارة التي يقودها. حينئذ سحب مظروفا مغلقا من صندوق السيارة وأشار إلى متجر السيارات، وأمرني أن أدخل وأسلّم المظروف لسيد بشارب كنا نراه من خلال الواجهة الزجاجية.

- لو سألك من أعطاك المظروف، فقل له إنه رجل كان يعبر الشارع. وعُد إلى هنا بعد أن أتجول قليلا حتى لا يراني أنتظرك.

كان كل ذلك يبدو لي مثيرا لأنه لم يكن واقعيا. دخلت المتجر وسلّمت المظروف وبقيت منتظرا الإكرامية، إذ كنت مقتنعا،

لا أعـرف لمـاذا، بـأني بوجـودي خـارج الواقـع سـأحصل عـلى عـدة عمـلات، وربمـا ورقـات، لأني قـد أديـت هـذه المهمـة غـير الواقعيـة. فتـح رجـلُ الشـارب المظـروفَ وقـرأ ورقـة مكتوبـة بخـط اليـد كانـت بداخلـه وسـألني بوجـه عابـس جـدا: مَـن كلفـك هـذه المهمـة؟ قلـت لـه رجـل كان يعـبر مـن الشـارع. نظـر الرجـل إلى الخـارج، وحـين وجـدني لا أزال واقفـا منتظـرا الإكراميـة، قـال لي اذهـب للجحيـم.

خرجـتُ إلى الشـارع بشـعور مـن وقـع بغتـة في الواقـع ودخلـت سـيارة خـالي بدمـوع في عينـيّ.

- ماذا قال لك؟

- قال اذهب للجحيم.

- هـذا عظيـم. أضـاف وهـو يشـغّل الموتـور ويهـرب مـن الواقـع هربـا.

اشـتد المـرض عـلى خـالي الأسـبوع المـاضي. ورحـت لأزوره في المستشـفى، غـير أني حـين وصلـت كان قـد مـات. تحدثـت مـع الممرضـة التـي أشرفـت عليـه وسـألتني مـاذا كان يعمـل خالـك؟ قلـت لهـا الحقيقـة: إني لا أعـرف، لأنـه كان قريبـا مـن بعيـد وعلاقتـي بـه كانـت طفيفـة جـدا. «كان يعتقـد أنـه جاسـوس»، قالـت لي الممرضـة. وفي اليوم التـالي صادفتنـي عبـارة لـو كاريـه وبـدت لي مصادفـة مدهشـة.

الآباء يكذبون
LOS PADRES MIENTEN

أيقظني أخي الأكبر في منتصف الليل ليكشف لي السر التالي:

- بعد قليل سيقولون لك إن ملوك المبشرين هم الآباء. يقولون ذلك لكل العالم حين يبلغون سنك. لا تصدقهم. الملوك موجودون، لكنهم مثل كل الكبار لا يعرفون كيف يشرحون وجودهم، فيقولون ذلك، إنهم الآباء.

كان أخي ينام على السرير المجاور لي. لم تكن علاقتنا لا جيدة ولا سيئة، هكذا تسير أحيانا على ما يرام وأحيانا أخرى لا. لكننا كنا متواطئين في أشياء كثيرة. دخنّا السيجارة الأولى معا، سرقنا للمرة الأولى معا عملات من جيب معطف أبي، كان يحل لي واجبات الرياضيات وكنت أحل له واجبات اللغة. كان كل منا يعتمد في النهاية على الآخر في أشياء كثيرة. كنا كما يقول المثل سرقنا معا الأحصنة، وأصبحنا مدانين بحماية كل منا للآخر. وكانت هذه الحماية تفرض أن نعترف لبعضنا بحقائق الحياة الأساسية. إن كان الملوك موجودين وهو قد تحقق من ذلك، فمن الأفضل أن أعرف ذلك، مهما كانت حقيقة قاسية بالنسبة لي.

الحقيقة أني قد سمعت في المدرسة شائعات حول أن ملتشور وجاسبار وبالتاسار[10] هم الآباء. غير أني لم أعرهم انتباها. ما لم أكن أستطيع تخيله أن يكون منبع الشائعات هو الكبار. فلو كنت أكنّ لهم بعض الاحترام، فقد فقدوه بعد اعتراف أخي الأكبر.

وبالفعل، في نفس ذاك العام، حين أعطونا إجازات عيد الميلاد، نادتني أمي ذات يوم وبدأت تسألني ماذا أفكر حول ملوك المجوس. قلت لها إني أكنّ لهم احتراما كبيرا (لم أقلها بهذه الطريقة بالطبع، فلم أكن طفلا متصنعا) رغم أنهم لا يهادونني دائما بما أطلبه منهم، لكنني أقنع نفسي بأن العالم مليء بأطفال كثيرين، وأنه ليس بوسعهم إرضاء الجميع. نظرت إليّ أمي في حيرة، إذ إن الطبيعي حين انتزاع العصابة عن العينين في هذا الأمر أن يكون الصبي قد احتك بالشارع بالفعل. أعتقد أنها كانت على وشك أن تتراجع، لكنها في النهاية أخذت نفسا وقالت لي إن الملوك المجوس هم الآباء ذاتهم.

- إنها مجرد أكذوبة نقولها خلال الطفولة -أضافت- لأن الطفولة مرحلة الأوهام الفانتازية، لكنك كبرت على الاعتقاد بالملوك. لقد قلنا لأخيك ذلك أيضا حين بلغ نفس سنك.

وأخي كان قد نصحني بأن أتصنع التصديق حين يحكون لي أكذوبة أن الملوك هم الآباء أنفسهم، وإذا لم أفعل فقد أبدو لهم صبيا غريبا وسيصطحبونني لزيارة الطبيب النفسي.

- أنا أيضا تصنعتُ ذلك -أضاف- وكما ستدرك، إن كان ذلك سيهدّئهم، فلن يكلّفك شيئا أن تريحهم.

تظاهرت، إذن، بأني أصدقها، ودخلت غرفتي لأكتب رسالة إلى الملوك؛ رسالة سرية، للمرة الأولى. في ذاك العام، بما أني غدوت صبيا

(10) هم من بشروا بولادة نبي الله عيسى ابن مريم -عليه السلام- في الثقافة الإسبانية.

كبيرا ومتابعا للوضع العالمي، وكان كارثيا، طلبت منهم أشياء أكثر معقولية من مناسبات أخرى. وأخي وضع رسالتي في مظروف يضم رسالته أيضا وراح ليرسلها بالبريد. الملفت أنهم في ذاك العام، ولأول مرة، لبوا لي كل ما طلبته.

وعند عودتي إلى المدرسة بعد إجازات عيد الميلاد، تحققت من أن كل زملائي في الفصل قد قالوا لهم إن الملوك هم الآباء أنفسهم، وأنهم جميعا قد صدّقوا. وكنت على وشك أن أصحح لهم خطأهم، لكن أخي قال لي أيضا ألّا يخطر ذلك ببالي، لأنهم سيعاملونني كمجنون. كانت المؤامرة لمحو هذا الاعتقاد من رأس الصِّبية فكرة عالمية، وكان من السذاجة مواجهتها مع كم الأدلة العديدة الموجودة، الموزعة ما بين الكتاب المقدس والتاريخ المقدس والأفعال المثبتة، إذ الحقيقة أنه رغم التوقف عن الإيمان بالملوك إلا أن الناس لا تزال تتلقى الهدايا.

في النهاية، كنت سعيد الحظ أن احتفظت بهذا الوهم لسنوات أطول من زملائي. ولأكون صريحا، لا أتذكر بالضبط السن التي فيها تخليت عن إيماني بالملوك المجوس، ربما حين مات أخي وفي جنازته تذكرتُ هذه الحكاية الفانتازية التي لا أعرف كيف خطرت له. رغم أنها حقيقة كذلك أني بمجرد استقراري في عالم البالغين تأكدت من أن الكبار يكذبون كثيرا وبشكل مجاني، ما يعني أنه لم يكن غريبا أن يكون أخي محقا وأنهم أيضا كانوا يكذبون في ذلك. هذا العام، مثل كل الأعوام منذ تلك الفترة، كتبت لهم رسالة سرية (في بيتي لم يعد أحد يعتقد بالملوك ولا أبنائي) وهادوني من جديد كل ما طلبته منهم.

موت أمي الحقيقي
LA VERDADERA MUERTE DE MAMÁ

بعد ساعات من موت أمي، وبجسد لا يزال في محل الحانوتي، اضطررت للعودة إلى بيتها لأحضر بعض الأوراق. أدهشني العثور على تليفون محمول في درج خزانة السرير، إذ دائما ما أظهرتْ عداء لهذا الجهاز. تحققتُ من أن البطارية مشحونة وأخذته مع الشاحن. وخلال بقية اليوم، وبينما أتلقى العزاء ممن جاؤوا لمواساتي، كنت أدرك أني أحمل في جيبي جهازا قديما لأمي. ومن حين لآخر، كنت أنفصل عن الآخرين وأتحقق من أنه لا يزال يعمل. والحقيقة أني كنت متلهفا إلى أن يرن. مَنْ من الممكن أن يتصل؟ قلتُ لنفسي ربما أمي ذاتها، أو أحد على علاقة بها ولا أعرفه وكان السبب في إدخال هذا الجهاز حياتها بعد أن كانت تقول إنها تمقته.

وبعد المراسم، عُدتُ إلى البيت وأعددت لنفسي مشروبا ساخنا. أعيش وحدي مثل أمي، لكنني لست أرملا، مثلها. لم يكن لي علاقة تستمر أكثر من شهرين. وحين مات أبي، ولم يكن بيننا أي تفاهم أبدا، اقترحتُ على أمي أن نعيش معا، لكنها بررت بأن عاداتنا مختلفة جدا وأن الأفضل أن يبقى كل واحد

منا في بيته. وهذا ما فعلناه. لكن بشكل عام، كنت أزورها مرة كل أسبوع ونتغدى معا، فيما كنت أهاتفها يوميا. ولم أعرف أبدا إن كانت مكالماتي تسرها أم تضايقها. غير أنها كانت تحاول ألا تجرحني، بينما ترسل لي انطباعا بأني أعتمد عليها أكثر مما تعتمد هي عليّ.

وبينما كنت أتناول مشروبي، أخرجت التليفون المحمول من جيبي. كان لا يزال حيا، مع أن الخط الذي يشير لحالة البطارية قد اختفى. وضعته في الشاحن لأنه إن انطفأ من دون أن أعرف كلمة سر، فلن أستطيع إعادة تشغيله. ثم دخلت في القائمة وبحثت في الأجندة، لكنها كانت فارغة. وخلال الأيام التالية، كنت أحدق فيه أحيانا، في انتظار أن تحدث معجزة ويرن فأكتشف شيئا لم أكن أعرفه عن أمي. احتفظت به في جيب الجاكت الداخلي، ومن حين لآخر كنت أطمئن على الجهاز، كمن يضع يده على قلبه ليطمئن، لأتأكد من وجوده في مكانه. وفي أكثر من مرة كنت أشعر بأنه يهتز، لكنه لم يكن هو، إنما قلبي.

منذ فترة، باتت الشقة المجاورة لي خالية. عرفت أن لا أحد يعيش فيها لأن حارس البناية أخبرني بذلك، مع ذلك كنت أسمع ضجيجا. وفي أكثر من مرة كنت أضع أذني على الحائط الذي يفصل بيننا لأتأكد أنها خالية. كنت أشرد أيضا مع فكرة صنع ثقب صغير في الجدار لأكتشف الشبح الذي يعيش في الشقة الخالية. إنها هواجس رجل أعزب، رجل وحيد لديه وقت فراغ طويل. ومثل علاقتي بالجدار، أنشأت علاقة مع تليفون أمي المحمول. كنت ألصقه أحيانا بأذني لأعرف إن كان ثمة أحد على الجانب الآخر. ولابد أن أحدا كان على الجانب الآخر، إذ بطريقة أخرى

لا يمكن أن تكون أمي قد اشترته. لابد أن أحدا أهداها إياه، وكان يستخدم التليفون المحمول كحبل سُرّي معها.

مر الوقت من دون أن يرن التليفون. أكذب: رن عدة مرات، لكنها كانت مكالمات خاطئة، أو هذا ما أعتقده. المكالمة الأولى كانت صباح يوم أحد. كنت أجهّز عصير برتقال ثم سقط على الأرض من الفزع. على الجانب الآخر، كان ثمة رجل يسأل عن روساريو. قلت له لا أحد هنا بهذا الاسم، فاعتذر وأغلق الخط. كانت المرة الثانية في السينما. شغّلت خاصية الاهتزاز حتى لا يرن. وشعرت فجأة بنوع من رجفات قلبية خارج الصدر. اعتقدتُ في البداية أنها مجرد هلوسة، لكني وضعت يدي على جيبي وشعرت بارتجافات. نهضتُ لأخرج من الصالة، لكن بوصولي إلى الممر واستعدادي للرد على المكالمة، توقف الاهتزاز. وعلى شاشة التليفون ظهرت العبارة الأسطورية «مكالمة مفقودة». بحثت عن معلومات، لكن رقم المتصل كان مخفيا.

غدا سنوية موت أمي الأولى. أعتقد أنه من العبث أن أواصل الاهتمام بتليفون صامت. ربما حانت لحظة التخلي عنه. لكني لا أعرف هل أتخلى عنه بانتزاع البطارية حتى يموت ميتة فورية، أم أتركه ينفد شيئا فشيئا، ويتجه بخطى ثابتة نحو الاحتضار كأني أتجه لاحتضاري، احتضار على عكس احتضار أمي الذي لم أحضره بالمناسبة، إذ ماتت فجأة من دون أن تمنحني وقتا لأودعها. سأفعل الاقتراح الأخير؛ سأترك البطارية تنفد على مهل. كم يوما ستستغرق؟ يومين؟ ثلاثة؟ قد تكون الأيام المتبقية لي لأغيّر حياتي. ربما تموت أمي كلية حين يتوقف التليفون عن التنفس. كم هو شيء عبثي بالنسبة لسيدة مثلها، كانت تكره التكنولوجيا.

رغبات في الغضب
GANAS DE BRONCA

لم تكن أمي تسمع الراديو إلا لتتفق أو تختلف مع ما تسمعه. كل ما كانت تسمعه كان صالحا لتُصالح الواقع أو لتنقم عليه. لم تكن تعرف الأمور الوسط. لذلك لم نكن في البيت نسمع الموسيقى الكلاسيكية، إذ كان من الصعب جدا أن تكون مع أو ضد ما تقوله الموسيقى الكلاسيكية. في المقابل، كانت مهووسة بموسيقى البوليرو، لأنها كانت تنتقد أبطالها بلا شفقة لأنهم يُغرمون بمن لا يناسبهم. وهذا ما حدث لها، إذ إنها أحبت أبي الذي كانت تعشقه في أيام وتكرهه في أيام أخرى. وأبي لم يعرف أبدا لماذا كانت تعشقه أو تكرهه بالتعاقب، لكن بما أن الخبرة علّمته أن كل ما يقوله كانت تستخدمه ضده، راح يقلل كل يوم من حديثه. حتى إنه في سنواته الأخيرة لم يكن يقول شيئا، لكن حتى الصمت كانت أمي تستغله لتتشاجر معه:

- نعم، نعم، أنت لا تقول شيئا، لكني أعرف جيدا ما تفكّر به، وأقول لك إنه حماقة.

مع ذلك، كانت تستخدم صمت أبي في أحيان أخرى لتعطي لنفسها الحق.

- أفهم، لأن السكوت علامة الرضى، أنك موافق على أن نصيّف هذا العام بالقرب من الجبل.

وعندما اشترينا تلفزيونا، حافظت معه على نفس علاقتها بالراديو، لم تضف إلا أدلة بصرية إلى الأدلة الشفوية.

- لكن انظر إليه، إنه أبله. يقول أشياء ذكية للتشويش على بلاهته، لكنه لن يخدعني لأن الوجه مرآة الروح.

وتعلّم أبي أن يشاهد التلفزيون بحيادية يقف لها شعر المرء. كان يبدو أنه يشاهد شيئا آخر، شيئا غير مرئي لبقية الفانين.

- لكن هل تشاهد ما نشاهده؟ كانت أمي تسأله.

ولم يكن يجاوبها. لم يجاوبها قط. كنت أتغدى معهما يوما في الأسبوع، وكانت تذهلني صلابة أبي، وكانت تبدو لي جديرة بالإعجاب. لقد بلغتْ عملية التجاهل أن يقلع عن التدخين، أن يهجر السيجارة التي كانت في سنواته الأخيرة الشيء الواقعي الوحيد الذي يرتبط به بيأس ما. وباتت أمي، التي قضت حياتها تلومه على التدخين، تنتقده لأنه أقلع عن التدخين. بل وباتت هي، من كانت تكره التدخين، مدمنة للمارلبورو، وكانت تنفخ الدخان في وجهه لتغريه. أعتقد أن أبي هجر التدخين كسلا، وأنه توقف عن الكلام كسلا، وأنه لم يكن يتحرك عن الكنبة كسلا. فكرتُ في أحيان كثيرة أنه لن يموت كسلا. على أي حال، بما أن البيولوجيا تقوم بمهمتها في الموت، فذات يوم بعد الغداء، بدأ في الاحتضار من دون أي مقدمات من أي نوع. سألته أمي إن كان بخير، فأجابها إجابة قاطعة، ومات.

- أنت لا تخدعني -قالت له أمي- أعرف عن يقين أنك مُتَّ.

ورق حائط
PAPELES PINTADOS

ذات يـوم خرجـتْ أمـي عاريـة إلى الممـر، وأمسـكتني مـن كتفـيّ في حالـة جنـون، وأمرتنـي بـأن أركـض إلى محـل مسـتلزمات الدهـان وأن أصرخ فيهـم بـأن التغطيـة بـورق الحائـط أسـهل مـن الدهـان.

- لمـاذا؟ سـألتُ وأنـا أحـاول أن أغـض بـصري عـن صدرهـا، وأظـن أني لم أسـتطع.

- لأنهم يمنحون جائزة لأول من يصل ويقول ذلك. اركض.

كان يومـي الأول الـذي أنهـض فيـه مـن السريـر بعـد أسـبوع مـن المـرض باللـّوَز، هكـذا أومـأت إيمـاءة تمـرد في مواجهـة فظاظتهـا: ليسـت طريقـة لمعاملـة أحـد في فـترة نقاهـة. غـير أنهـا دفعتنـي إلى السـلم، وفجـأة رأيتنـي أركـض مثـل مجنـون صـوب الشـارع، محـاولا إقصـاء ذكـرى صدرهـا المتحـرك أمـام عينـيّ حتـى لا يمنعنـي مـن رؤيـة السـيارات. اسـتنتجتُ أنهـا كانـت انتهـت للتـو مـن تغيـير قميـص النوم حـين سـمعت الإعـلان في الراديـو. إذ كان بالفعـل ثمـة ماركـة لأوراق الحائـط تُعـرض كل يـوم في محـل مسـتلزمات دهـان مختلـف بـكل حـي، وهنـاك كانـوا يذيعـون مسـابقة عبثيـة بـين السـكان مـن خـلال الراديـو. وكانـت الجائـزة رحلـة لجـزر الكنـاري، بالإضافـة لسـت لفـات

مـن ورق الحائـط. وكان ذلـك ثـروة في تلـك الفـترة. يضـاف إليهـا إمكانيـة الحديـث في الراديـو، وأن يسـمعك أجـداد زملائـك وجيرانهـم وأمهاتهـم.

كل هـذه الوعـود كانـت تثقّـل سـاقيّ اللتـين لم تبلغـا أبـدا هـذه الدرجـة مـن التناسـق السريـع. كان الجـو بـاردا جـدا، لكنـي كنـت أعـرق وأنـا أتخيـل الصـورة التـي نطلـع فيهـا أنـا وأمـي وأبي أمـام طائـرة تحملنـا إلى الجـزر. «مريـض باللُّـوَز يفـوز برحلـة إلى جـزر الكنـاري»، يقـول مانشـيت جريـدة «يـا»، الجريـدة المفضلـة للصغـار والتـي كانـت تُقـرأ في البيـت. كانـت، في النهايـة، فرصـة لأتحـوّل إلى بطـل، وربمـا تكـون الفرصـة الوحيـدة التـي تقدمهـا لي الحيـاة إن كان حقيقـة أن الحـظ يطـرق البـاب مـرة واحـدة. وفيـما كان يـزداد الألم العضـلي، كنـت أسـمع تتابـع انفجـارات صغـيرة بداخـلي، كأن حشـوا مـن حويصـلات الرتـوج ينفجـر ضحيـة للجهـد الاسـتثنائي. كنـت أجهـل إن كان في ذلـك خطـورة، لكنـي لم أسـتطع التوقـف لأصغـي لنفـسي في هـذه اللحظـات.

ورغـم أن الحملـة ذاع صيتهـا، لم يفكـر أحـد أبـدا أن أرض ماركـة ورق الحائـط هـي حـي «بروسـبيريداد»، وهـو حـي مهمّـش ومهمـل. ونحـن كنـا نعيـش في «كانييـاس»، قريبا نسـبيا مـن مسـتلزمات الدهان. كان أطفـال مدرسـتي في المدرسـة، بالتـالي لم يكـن عنـدي منافسـون مـن هـذا الجانـب. أمـا الرجـال، فلابـد أنهـم في أشـغالهم أو في عطلتهـم. لم يتبـق إذن إلا النسـاء، ولابـد أن الإعـلان فاجأهـم وهـن عاريـات، مثـل أمـي. ثـم غطـى رؤيتـي جحيـم مـن النسـاء العاريـات مـرة أخرى. ورغـم أني تخلصـت منهـن، إلا أنهـن ظللـن يطفـن هنـا وهنـاك بصـدور وأكتـاف مكشـوفة. يـا إلهـي، لم أسـتطع نسـيان تراقـص هـذا العـدد

الهائل من الصدور، بينما أخبب نحو المجد أو نحو جزر الكناري التي كانت في نفس الاتجاه. لو أني قد واصلت الركض بهذا الإيقاع، دون توقف، لكنت وصلت إلى «تينيريفي»[11] فوق الماء، وبالإضافة لظهوري في الجريدة، كنت سأظهر في الكتاب المقدس.

بتجاوز الناصية، اصطدمت برجل أعرج وقع على الأرض، لكني حللتُ بسرعة مذهلة ترددا أخلاقيا؛ مساعدته على النهوض أم مواصلة الركض: مواصلة الركض. وفي النهاية، برئتين أكثر تجعيدا من جوربين متسخين، وصلت إلى مستلزمات الدهان، وعلى بابه وجدت حشودا فتحتْ لي الطريق مذعورة. بلغتُ بنك المحل، ورغم أني كنت أعرف أن ثلاثين أو أربعين فردا سبقوني، صرخت بأن تغطية الجدران بورق الحائط أسهل من الدهان. الملفت أن كلمة واحدة لم تخرج من فمي، كأني أتحدث تحت الماء. حينئذ وقعتُ على الأرض ضحية لأول حالة إغماء في حياتي.

دائما، ثمة أحد يعيش أقرب منك لمحل مستلزمات الدهان؛ الجحيم يقع عند العودة للناصية فحسب، وهذا ما تعلمته. لم تعد الحياة لتمنحني فرصة أخرى مثل تلك، وهو ما أمتنّ له. في المقابل، استطعت خلال الأيام التالية أن أربح شيئا من ذنب أمي، التي بات صدرها مقياسا لكل الأشياء؛ الجنس جائزة الخاسرين.

(11) إحدى جزر الكناري [المترجم] وهي أكثرها شهرة للسياح.

العم إميليو
EL TÍO EMILIO

كنتُ أحتاج إلى تجديد رخصة قيادة السيارة، فاقتربتُ من كابينة الفوتوماتون[12] بشارع بيلاثكيث[13]، حيث توجهتُ إلى هناك في مرات أخرى لظروف طارئة. كل شيء كان على ما يرام حتى جاءت لحظة اللقطة الفوتوغرافية ورأيتُ في مكان العدسة صورة عمي إميليو، وهو أخو أبي المكروه جدا في العائلة لأنه قتل جديّ بالضيق. لو لم أكن أعتقد بالحماقات الماورائية، لكنتُ عدتُ إلى البيت بالصور، ولقلتُ لزوجتي انظري كيف أشبه في هذه الصورة عمي إميليو الوقح، وما باليد حيلة. لكني ممتلئ بالإيحاءات، والحقيقة أني كنتُ أشبهه جدا، بجفنه الأيسر المتساقط الذي يشي به حين يثمل أو يخطط لفعل أذى.

في اليوم التالي، غيّرتُ كابينة الفوتوماتون، توجهتُ إلى واحدة في شارع سيرانو والتقطتُ لقطتين وخرجتْ بنفس النتيجة. قلت «يا إلهي، إنني عمي إميليو، كيف انحدرت إلى هذا المستوى». في تلك الظهيرة كان يجب أن أزور أبويّ، إذ كانا عند طبيب لإجراء بعض التحاليل. كنت أريد أن أعرف كيف حال اختبارات وظائف

(12) كابينة تصوير ذاتي موجودة بالشارع [المترجم].

(13) فنان إسباني مشهور.

الترانـس أمينـات والاختبـارات الأخـرى، لكنـي كنـت أخـاف أن ينتبـه أبي إلى أني أخـوه الوقـح فيغـلي صـدره مـن الألم أو يطـردني مـن بيتـه بالـركلات. قـد يمكـن خـداع أبي، لكـن أمـي شـديدة الفطنـة. تبـدو سـاحرة. لقـد عرفـتْ كل الأشـياء المهمـة التـي حدثـتْ في حيـاتي مـن قبـل أن أعرفهـا أنـا. أتذكـر أني قبـل أن أسـتأصل المـرارة بشـهرين كنـا جالسـين ذات يـوم عـلى المائـدة نتنـاول «البائيـة»[14] التـي أعدتهـا في قـدر بريسـتو[15]، ثـم قالـت فجـأة:

- لا جـدوى مـن مـداراة ذلـك، نعـرف أنـك سـتجري عمليـة لاسـتئصال المـرارة.

وبعـد شـهرين، حـدث بالفعـل. بشـكل عـام، أحـاول ألا أفكـر في شيء أمامهـا لأن لديهـا القـدرة عـلى الاسـتماع لأفـكار الآخريـن بـأذن غير مرئيـة، أذن لا يمكـن رؤيتهـا بالعـين المجـردة، كـما هـو طبيعـي. عـلى أي حـال، وجـدتُ نفـسي في أسـوأ موقـف، وقـررتُ أن أنكـر أني العـم إميليـو حتـى النهايـة في حالـة أن اتهمـوني بـأني لسـت أنـا. في أحيـان كثـيرة حصلـتُ بالعنـاد عـلى مـا لم أحصـل عليـه بالأسـباب المنطقيـة.

تأخـرا كثـيرا في فتـح البـاب، رغـم أني سـمعتهما يذهبـان ويجيئـان بالممـر ويتناقشـان فيـما بينهـما. وهُيـئ لي أنهـما أطـلا مـن العـين السـحرية، إذ لاحظـتُ تغـيرا في إضـاءة العدسـة. ألححتُ قليـلا وفي النهاية ظهـرتْ أمـي التـي أفسـحتْ لي الطريـق مـن دون أن تنبـس بكلمـة. سرتُ وراءهـا بطـول الممـر وحـين وصلنـا للصالـة جلسـتُ عـلى الكنبـة المعتـادة. كان أبي يقـرأ جريـدة رياضيـة، وأصـدر بالـكاد همسـا بالتحيـة. منـذ أصبحـا عجوزيـن امتلـكا صـدرا ضيقـا. السـن لا تحسّـن شـيئا. سـألته

(14) أكلة إسبانية شعبية وشهيرة [المترجم] وهي من أصول عربية (البقية).

(15) ماركة مسجلة لأشهر قدور الضغط في إسبانيا.

عن التحاليل وأشار لي بذقنه إلى أنها هناك على المنضدة. سحبتها وبدا لي أنها ليست سيئة، على الأقل في حدود علمي. ربما السكر مرتفع قليلا والترانس أمينات مضبوطة بالكاد، لكن الكوليسترول كان في حالة جيدة، وكذلك الكريات والصفائح الدموية.

- التحاليل على ما يرام. قلتُ، وانتبهتُ إلى أنها إحدى عبارات عمي إميليو المفضلة. كان يقضي حياته مرددا عبارة: «كل شيء على ما يرام» من دون أن يشير إلى شيء بعينه.

- لا جدوى من التخفي -رد أبي- لقد انتبهنا إلى أنك إميليو من طريقة رن الجرس: رنتان قصيرتان ورنة طويلة.

من سوء طالعي أن اسمي إميليو أيضا، إذ عندما ولدتُ لم يكن عمي قد استحال شريرا فمنحوني اسمه.

- أنا إميليو بالطبع. مَن أكون إذا لم أكن إميليو؟

- أنت تعرف أي إميليو أقصد.

وافقتْ أمي، وبدأت الحياكة بكراهية مفرطة على الأريكة. وأنا امتلأتُ بالصبر وقررتُ انتظار عبور العاصفة. وفي جيبي كانت صور التصوير الذاتي تغلي، وندمتُ أني لم أمزقها قبل دخولي، وبالتالي نهضتُ ورحتُ إلى الحمّام. مزقتها هناك إلى ألف جزء وألقيتُ بها في القمامة. وحين هممتُ بالخروج، تذكرتُ أن أبويّ اعتادا على دس المال في فتحة بالحائط، وراء صيدلية صغيرة، فقررتُ أن أسرقه وأسرق معه علبة مهدئات عثرتُ عليها بجانب المال. ثم قلتُ إني مضطر للانصراف لأمر طارئ وخرجتُ ركضا.

- مع السلامة يا إميليو. قال أبي متهكما، وفي تلك اللحظة أدركتُ أن الواحد منا في الحياة ليس ما يريده، بل ما يطلبه منه الآخرون. وما تقرره كابينة الفوتوماتون.

مكالمة من وراء القبر
LLAMADA DE ULTRATUMBA

كان خطأ بالطبع أن نداري على ابننا موت جدته، لكننا قررنا ذلك أنا وزوجتي عندما جاءنا خبر الكارثة. كل شيء كان سريعا جدا، وكان مفاجئا جدا كذلك، ولم يتح لنا الوقت لنتصرف برصانة. حتى بدأت المدرسة، كنا نتركه في بيت أمي في وقت عملنا، وبالتالي كان يحبها جدا، مثلنا وربما أكثر منّا. فلم يكن سهلا بالتالي أن نشرح له اختفاءها.

- هل نقول له الخبر أم لا؟. سألتْ زوجتي وهي تهندم نفسها لتصحبني إلى محل مغسل الموتى.

- سننتظر لعدة أيام -قلتُ أنا- كل شيء لم يكن متوقعا.

الجارة التي كانت تتكفل به في الظروف الطارئة كانت خارج البيت، وبالتالي قررنا أن نتركه وحيدا. بيتنا على بعد عشر دقائق من مغسل الموتى، بل ويمكن رؤيته من الشرفة. سنتصل به من آن لآخر وفي حالة حدوث شيء سيكون أحدنا أمامه في الحال.

كان الطفل حزينا، حتى إني فكرت في لحظة ما أنه قد اطلع على كل شيء وأنه لم يستوعب إصرارنا على مداراة الخبر عنه. كنتُ أتفادى نظرته، إذ كان من الصعب بمكان أن أداري حزني. غيّرت

زوجتي ملابسها مرتين بينما كانت تسألني رأيي أيهما الملائم أكثر للذهاب لمحل الحانوتي. ترددتْ كذلك في ارتداء عقد أم لا. وأنا قلت لها بنبرة عصبية أن ترتدي أي شيء على ألا تتأخر في اللبس، فلن نذهب إلى حفلة.

ثم شرحت للطفل أننا مضطرون للخروج وسنعود سريعا.

- يمكن أن تبقى وحدك لبرهة -أضفتُ- فأنت أصبحت كبيرا. وإن احتجتَ إلى شيء، اتصل بنا على الهاتف المحمول. وأسمح لك بأن تشاهد التلفزيون حتى نعود.

أجاب على كل كلامي بكلمات أحادية المقطع، ولم يبد أي اهتمام بأن أترك له التلفزيون مفتوحا. بدا لي أنه يكرهني أنا وأمه. أتذكر صباحات شتوية كنت أتركه فيها مع جدته قبل أن يطلع النهار حتى لا أصل متأخرا إلى العمل، وبدا لي من الظلم ألا أشركه في الخبر. ورغم أني كنت مرتبكا، إلا أني لم أكن قادرا على التراجع. فكرت أني سأتحدث معه في اليوم التالي وأنه سيتفهم ذلك. أحيانا نلف وندور حول أشياء أكثر من اللازم.

في النهاية ظهرت زوجتي. تهندمتْ أكثر عن اللازم بحسب ذوقي، لكني فكرتُ أنها ربما بذلك تشتت انتباه الطفل، وكان لذلك جانبه الإيجابي. على أي حال، لم أخرج من البيت مطمئنا. وبينما كنا نتجه إلى محل الحانوتي راودتني أفكار عن كمية الحوادث المنزلية التي يتعرض لها طفل بمفرده. كان يسيئني، أيضا، ألا أكون قادرا على التركيز في الألم الناتج عن فقدان أمي. دفّعْتُ زوجتي الثمن، إذ قلت لها كلاما غير مريح.

في مغسل الموتى وجدتُ أخواتي وأخوالي، عائلتي بالكامل. وكان هناك أناس أكثر مما تخيلت، وبالتالي لم يلتفتوا كثيرا لي أنا

وزوجتي. ومن حين لآخر كان ثمة فرد يقترب مني ويواسيني وأنا أرد عليه بشكل ميكانيكي. لم أكن قادرا على أن أطل على الزجاج لأرى وجه المتوفاة. وكنت أفكر في ابني بشعور كبير بالذنب فاتصلت به عدة مرات متلهفا.

عند عودتنا إلى البيت، قال الطفل إن جدته اتصلت به. فنظرتُ إليه أنا وزوجتي مرتبكَين لثوانٍ ثم شرعنا في عمل أشياء لنداري حيرتنا. وفي السرير تناقشنا، إذ كان يبدو لها ممكنا، هي من قضت حياتها تقرأ مجلات عن الأشياء الخارقة، أنها أجرت مكالمة من وراء القبر.

وفي الأسبوع التالي، قلتُ للطفل إن جدته قد ماتت، رغم أني زيّفت التاريخ حتى لا يتعارض مع تلك المكالمة التليفونية. ومع مرور الوقت تزداد قناعتي بأنه كذب علينا لينتقم منا. وبالفعل ثمة جرح مفتوح بينه وبيني منذ ذلك الحين. تقول زوجتي إنها مجرد هواجس تخصني. والحكاية أنها مستعدة للاعتقاد بالغيب أكثر من اعتقادها بمشكلة نفسية. لكنها لا تعيش ذلك كتناقض. نحن مختلفون جدا.

زوجان من الجوارب
DOS PARES DE CALCETINES

تعرضتُ لحادثة في الشارع. صدمتني سيارة وعند سقوطي ارتطم رأسي بالأرض. وحين أفقتُ، كنت في سرير المستشفى. عرفتُ ذلك من قبل أن أفتح عينيّ، ربما من رائحة غرفة العمليات، ربما من همسات الأطباء، وربما من صوت احتكاك البالطو بسيقان الممرضات. «أنا في مستشفى»، قلت لنفسي، وفي الحال تذكرتُ أني خرجتُ من البيت مرتديا زوجين من الجوارب. دائما ما كنت أخرج بزوجين، فردتين من الصوف وفردتين من النايلون. الجوربان النايلون أرتديهما فوق الصوف. يبدو لي أني بهذه الطريقة استحوذ بأفضل شكل على قدميّ. ليس في ذلك سبب منطقي، بالتالي لن أحاول تفسيره. لقد اكتسبتُ هذه العادة منذ مراهقتي حين كنت في مدرسة داخلية شديدة البرودة، ثم غدت العادة عادة خرافاتية. وإن لم أرتد أزواجا من الجوارب، أخرج بوسواس أن شيئا ما سيحدث. ومن المحتمل لو أني ارتديتُ يوم الحادث فردتين فحسب لكانت السيارة أردتني قتيلا.

الحال أني كنت فوق سرير المستشفى عاريا، ما يعني أن شخصا ما، حين جرّدني من ملابسي، قد انتبه إلى غرابتي. وبقيتُ بعينين

مغمضتـين، متصنعـا أني لا أزال مغشـيا عـليّ، بينـما كنـت أرتجـل تفسـيرا لذلـك. إذ يفـترض لـو أن شـخصا ضبطـوه مرتديـا زوجـين مـن الجـوارب فلابـد أن يجـد تبريـرا بطريقـة مـا. فتحـتُ عينـيّ ورأيـتُ الممرضـة تبتسـم لي. لم توبخنـي عـلى شيء.

- ماذا حدث؟ قلت لأكسب وقتا.

- ألا تتذكر حضرتك؟

أدركـتُ أنهـا كانـت تحـاول معرفـة إن كانـت الضربـة قـد أثـرت عـليّ بشـكل خطـير أم لا، فقلـتُ الحقيقـة مخافـة أن يجـروا لي أي عمليـة.

- صدمتني سيارة.

- هل تتذكر ما اسمك؟

قلـتُ اسـمي، صحيحـا عـلى مـا يبـدو، ثـم وضعـتْ أمـام عينـيّ ثـلاث أصابـع مـن يـد واحـدة لتتحقـق أني لا أرى أربعـا أو خمسـا. احمـر وجهـي مـن الخجـل أو الرعـب. وخفـتُ أن تضـع أمـام وجهـي في لحظـة أو أخـرى زوجـين مـن الجـوارب لأعدهـا بصـوت مرتفـع. ارتعبـت الممرضـة حـين احمّـر وجهـي فربمـا كان لارتفـاع ضغـط الـدم. عواقـب الضربـة في الـرأس قـد تظهـر بعـد الحادثـة بفـترة.

- هـل أنـا في مستشـفى «لا بـاث»[16] أم في «رامـون إي كاخـال»[17] أم «جريجوريـو مارانيـون»[18]؟

سـألتُ لأظهـر معرفتـي بالمستشـفيات. وفكـرتُ أني بهـذه الطريقـة سـأداري عـلى موضـوع الجـوارب.

(16) لاباث: معناها السلام باللغة الإسبانية.

(17) طبيب إسباني مشهور حاصل على نوبل في الطب.

(18) طبيب ومؤرخ وعالم ومفكر ينتمي لمجموعة (1914).

- في أي مدينة تقع هذه المستشفيات؟ سألتْ هي بدورها.

- في مدريـد. جاوبـتُ بخنـوع، ودائمـا بخـوف أن يكـون السـؤال التـالي عـن موضـوع الجـوارب.

وأنـا صغـير، عندمـا كنـت أخـرج إلى الشـارع، كانـت أمي تسـألني عادة إن كنـت أرتـدي ملابـس داخليـة نظيفـة. كانـت تقـول: «لـو حدثـتْ لـك حادثـة، فـأول مـا يفعلونـه في المستشـفى أنهـم يجردونـك مـن ملابسـك. وأتصـور أنـك لا تحـب أن تـرى الممرضـات ملابسـك الداخليـة متسـخة».

هـذا الهاجـس رافقنـي طـوال حيـاتي. حتـى عندمـا كنـت أروح لـشراء الجريـدة كنـت أرتـدي ملابـس داخليـة نظيفـة. مـع ذلـك، لم أحسـب أبـدا خطـورة أن يضبطـوني وأنـا أرتـدي زوجـين مـن الجـوارب، زوجـا فـوق الآخـر، وفكـرت أنهـا مجـرد غرابـة مألوفـة يفرضهـا نـوع مـن الانحـراف الذكـوري، ربمـا لا أعـرف مـا هـو.

- هل تريد أن نبلغ أحدا؟ سألتْ في النهاية.

- هل ستضطرون لإجراء عملية أو شيء كهذا؟

- لا، لا -قالـت وهـي تضحـك- كل شيء عـلى مـا يـرام، لكـن مـن الأفضـل أن تقـضي الليلـة هنـا، تحـت العنايـة.

بعـد قليـل جـاءت أمـي، وبعـد أن تحققـتْ أني سـليم سـألتني إن كنـت أرتـدي ملابـس داخليـة نظيفـة عندمـا صدمتنـي السـيارة.

- كنـت غيّرتهـا قبلهـا. قلـتُ، وامتـلأتْ هـي بالفخـر، فليـس كل العـالم يحصـد بهـذه الطريقـة الملموسـة ثمرتـه التربويـة.

- لكني كنت أرتدي زوجين من الجوارب. أضفتُ خجولا.

- كيف كنت ترتدي زوجين من الجوارب؟ ولماذا ذلك؟

- لأسـباب خرافاتيـة. أخـاف أن يحـدث لي شيء إن خرجـتُ بـزوج واحـد.

نظـرتْ إليّ أمـي بحقـد وأدركـت أني وجهـت لهـا في الحـال واحـدة مـن أقـوى الضربـات في حياتهـا.

- يـا للعـار! قالـت، وعندمـا دخلـت الممرضـة حكـت لهـا أني في الواقـع ابـن تبنّتـه.

ساقي اليمنى
MI PIERNA DERECHA

كان أبي واقفا على حافة الرصيف بجانب سيارته في انتظار أن يعبر أحد، وفي يده علبة بلاستيكية. عبرتُ أنا بالدراجة البخارية بخوذةٍ فوق رأسي تخبئ وجهي تماما، ثم وقفتُ أمامه من دون أنا أعرّفه بنفسي.

- هل نفد البنزين؟ سألته.
- نعم. أجابني.
- اركب.

ركب أبي من دون أن يتعرّف عليّ. لم نتقابل أو نتحدث منذ خمسة أعوام مضت، وكانت آخر مرة عانقته فيها يوم دفن أمي. بعدها، من دون أن يحدث أي خلاف بيننا، بدأت مكالماتنا التليفونية تنقطع حتى اختفت تماما.

لاحظتُ أنه كان يحني رأسه ليتفادى الهواء، ولابد أنه لاحظ ارتفاع كعب فردة حذائي اليمنى، فساق هذه الفردة أقصر من الساق اليسرى. لقد حدثني كثيرا عن الغضب الذي تملكه عندما أخبره الطبيب بعد مولدي بهذا الأمر. ورغم أني لم أشعر أبدا بالأسى، إلا أنهما كانا يشعران بالذنب أمام هذه السنتيمترات

الناقصة في ساق، أو الزائدة في أخرى، فالأمر يتوقف على رؤية كل منا. وأنا لم أعرف أبدا أيهما المعيبة، القصيرة أم الطويلة.

أقود الدراجة البخارية بمهارة فائقة، وأدخل بين السيارات بحركات تبدو بعيدة عن الحيطة في رأي البعض. خلال ذلك، لاحظت أن أبي، رغم تحفظه في لمس الرجال، كان يمسك بكتفي بيده اليسرى بينما يحاول أن يلصق بفخذه العلبة البلاستيكية التي يسندها بيده اليمنى. أدركتُ أنه لم يتوقف عن النظر إلى فردة حذائي المرتفعة، ولابد أنه قد سأل نفسه عن احتمالية أن أكون ابنه، وربما تذكر الأطباء الذين زارهم وسلسلة الأشعات التي قمتُ بها ومجموعة الحلول المقدمة، ليصل في النهاية إلى هذا الحل البسيط والعملي بإضافة قطعة صغيرة لحذاء الساق القصيرة. حينها، ضغط على كتفي ضغطة يمكن تفسيرها بأنها نتيجة لتحريك عاطفته، لكنني لم أتجاوب معه.

وصلنا بعد قليل إلى محطة البنزين، فنزل من الدراجة البخارية وبيده العلبة البلاستيكية. أخبرته بأني ليس بوسعي أن أصطحبه في العودة لسيارته، فأجابني بألا أشغل بالي، فلابد أنه سيجد من يصطحبه. لاحظتُ أنه يحاول أن يكشف وجهي بعينيه عبر مقدمة الخوذة المغبشة. في تلك الليلة، دق الهاتف عدة مرات في بيتي، لكن الاتصال كان ينقطع قبل أن أرفع السماعة.

ذراع أبي اليمنى
EL BRAZO DERECHO DE MI PADRE

لم ينتبه أبي إلى أنه لم يعانقني بالكاد حتى فقد ذراعه اليمنى في حادثة عمل احتجزوه بسببها في المستشفى لمدة أربعين يوما. وكلما ذهبت إلى زيارته، كنت أنظر إلى ذراعه المفقودة كأنها مرئية أكثر من الذراع اليسرى. لكن الغياب، بالطبع، كان يفتقد للحجم. كانت ذراعا من هواء. ولم يكن هذا الإصرار على مراقبة الجزء غير الموجود يمنح لي أي خلاصة، لكنه كان يمنح كما من الغرابات كنت أحاول كل ليلة وأنا في السرير أن أتفهم دون جدوى. كنت أريد أن أسأل أمي ماذا فعلوا بذراع أبي المبتورة، غير أن شيئا فطريا كان يقول لي إنه سؤال متهور.

وعندما عاد أبي إلى البيت، غدا فراغ ذراعه مكسوا بأكمام قميصه أو معاطفه، وكانت تتحرك بمفردها كأن لها حياة مستقلة. لم يكن بوسعي أن أكف عن النظر إليها لأنها كانت تجذبني بشكل حتمي، مثل ستائر تتهفهف مع حركة الهواء موحية بوجود أحد رابض ورائها. ثم قالت لي أمي على انفراد إني يجب أن أسيطر على نظراتي لأنها تجرح أبي. وكان أبي أيمن، وبالتالي كان عليه أن يتعلم من جديد فعل كل شيء بذراعه اليسرى. وأنا

عشت، مشوشا، عملية التعليم. فكان حمل ملعقة حساء إلى فمه يفرض عليه مجهودا مهينا ووحشيا. قررت خلال تلك الفترة أن أكون ماهرا في استخدام اليدين، وكنت أقضي أيامي أتدرب على استخدام الذراع اليسرى حتى لا أعاني معاناة أبي في حال تعرضت لكارثة مثل كارثته.

أسوأ ما عاشه أبي كانت ذكرى أنه نادرا ما كان يعانقني حين كان يستطيع فعل ذلك. ولا أعرف في أي لحظة ولا لأي سبب بدأ يحسب أنه مدين لي، لكن هذه الفكرة استحالت هاجسا. وحين كنا بمفردنا، كان يطلب مني أن أقترب منه، وكان يحيط جسدي بذراعه اليسرى ويعلّق كُم المعطف الأيمن فوقي حتى يبدو كأن ذراعا بداخله.

- أشعر بندم جم لأني لم أكن أعانقك..

كان يهمس لي في أذني بينما أحاول أن أحرر نفسي منه، لكني لم أكن أستطيع لأنه كان يحتويني بقوة، بقوة، وليس بالذراع اليسرى كما كنت أظن، إنما بالذراع الناقصة، بذراعه اليمنى. بهذه الذراع الغائبة كنت أشعر بأني مقيد.. وما زلت مقيدا بها.

حكاية أشباح
UNA HISTORIA DE FANTASMAS

حين مات أبي، عثرتُ في واحد من أدراج مكتب عمله على علبة كبريت لم تُستخدم، رغم مرور أربعين عاما أو أكثر عليها. أذهلتني. أعتقد أن مصير الفوسفور هو الاشتعال مثلما مصير النجوم هو الانطفاء. تلك الأعواد، التي قد هربت من مصيرها الحتمي، تقع الآن في يدي لتخلق لي معضلة. افترضتُ في البداية أن رؤوسها قد فسدتْ ولابد أنها، بالتالي، قد ضاعت فرصتها في الاشتعال. لكني فكرتُ بعدها أنه ربما لا، وفي هذه الحالة سأكون أنا أداة القدر لأنفّذ مهمته. وخلال أيام، لعبتُ بفكرة إشعالها، لكني كنت أتراجع دوما ربما مخافة أن تشتعل بالفعل، أو ربما مخافة ألّا تشتعل. فما من احتمالية من الاثنتين بدت مريحة.

بالأمس قُطِع النور، وكنت وحيدا من دون أي شيء أضيئه. وبعد برهة من الانتظار، تذكرتُ علبة كبريت أبي وبحثتُ عنها باللمس بين الأشياء التي تملأ مكتب عملي. وبخوف، سحبتُ عودا وفركته فوق صنفرة العلبة، فقفز لهب في الحال ما إن استقر بدأ يضيء المكان. الغريب أنه حين أضاء لم أر مكتبي، إنما مكتب أبي. وبينما كان ينفد عود الكبريت، كنت أرى مدهوشا كل ركن

مـن أركان غرفـة كان محرمـا عـليّ دخولها وأنـا صغـير. حدقـتُ، تحـت هالـة جنائزيـة تميـز بريـق الفوسـفور، في مكتـب كان أبي يعمـل عليـه، وكان مليئـا، بالمناسـبة، بصـور أيضـا، مثـل مكتبـي، وبجـزء مـن سـجادة باهتـة مترعـة بحـروق السـجائر. بـدا لي أن في عمـق الغرفـة ثمـة صـورة (أمـي؟)، لم أسـتطع تمييزهـا جيـدا لأن عـود الكبريـت حـرق إصبعـي واضطـررت لإلقائـه عـلى الأرض، رغـم أني لا أعـرف فـوق أي سـجادة وقـع، سـجادة أبي أم سـجادتي.

وبينـما كنـت مـترددا في إشـعال عـود آخـر أم لا، عـاد التيـار الكهربـائي وقـررت أن: لا. بعـد قليـل، عـادت زوجتـي وسـألتني مـاذا حـدث لي.

- تبدو كأنك شاهدت شبحا.

لم أقـل لهـا إني شـاهدته بالفعـل، أو كنـتُ أنـا شـبحا واقعـا أضـاءه كبريـت أبي. ومنـذ الأمـس وأنـا أحـاول اسـتحضار الصـورة الغائمـة التـي كانـت في عمـق الغرفـة. كانـت امـرأة، بالطبـع، لكنهـا ربمـا لا تكـون أمـي. الأكـبر مـن ذلـك أنهـا لم تكـن هـي، إذ لـو كانـت هـي لتعرفـت عليهـا في الحـال. صـورة مـن إذن؟ أعتقـد أني لـن أسـتطيع التحقـق مـن ذلـك حتـى يُقطـع النـور مـرة أخـرى، وبهـذا العـذر الأخلاقـي أسـتطيع إشـعال عـود كبريـت آخـر.

الكتابة ضد الرغبة
ESCRIBIR A LA CONTRA

كلـما تسـاءلتُ هـل كان لنـا معلمـون أفاضـل، أتخيلهـم واحـدا واحـدا، ويطـاردني سـؤال آخـر: هـل كان لهـؤلاء المعلمـين تلامـذة نجبـاء. بشـكل عـام، كنـا تلامـذة أشـقياء، لا ينعـم في وجودنـا لا المعلـم الطيـب ولا الشريـر. مـن بـين هـؤلاء كان معلـم الأدب الـذي كان يأمرنـا بكتابـة موضوعـات مختلفـة. فيطلـب منـا، مثـلا، إذا شـاهدنا فيلـما قـد أعجبنـا، أن نكتـب عكـس إرادتنـا، شريطـة أن نكتـب بطريقـة يعجـز أمامهـا القـارئ عـن كشـف الكـذب مـن الحقيقـة. بعـد كتابـة العديـد مـن هـذه الموضوعـات، لفـت انتباهـي أن كثـيرا مـن الأفـلام التـي اعتقـدتُ أنهـا أعجبتنـي سـابقا، ليسـت إلا أفلامـا بـلا قيمـة. تعلّمـتُ أيضـا أنـه بقليـل مـن الموهبـة والممارسـة يمكننـي الدفـاع عـن أوضـاع لا يمكـن الدفـاع عنهـا. إلى الآن مـا زلـتُ أسـتخدم منهـج هـذا المُعلـم، حيـث إن كثـيرا مـن موضوعـاتي أكتبهـا مبـاشرة ضـد رغبتـي، لأني لا أثـق كثـيرا في أن أفـكاري الناتجـة عـن انطبـاع مـا أفـكار صائبـة.

وذات يـوم، أمرنـا المعلـم أن نكتـب موضوعـا عـن آبائنـا. طلـب منـا أن نتخيـل أحدهـما عـلى وشـك المـوت، وعلينـا أن نقـرر أيهـما في هـذا الوضـع. لم نتكلـم في الفُسـحة عـن شيء آخـر.

- أنا أختار أبي -قال أحدنا- لكنه من ينفق على البيت!

- لا تشغل بالك -رد آخر- فأمك ستعيش من المعاش.

- وما المعاش؟ سأل ثالث من بعيد.

لم أكن أدري أيهما أختار، فتخيلتُ كلتا الفرضيتين، واخترت هكذا من سيسبب لي وفاته ألما أشد، فلقد صرتُ خبيرا، أو هكذا كنتُ أعتقد، في الكتابة ضد رغبتي. قتلتُ أبي إذن، وحصلتُ على تسع من عشر، وهي أعلى درجة[19] حصلتُ عليها في حياتي بأكملها، وبفضلها لم أرسب، لأول مرة، في مادة الأدب في امتحان الشهر. هنأني أبي وأعطاني قبلة، فشعرتُ بأن التهنئة والقبلة من رجل حُكم عليه بالموت.

احتملتُ هذا الشعور بالذنب مدة عام، حتى ساقتني المصادفة وبعض الأعراض إلى غرفة المحلل النفسي، وهناك تحققتُ من أن كل الأطفال يرغبون في قتل آبائهم ليستحوذوا كلية على أمهاتهم. إذن، فقد فعلتَ الصواب، أخبرني محللي النفسي، ناصحا ألا أؤنب ذاتي بهذه الطريقة. ما يؤلمني حقا، الآن، أني فعلتُ ما كان متوقعا. وفي هذه اللحظة أتساءل: هل لو كنتُ قد اخترتُ أمي للموت فسأحصل على عشر من عشر، وسيعطونني مرتبة الشرف؟

(19) النظام الدراسي في كل إسبانيا من 1 إلى 10 غالبا وعلى جميع المراحل الدراسية وفي الدراسات العليا.

آباء أصدقائي
LOS PADRES DE LOS AMIGOS

قضيت فترة أدوّن في كراسة كيف يموت آباء أصدقائي، إذ ثمة عمر يموت فيه الآباء ويتغير منظورنا لكل الأشياء. هذا التغير لا يحدث أحيانا في لحظة الموت، إنما بعد مرور أسابيع أو شهور. أبو ميجيل، على سبيل المثال، مات بسكتة قلبية حين انحنى ليأخذ عملة من الأرض، مع ذلك لم يمت في الواقع إلا بعد عام من حرق جثته. لقد ظل ميجيل يشير إليه كأنه حاضر حتى جاء يوم الإثنين، وأشار إليه كماضٍ من دون أن نعرف السبب. وبعد فترة صغيرة انفصل هو وزوجته، كأن أشياء أخرى تبخرت برحيل الأب، أو كأن موته كان شهادة وفاة بميتات أخرى لم نكن قد انتبهنا إليها من قبل.

دفن أنطونيو أباه من دون أن يخبر أحدا من أصدقائه. ولم نعرف إلا بعد مرور أسبوع، وحين سألناه لماذا لم يعطنا الفرصة لمرافقته في هذه اللحظات، رفع كتفيه وحاجبيه في إيماءة تساؤل، كأنه يريد أن يقول إنه أيضا لا يعرف لماذا فعل ذلك. مات أبوه في المستشفى بعد عملية في المعدة لم تكن في البداية خطيرة. وبعد شهر من دفنه، بدأ أنطونيو يرتدي ربطة عنق كان يكرهها طوال

حياته. ثم بدأت تراوده فكرة أن ينجب ابنا، وأنجبه في العام التالي من دون أن يطلع أحدا على شيء. وذات يوم التقينا في حديقة بالمصادفة وأشار لي إلى الطفل الذي كان يرقد في عربة صغيرة. كان طفلا بشعر أحمر، مثله، وبوجه مدهوش.

ربما كان لويس أقدم أصدقائي. تعارفنا في المدرسة وقضيت مئات الأمسيات وأنا أذاكر في بيته. كنت أعرف أباه إذن، وكان صاحب مكتبة للكتب والكراسات. وكان أبو لويس يجمع أقلام الحبر وينظف أغطيتها ظهيرة كل أحد بقطنة مبللة بمادة لها رائحة عفنة. وذات يوم هاتفني لويس وقال لي إن دار المسنين هاتفوه وأخبروه بأن أباه مريض. وكان يريد أن أرافقه لأنه يخاف الذهاب بمفرده. أخذته في سيارتي وتوجهنا إلى هناك، لكن عند وصولنا إلى الدار كانوا قد حملوا العجوز في سيارة إسعاف وتوجهوا به إلى مستشفى. وسريعا ما أودعوه في المشرحة إذ وصل ميتا. تقول الرواية الرسمية إنه مات أثناء انتقاله، رغم أن أحدا قد ألمح إلى أنه ربما خرج من دار المسنين من دون حياة، إذ ربما فضّلوا أن يتجنبوا كل التعقيدات التي يسببها وجود جثة في الدار. المسألة أنه بمجرد وصوله إلى المستشفى أمر القاضي بإدخاله المشرحة ولم يكن ممكنا رؤية الجثة.

- هل تسمحون لي بأن أشاهده ثانية واحدة؟ طلب لويس مستاء.

لكنهم رفضوا، ولا حتى يمكننا رؤيته، غير أني أعطيت إكرامية لشخص فقادنا إلى المشرحة. كان أبوه في داخل صندوق بخزانة معدنية كبيرة، فتحها الحارس وأغلقها مرة أخرى على أنفينا. لم أستطع قط أن أنسى هذا المشهد الذي يشبه مشاهد الاغتيالات

الجماعية في الأفلام الأميركية، لكنه في العمق يشبه أكثر أفلام الليبرالية الجديدة الإيطالية. وحين خرجنا من المستشفى، قال لي لويس إن أكثر ما يتذكره عن أبيه هو المرات التي لم يكن يلمسه فيها.

- لم يكن يلمسني قط!

- حتى ولا أنت صغير؟ سألته.

- حتى، ولا أنا صغير.

كان مهووسا بفكرة أن أباه لم يكن يلمسه إلا قليلا، وقضينا ساعات نتجول بالشوارع ونقلّب هذا الهاجس. وحين وصلت إلى البيت سجّلت هذه الملحوظة: «أبو لويس لم يكن يلمسه إلا قليلا».

ماتت أمهات بعض أصدقائي أيضا، لكن لديّ شعور بأن موت الأم أقل دراماتيكية، وبخاصة في الحالات المرضية. ومن تجربتي، علاقات الأبناء بأمهاتهم أقل غموضا، وأكثر وضوحا. هناك أحزان، آلام، دموع، بل وشعور بالذنب، لكنهم يكبرون بالعقدة التي يمنحها إياهم موت الأب. ربما نكون البطل الضد لآبائنا، ربما نظل آباءنا حتى بعد موتهم. يبدو شديد الوضوح ما تنتظره الأم من الابن، لكن كيف نعرف ما ينتظره الأب.

بالأمس مات أبو خيراردو، زميلي في الكلية، وهاتفني لأنشر النعي في الجريدة. قلت له ألا يشغل باله، رغم أني لا أعرف كيف يُنشر النعي.

- كيف مات؟ سألته.

- لا أعرف، أعتقد أنه لم يكن يرغب في الحياة منذ ماتت أمي.

ماتت أم خيراردو منذ عام. ثمة رجال كثيرون لا يستطيعون الحياة بعد رحيل نسائهم. الطبيعي أن يموت الرجل أولا،

وبالفعل هناك أرامل نساء أكثر من الرجال. وبنفس الطريقة عدد الصفحات المخصصة للرجال في كراستي أكثر من المخصصة للنساء. وأسأل نفسي: ماذا سأكتب حين يغيب أبي؟ هذا في حالة إن لم أمت أنا قبله.

الباب
LA PUERTA

ذات يـوم، وفي أرض فضـاء يشـغل مكانهـا اليـوم حديقـة «لاس أبينيـداس»، عـثرتُ عـلى بـابٍ خشـبيٍّ مرمـيٍّ وفي حالـة جيـدة، مـا يثـير الحـسرة إلقـاؤه هكـذا حتـى لـو لم يكـن لـدى المـرء شيء يغلقـه. هكـذا سـحبته بـأسى حتـى البيـت، وهنـاك فحصـه أبي بدقـة.

- هل أنت متأكد أنك لم تسرقه يا بني؟

- لا، كان مرميا، هذه حقيقة.

مـن وجهـة نظرنـا، كان التخـلي عـن بـاب يشـبه محـو غرفـة، ولم تكـن موضـة الفضـاء المفتـوح التـي ظهـرت بعـد ذلـك بسـنوات طويلـة قـد ظهـرت بعـد. عـلى أي حـال، ولعـدم وجـود مـكان نركّبـه عليـه، بقـي البـاب مسـنودا عـلى حائـط غرفـة الجلـوس، وظـل هنـاك لأيـام كثـيرة كنـوع مـن «الطوطـم» نقيـم لـه طقسـا غريبـا، إذ عنـد المـرور بجـواره كنـا نلعـب في مقبضـه عـلى أمـل أن يفتـح عـلى مـكان مجهـول.

وبالليـل، كنـت أنـام متخيـلا مصـيره السـابق، وبهـذه الطريقـة كنـت أدخـل في أماكـن فانتازيـة تقـع في بيـوت أخـرى بوسـط المدينـة. وخـلال تلـك الفـترة، تجولـت في كل البنايـات المهمـة بمدريـد مـن خـلال ذاك البـاب. لم يكـن يتحتـم عـليّ إلا فتحـه بخيـالي لأتسـلل إلى صالونات

كُتّاب العدل والجنرالات ومهندسي الطرق. كانوا يتمتعون جميعا بحياة مرفهة ولديهم بنات جميلات، صديقهنّ غير المرئي كان أنا.

وفي التمرينات الروحية بالمدرسة حدثونا كثيرا عن باب المستقبل، وأحيانا كنت أفكر أنه نفس الباب الذي عثرت عليه وكنت أسافر أيضا من خلاله إلى المستقبل، حيث كنت أصير، كثيرا وليس دائما، رجلا أميركيا محكوما عليه بالإعدام. والمسألة ليست أن الحكم بالإعدام ليس مطبقا في إسبانيا، بالعكس، لكنه يطبّق بحبل مشنقة حقير، يدوي، وكان يفتقد لأناقة الكرسي الكهربائي أو غرفة الغاز. أما السجناء الأميركيون، على الجانب الآخر، فكانوا يكتبون دائما مذكراتهم قبل أن يعبروا لحياة أفضل، وكان يبدو لي، وكنت أطمح إلى أن أكون كاتبا، أنها أسرع طريقة لبلوغ الشهرة. ومن الذاكرة، بدت لي دوما عجيبة تلك القدرة على السفر بين جنسيتين مختلفتين، من دون حتى أن أعرف الإنجليزية، لكن هذا ما حدث. وبلا شك، كانت أهم سيَري المتخيلة هي تلك التي كنت فيها أميركيا محكوما عليّ بالإعدام. لا أعرف إن كانوا نفذوا فيّ الحكم أم لا، لكن في لحظة محددة بدأت أغازل جنسيات أخرى ومنذ سنوات طويلة لم أعد أزور نسختي الأخروية. أشعر بالخوف: فربما بدلا من زيارة نفسي في السجن، سيتحتم عليّ وضع ورد على مقبرتي.

في النهاية، بدأت أمي تستاء من الباب الموجود دائما في الوسط، وقرر أبي وضعه في عمق الممر حيث صنع له إطارا خشبيا يركّب فيه بدقة توحي باتساع البيت من هذه الناحية. وبالفعل، كنا نفتحه طوال الوقت على أمل أن نجد بالجانب الآخر غرفة نوم أو ممرا آخر، وكنا نندهش على الدوام باصطدامنا بحائط، رغم

أنه في العمق (حتى في عمق الممر) كان منطقيا أن نصطدم بحائط. وأنا كنت ألعب أحيانا بفتحه بعينين مغمضتين، بتصور أني حين لا أرى سيكون من السهل العبور من بُعد لبُعد. ورغم أني كنت دوما أصطدم بالحائط، كما هو طبيعي، كنت أكرر نفس العملية معرضا نفسي لمخاطر جسدية واضحة.

وضَجِرا من تصادمات ابنه شديدة العنف بالواقع، قرر أبي أن يصنع للباب كالونا وإغلاقه درجتين بالمفتاح. لكن الحال غدا أسوأ، إذ بداية من تلك اللحظة كنت أقضي اليوم في النظر من عين الكالون وكنت أرى كل شيء، وبخاصة النسوة في حالات التجرد من الملابس أو ارتدائها للدخول في السرير أو الخروج منه. وكنّ سيدات أميركيات، بالطبع، مثلي أنا تماما. الإسبانيات في تلك الفترة كن ينمن بملابسهن. وكان أبواي مشغولين جدا بهوايتي هذه. وكانا يفكران أني أرى أشياء غير موجودة وكانا يخافان من أن أفقد عقلي. منذ فترة قصيرة رحت لأتغدى معهما، ولاحظت أنهما غطيا عين الكالون بورقة. سألت عن السبب فقال لي إن ثمة جارات أميركيات لا يفعلن شيئا إلا التجسس علينا. لو أن كارثة يمكن أن تحدث، فستحدث.

تحوّل تام
UNA METAMORFOSIS COMPLETA

هاتفني عمي الوحيد الحي متوترا جدا ليخبرني بأن زوجته تتحول لرجل. لقد صارت مكالماته، منذ أحالوه إلى التقاعد مبكرا من شركة تعدين، مصدرا للإزعاج. مع قضاء وقته الطويل في البيت، راح يكتشف أبعادا للواقع المنزلي لم يرتَب أبدا في أنها قد تكون موجودة حين كان ناشطا في حياته العملية. كان يراقب الأشياء الأكثر تفاهة كأنه يعثر فيها على معلومة سرية. فذات يوم رأيته ينظر إلى ثمرة طماطم مقسومة باهتمام يوحي بأنه اخترق كودها الجيني. ربما فعل ذلك، إذ إنه لم يذق السَلَطة بعدها.

كانت زوجة عمي تتحول لرجل، هذا ما قاله لي.

- هل حكيت ذلك لابنتك؟

- كيف سأقول لمرثيدس إن أمها رجل؟ أجاب بعقل سليم على ما يبدو.

كانت ابنة عمي متزوجة منذ فترة وتعيش في الضواحي، لكنها في أيام الأحد تنتقل مع زوجها إلى وسط البلد لتتغدى مع أبويها اللذين يعيشان في بيت إيجار قديم بشارع «رينا بيكتوريا»، قريب جدا من «كواترو كامينوس». لقد كنت معجبا دائما بمرثيدس،

ورغم أني لم أكن قد تجرأت أبدا لألمّح لها بشيء، إلا أنه كان غريبا أن أكون موجودا من دون أن أهاديها بتذكار.

في اليوم التالي رحت لأتغدى في بيت عمي، كما اتفقت معه في التليفون. كانت زوجة عمي في المطبخ فاقتربتُ منها لأحييها بقبلة بحذر، متأثرا بعملية التحول التي حدثني عنها عمي. ولم ألاحظ أي شيء غريب. باستثناء خط شارب خفيف جدا لاحظته في مرات أخرى، وليس دائما. بالتأكيد كانت تنتف شعرها. ثم اصطحبني عمي إلى غرفة الجلوس.

- هل لاحظتَ شيئا؟ سألني مثارا.

- الحقيقة لا.

بدا أن إجابتي أحبطته قليلا وأحزنته. تحسّر أن ابن أخيه المفضّل لم يكن قادرا على رؤية ما هو جليّ. حينئذ حكى لي أنه أيضا في البداية لم ينتبه بسهولة.

- كنت مرتابا، لكني لم أعرف في ماذا -أضاف- حتى فترة قريبة كنا نشاهد التلفزيون فغطّتْ في النوم. حينها أدرت رأسي لأعلّق على شيء فرأيتُ رجلا مرعوبا بجواري.

- بأي معنى؟

- كيف بأي معنى؟ بكل المعاني، بالطبع. ظللت محتارا أتأمل تحولها، وحين انتهتْ استيقظتْ، وقضتْ برهة تراقب فزعي عبر فتحة ضيقة بين جفونها. قلت لنفسي «لقد انتبهتْ»، «انتبهتْ إلى أني انتبهتُ». وبالفعل، بداية من هذا اليوم بدأتْ تتخفى. بدأت تتزين أكثر من ذي قبل، لا أعرف إن كنتَ انتبهتَ لذلك.

الحق أن زوجة عمي كانت تضع قليلا من المكياج، ما كان يعتبر شيئا غريبا. ثم راقبتها خلال الطعام بدقة ولا أعرف إن

كان بدافـع مـن إيحائـه أم مـاذا، لكنهـا بـدت لي رجـلا. تحـول تـام، عَـرْض. وطلبتُ مـن عمـي أن يكـون صبـورا معهـا، «فـلا أحـد يعـرف إلى مـا يمكـن أن تتحـول أنـت»، قلـت لـه. وودعتهـما مأخـوذا مـن هـذه المناسـبة الجديـدة التـي تمنحنـي فيهـا الحيـاة رعبـا مجانيـا.

وبعــد أيــام قليلــة، قابلــتُ بالمصادفــة مرثيــدس ابنــة عمــي في كافتيريــا قريبــة مــن مكتبهــا، وتناولنــا معــا فنجــان قهــوة.

- هل رأيت أبويّ مؤخرا؟ سألتْ.

- تغديت معهما قريبا. قلت.

- وهل لاحظت أن أبي غريب قليلا؟

- أبوك؟ بأي معنى؟

أومـأتْ بإيمـاءة: لا تشـغل بالـك، كأنهـا تريـد أن تقـول إن لم تلتفـت إلى ذلــك بنفســك فليــس مجديــا محاولــة شرح ذلــك لــك. حينئــذ لاحظـتُ أنهـا تشـبه كثـيرا زوجـة عمـي حـين كانـت شـابة وشـعرتُ بحـزن جـم عندمـا حدسـتُ بأنهـا قـد تتحـول مـع مـرور السـنين إلى رجـل. فكـرتُ أني مـع ذلـك سـأظل أحبهـا، إلا إذا تحولـتُ، بالطبـع، إلى كائـن مفهـوم، كـما أنـا الآن بطريقـة مـا. مـن الممكـن، في النهايـة، أن أكـف عـن حبـي لهـا، مـا بـدا لي مريحـا إلى حـد مـا، مثـل هـذه الأيـام التــي تســتيقظ فيهــا وتســتحم وتحلــق لحيتــك وتخــرج إلى الشــارع وتصـل إلى العمـل وتمـتنّ للسـماء أن ضمنـت لـك أنـه عاجـلا أم آجـلا سـيتحتم عليـك المـوت.

الرجل الذي يبصق
EL HOMBRE QUE ESCUPE

ذات يوم، عند عودتي من المدرسة وكنتُ قريبا جدا من البيت، رأيت أمامي رجلا أربكني حضوره لأني لم أتعرف عليه على الفور، رغم أنه كان أبي. وخلال عُشْر الثانية التي عرفت فيها ولم أعرف في نفس الوقت أن هذا الظهر ظهره، شعرتُ بخوف من هذا الإنسان، وربما بشيء أكبر من الخوف، لأني بعد أن تعرفت عليه، التفتَ قليلا وبصق على الأرض.

لم يكن أبي من الأشخاص الذين يبصقون، فغيّر هذا الاكتشاف حياتي. وبالتالي اختبأتُ خلف سيارة وانتظرتُ لبرهة قبل أن أدخل البيت حتى لا يظن أني قد رأيته. ثم صعدتُ السلم وضغطتُ على الجرس، وفتحتْ أمي الباب. وكان أبي في المطبخ يشرب القهوة. كان قد حصل له شيء في العمل لم أفهمه ولذلك عاد إلى البيت في غير الساعة المعتادة. وبعد أن قبّلته بحيطة بقيتُ أراقبه سرا وانتبهتُ إلى أنه لم يعُد أبي، إنما مجرد رجل. كان التحول رهيبا، مثل تحول الحيوان حين يموت إلى مجرد ورم. وذات مرة، في شارع كانيياس، رأيتُ حصانا ميتا، حصان بائع الفحم، فأدركتُ حينها أن الموت هو أن نكتسب هيئة ورم. وأبي كان قد تحول إلى مجرد رجل، وكان

ذلـك هيئـة تشـبه هيئـة الـورم. كان ميتـا، إذن، بأكـثر مـن معنـى. وبالفعـل، كان قـد بصـق في الشـارع، مـا كان يعنـي في تربيتنـا أنـه لم يكـن بعيـدا جـدا عـن المـوت.

وأمـا أمـي، التـي لم تعـد فجـأة زوجـة أبي بـل زوجـة رجـل مـا فحسـب، فقـد تحولـتْ بدورهـا إلى مجـرد امـرأة. امـرأة طويلـة، هكـذا كنـت سـأقول لـو أن الشرطـة قـد اسـتجوبتني، وبشـعر أسـود وتنتعـل كعبَـي إبـرة. ومَـن أكـون أنـا إذن بعـد أن تحـول أبي إلى مجـرد رجـل وأمـي إلى مجـرد امـرأة؟ ربمـا مجـرد مـشروع ورم؟ باتـت ذكـرى الحصـان الراقـد في وسـط الشـارع وسواسـا كأن فيـه يكمـن مصـيري مكتوبـا. وبائـع الفحـم، قبـل أن يُريـه شـخص مـا أن الحصـان قـد مـات، ظـل يضربـه بوحشـية حتـى ينهـض. لكنـه لم يكـن يـضرب إلا ورمـا.

بعـد مـرور عـدة أيـام، سـألتُ أبي إن كان يصـح أن نبصـق في وسـط الشـارع، فأجـاب بــ لا، بالطبع.

- إنها سوء تربية يا بني.

- الحكاية أن مدرّس اللغة يبصق. كذبتُ.

- لا بد أن لديه التهابا في الحلق. أجاب أبي.

تجاهلـتُ معنـى التهـاب في الحلـق، ولم يبـد لي مناسـبا أن أسـأله لأني كنـت أعـرف أن المصائـب لا تـأتي فـرادى أبـدا. عـلى أي حـال، كان أبي، بالإضافـة لكونـه مجـرد رجـل، مجـرد ورم، كان مصابـا بالتهـاب في الحلـق. في تلـك الأيـام أمـروني في المدرسـة بـأن أكتـب موضوعـا عـن عائلتـي. وأنـا كتبـت أن أبي كان مصابـا بالتهـاب في الحلـق، وبالتـالي أمـره الطبيـب بـأن يبصـق في الشـارع. وكتبـتُ «حلـق» بالخـاء فخـطّ المـدرس تحتهـا خطـا بالأحمـر، ليشـير إلى الخطـأ الإمـلائي. مـا زالـت الكلمـة محفـورة في رأسي بالخطـأ الإمـلائي الواضـح بتلـك الطريقـة.

أحـاول الآن كتابتهـا بشـكل صحيـح، أفضّـل كلمـة خلـق عـلى حلـق. نقطـة الخـاء الزائـدة تضيـف اللزاجـة إلى المـرض والبصـاق.

ثـم كـبرتُ خـلال الأشـهر التاليـة. وحـين كنـت أتقاطـع في الممـر مـع أبي أو أمـي، كنـت أعـرف أنهـما في الواقـع مجـرد رجـل وامـرأة. أعتقـد أنهـما لم ينتبهـا إلى أني قـد تحولـت إلى يتيـم. وكانـت الحيـاة قاسـية جـدا بالنسـبة لليتيـم. تصـل إلى البيـت فـلا تجـد مـن تحـكي لـه مشـكلاتك ومخاوفـك وأحزانـك. تنظـر حولـك فـترى امـرأة تصغـي إلى الراديـو أو تشـاهد التلفزيـون، لكنهـا امـرأة بصفـات ورم. ثـم يـأتي صخـب المصعـد وبعـد قليـل يظهـر رجـل ويقبّـل المـرأة ويقبّلـك، ويـشرع في الاسـتماع للراديـو أو يشـاهد التلفزيـون بهيئـة مـن لديـه قصـور ذاتي مثـل الأحصنـة الميتـة في وسـط الشـارع.

منـذ قليـل، كنـت عائـدا إلى البيـت في غـير السـاعة المعتـادة، لأني شـعرت بتعـب في المكتـب، وقبـل أن أدخـل بصقـتُ عـلى الرصيـف. حينئـذ، التفـتُّ ورائي ورأيـتُ ابنـي الـذي كان عائـدا مـن المدرسـة، وتصنّـع أنـه لم يـرني. ثـم تبادلنـا النظـر خفيـة ولاحظـت أني كأب قـد تحولـت فجـأة إلى مجـرد رجـل بالنسـبة إليـه، وربمـا مجـرد ورم. في اليـوم التـالي، جـاء الطبيـب وقـال إني مصـاب بالتهـاب في الحلـق يصيـب الحصـان (حصـان ميـت، فكـرتُ أنـا)، وفي تلـك الليلـة بكيـتُ بمـرارة مـن أجـل ابنـي، اليتيـم.

لديّ قدرات خارقة
TENGO PODERES

ذات يوم من شهر يونيو، وأثناء الغداء، قال أبي بجدية شديدة:

- دوّنوا ما أقوله لكم: اليوم لن تمطر السماء ثلجا.

كان مـن المسـتحيل أن تمطـر ثلجـا. كان الحـر يغطـي مدريـد كبطانيـة، وكانـت حمّامـات السـباحة مفتوحـة. كانـت احتماليـات الخطأ قليلـة جـدا مثـل أن نفـوز في يانصيـب عيـد الميلاد. لكـن أبي قـد اكتسـب مكانـة في العائلـة بفضـل هـذا النـوع مـن التكهنـات السـلبية. إذ لم يقـل أبـدا مـا سـيحدث، إنمـا مـا لـن يحـدث.

- كيف تعرف ذلك؟ كان أخي الصغير يسأل.

- لديّ قدرات خارقة. كان يجيب هو.

ذات يـوم وضعنـا في ممـر البيـت سـلة كـرة السـلة. وكنـت أنـا وأخـي نلعـب بتصويـب الكـرة. وراهنتـه أني أسـتطيع إدخـال سـبع كـرات مـن عـشر، لكنـي اسـتطعت إدخـال خمـس فحسـب. حينئـذ ظهـر أبي وسـأل بجديـة شـديدة:

- عـلى مـا تراهنـاني إن اسـتطعت ألا أدخـل ولا كـرة واحـدة مـن عـشر في السـلة؟

دخـل أخـي في اللعبـة وراهـن عـلى حلـوى. رمـى أبي عـشر كـرات،

وبالفعـل لم يصـب في أي واحـدة. واندهـش أخـي.

- وهذا رغم أني لم أتدرب منذ سنوات. قال بتعالٍ.

- لكن الصعب هو إدخالها. قلتُ مستفزّا.

- بالنسـبة لي، الأصعـب هـو ألا تدخلهـا يـا ابنـي. أجـاب بإيمـاءة أبويـة، وانـصرف لداخـل البيـت. وكان أخـي مثـل الأهبـل. وكان الإعجـاب الـذي يشـعر بـه تجاهـه ملتهبـا.

- لكن ألا تفهم أنه يخدعك؟ كنت أقول له.

- لا. كان يجيب هو.

وذات مرة رآني أبي وأنا ألعب الضغط.

- هل تستطيع ألا تعد مئة ضغطة؟ تحداني.

- نعـم أسـتطيع. قلـت أنـا وبـدأت: واحـد، اثنـان، ثلاثـة، أربعـة... وفي الخامسـة والتسـعين تهاويـت أمـام نظـرة أخـي الحمقـاء الـذي كان يعتقـد بقدمـين مضمومتـين بــ «قـدرات» أبي.

حينئـذ، لينهـي المعركـة، أكـد أبي أنـه لا يسـتطيع عمـل ثـلاث ضغطـات.

- كيف لا تستطيع على ثلاث ضغطات؟ قال أخي.

- ولا حتى ضغطتين -أضاف هو- على ما تراهن؟

- على ما تريد.

نزل أبي إلى الأرض وبدأ في لعبة الضغط وتهاوى.

- هل رأيت؟ -قال- لديّ قدرات.

كنـت أمقـت إيمـاءة التعـالي التـي بهـا كان يحقـق تلـك التكهنـات العبثيـة. كنـت أفكـر أحيانـا في اللعـب في أرضـه وأقـول لـه إن قـدراتي تؤكـد لي أني سأرسـب في الرياضيـات. لكـن لم يكـن ضروريـا أن يكـون لـديّ قـدرات لأتكهـن بذلـك. إذ لم أنجـح فيهـا أبـدا. وأيضـا، كنـت

أتمنى أن تكون لي قدرات حقيقية، حتى أذله أمام كل العائلة. على أي حال، بما أني كنت عاجزا عن الصمت أمام هذه الاستفزازات، أجبته يوم الثلج ذاك:

- دوّنوا ما أقوله: بين اليوم والغد تمطر السماء ثلجا في مدريد.

انفجرت أمي في الضحك، وأبي أيضا، وأخي، لأنه كان تكنها طائشا.

في تلك الليلة لم يغمض لي جفن. صليت لكل القوى. وعدت الرب أنه لو أثلجت فسأواظب على القداس كل يوم طوال حياتي. وكل خمس عشرة دقيقة كنت أصحو وأطل من النافذة. وفي الخامسة تقريبا وقعتُ منهكا على الملاءات وغططت في النوم. ثم صحوت مرتجفا، إذ لم أتغطّ بشيء. فتحت عينيّ ونظرت صوب النافذة، ورأيت أن الجو بلون الشتاء. رأيت أيضا أن ثمة قطع ثلج تتساقط كما لم يحدث أبدا في مدريد. اعتقدت أني أحلم، لكني قرصت نفسي في ذراعي كما تفعل الشخصيات الكارتونية، وتألمت. ثم أيقظت أخي الذي كان ينام في السرير المجاور، وأريته البانوراما.

في يونيو عام 65 أو 66، سقطت على مدريد عاصفة ثلجية بطريقة استثنائية؛ لكني كنت محظوظا لأني راهنت عليها وكسبت الرهان. ثم استحلتُ أبا لأخي الذي كان يسألني بإعجاب كيف تكهنت بالثلج.

- لديّ قدرات. قلت.

وأبي تهرّب مني طوال اليوم ثم بدأ ينحدر، وغدا عجوزا. أما أنا، فعلى عكس ما اعتاد أن يفعله هو، لم أحتفل لمدة أسبوعين بنجاحي، غير أني لاحظت أن رصانتي كانت أكثر تأثيرا من خفّته.

رائحة البنزين
EL OLOR DE LA GASOLINA

عندما كنت صغيرا، سمعتهم يتحدثون مرات كثيرة عن جبال «سيّرا دي مدريد»[20]. بعض زملائي كانوا يعرفونها، والأثرياء كانوا يتباهون بامتلاك بيت هناك في «ثِرثِديّا». وأنا كنت أحتفظ أمام هذه التعليقات بحيرة الأطفال الصامتة حين لا يفهمون شيئا. «سيّرا» ليست إلا منشارا يستخدمونه في العمل[21]. وفي بيتنا كان ثمة منشاران، أحدهما للخشب والآخر للحديد. وسريعا ما تعلمت النشر، ففي تلك الفترة كنا نحن من نقوم بعمل النجارة، رغم أنها لم تكن تُسمى هكذا حينذاك. لم يكن لها أي اسم. وحين كنت تضطر إلى إصلاح باب، كنت تمسك بالمنشار وتقطع ما تحتاج إلى قطعه بالضبط.

ذات يوم اشترى أبي «فيسبا»[22]، ولم أتأخر في تعرية غطاء خزان البنزين الذي كان تحت المقعد. كان يشبه أغطية زجاجات المشروبات الغازية، الفارق أنه عند فتحه كانت تفوح من تحته رائحة تصيبني بالجنون. حينئذ لم أكن أعرف أن له خصائص

(20) سلسلة جبال شهيرة بالعاصمة الإسبانية عادة ما يسكنها الأثرياء [المترجم].

(21) سيّرا بالإسبانية تعني المنشار كما تعني سلسلة جبلية، وهنا يلعب المؤلف لغويا بهذا المرادف [المترجم].

(22) دراجة نارية صناعة إيطالية معناها الدبور.

المخدر. وإلى الآن لست على يقين. على أي حال، كان هذا مفعوله عليّ. وفي الصيف، وبعد الغداء، حين ينام أبواي القيلولة، كنت أخرج إلى الممر حيث يركن الفيسبا وأقترب من الخزان بأنفي. كان من الممكن أن أقضي ساعات وأنا أمتص هذا الفوحان الذي كان يثير خيالي إلى قمته. ولم يكن غريبا أني تحت تأثيراته كنت أتخيل أن لدينا بيتا في «سيّرا» بدلا من أن يكون لدينا «منشاران» في البيت.

لسبب ما لا أذكره الآن، بقيتُ أنا وأبي في البيت. لابد أننا كنا في يوليو أو أغسطس. وأنا قد تعاطيت للتو جرعة من البنزين وكنت جالسا على الأريكة. حينئذ ظهر أبي وقال:

- هيا لنذهب إلى «سيّرا».

- ماذا؟

- هيا لنذهب إلى سيّرا أنا وأنت، لنقضي الظهيرة.

قولا وفعلا. ركبنا الفيسبا وبعد ساعة تقريبا تعرض المنظر لتغيير جذري وتحول إلى ديكور. نزّهني أبي بهذا المنظر العملاق، حيث كانت هناك صخرة مرعبة وبعيدة تُسمى «المرأة الميتة»، ودعاني إلى الكوكا كولا التي بدأت تُباع في إسبانيا. ثم هممنا بالعودة حين اقترب الغروب. أثناء ذلك، أوقف أبي الفيسبا في أحد جوانب الطريق وطلب مني أن أركّز في الضوء.

- ركّزْ في هذا الضوء. الآن لسنا في النهار ولا في الليل. هذه هي اللحظة الأكثر ارتيابا في اليوم. وفيها من الممكن أن يحدث أي شيء.

انتابتنا السكينة، وبقينا في صمت كاتمين أنفاسنا، لكن لم يحدث شيء. سقطت الشمس عدة أمتار للوراء وتحول الغروب إلى ليل صافٍ وقاسٍ.

- لقد مر الخطر -قال أبي- هيا بنا.

ضغط على دواسة البنزين فأصدر موتور الفيسبا هديرا، وحين أصبحنا على وشك أن نركبه، أضاف:

- بعد سنوات طويلة، عندما تغدو كبيرا ولن أكون موجودا بينكم، سيكون لديك سيارتك وستمر بهذا المنظر أكثر من مرة. ربما تمر ذات مرة في نفس هذه الساعة وتتذكر هذا اليوم الذي جئنا فيه إلى «سيّرا» معا. إن حدث ذلك، توقف بالدراجة النارية للحظة وانتبه لما يحدث في الهواء؛ إن رأيت مرور عصفور أسود، فاعلم أن العصفور الأسود هو أنا.

الحدث أصابني بالذهول، وظل في ذهني مرتبطا بخيالات تثيرها رائحة البنزين. كان أبي قد قال: «هذه هي اللحظة الأكثر ارتيابا في اليوم». لا أعرف إن كانت هذه أول مرة أسمع فيها هذه الكلمة: ارتياب، لكنها المرة الأولى التي ترجفني. طعمها يشبه طعم تلك الساعة التي فيها لم تكن الظهيرة لا سمكا ولا لحما، ومن الممكن أن يحدث أي شيء.

نسيت الحكاية. غير أني منذ فترة قريبة كنت عائدا بالسيارة من شمال إسبانيا ومررت بـ «سيّرا» في لحظة كان فيها النهار يبدو مترددا بين المقاومة والاستسلام لقوى الليل. وكان ممكنا، بالفعل، حدوث أي شيء. توقفتُ بالسيارة في طريق جانبي، ثم، بشعر واقف، خرجتُ إلى الطريق السريع. كان ثمة صمت. حينئذ، شيء ما تحرك على يساري وفجأة عبر الطريق عصفور أسود وتاه في الظلام الذي كان يبدو أنه يأتي من الأفق. دخلتُ السيارة وبكيتُ كما لم أبكِ حين مات أبي.

الحياة

LA VIDA

ميول الطبقة الوسطى
UNA VOCACION DE CLASE MEDIA

كان بيثنتي أولجادو يكتب روايات تجارية لا يهتم أحد بنشرها، وبالتالي كان يعيش من مساعدة أخي زوجته المشلول وسيئ الطباع الذي رحب به الزوجان في بيتهما ليستفيدا من إعانة الإعاقة. كان بيثنتي يطارد النجاح ليتمكن من التخلي عن صهره ويقيم ككاتب حقيقي في الغرفة التي يشغلها الآخر، وهي أفضل غرفة في البيت. غير أن الناشرين كانوا يعيدون إليه مخطوطاته، رغم أنها كانت تحتوي على عدد هائل من التوابل التجارية، ولسبب غريب لم تكن تؤتي ثمارها المرغوبة. وليس لأنه ينقصه طموحات أدبية، إنما قد قرر تأجيل كتابة عمله العظيم حتى يبلغ وضعا اقتصاديا أقل ضيقا.

أثناء ذلك، كان يعمل في ركن ما بالمطبخ، محاصرا بروائح خضار وبصرير كهربائي لكرسي متحرك ينقل المعاق العصبي من طرف الشقة إلى طرفها الآخر. ولم يكن لزوجته كذلك أي نشاط إنتاجي، إذ بعد قليل من سقوط مَنِّ الإعانة الأخوية عليهما، غدت مدمنة للأفلام الوثائقية حول الطبيعة، وكرّست حياتها لإنقاذ السلحفاة الجلدية بالمحيط الهادي، وعن هذه السلحفاة جمعت في وقت

قصير وثائق غير عادية.

وذات يوم، استعرض لهما صهر بيثنتي كرسيا متحركا بعجلات معدنية، وأثناء العشاء جرّب أمام نظراتهما الحقودة فاعليته. بنصف تكلفة هذا الجهاز كان يمكن لبيثنتي أن يكتب لمدة عام من دون أزمة مالية، وكان يمكنها تأسيس جمعية خيرية للدفاع عن حق السلحفاة الجلدية بالمحيط الهادي. وبعد الحلوى، راح الأخوان معا ليشاهدا التلفزيون فيما واصل بيثنتي في المطبخ وحيدا، يتبادل كلمات مع صديق غير مرئي، وهي العلاقة الشخصية الوحيدة التي استطاع الحفاظ عليها منذ كان في المدرسة.

- هل انتبهت؟ البعض معه الكثير والبعض معه القليل.

- هل قلتَ ليس معه القليل أم معه القليل؟ رد الصديق غير المرئي.

- قلتُ معه القليل، معه القليل.

- معذرة، ظننت أنك تلعب بالكلمات. صهرك في النهاية رجل حُكِم عليه بالحياة على كرسي متحرك. هل تحب أن تكون مشلولا؟

- إذن، انظر. بما أنك فتحت الموضوع، نعم. انظر إلى ثيربانتس.

- ثيربانتس كان أكتع، ولم يكن يتحصل على إعانة إعاقة. أفكر أحيانا أنك لا تريد أن تكتب عملا عظيما، بل تطمح إلى أن تؤمّن حياتك. الكاتب الحقيقي ينبغي ألا يقدّم الراحة المالية على تحقيق غايته.

- استمر، استمر. أنا اليوم جاهز لتعارضوني.

كان صديق بيثنتي غير المرئي ناقدا أدبيا، ولم يكن يقبل طريقته في اشتراط الراحة المالية أولا قبل أن يشرع في عمله العظيم. الأسوأ من ذلك: منذ فترة وهو يلمّح له إلى أن الضيق الاقتصادي ليس في

الواقع إلا عذرا ممتازا حتى لا يعترف بنقص موهبته.

- طريقة جيدة في النهاية: إلقاء الذنب على الظروف الخارجية ونقص الإمكانات. أضاف.

عض بيثنتي لسانه حتى لا يرد عليه بما يستحق. ثم، بإيماءة مرهقة، أخرج من الثلاجة حزمة أوراق، ومن درج الشُّوَك والسكاكين قلما جافا، وحاول التركيز في كتابة عمل بست سيلر. لكنه لم يستطع؛ موقف الناقد أثار فيه موجة من الحقد، ومن الحسد؛ وبعد كل شيء، وبحسب معرفته، كان صديقه قد انتصر كناقد غير مرئي، بينما فشل هو ككاتب مرئي في كل أيام حياته.

- حظ سيئ كذلك أنك أصبحت ناقدا، رغم وجود مهن كثيرة في الحياة! صرخ في النهاية ورمى القلم على المنضدة بعصبية.

- هل قلتَ مع ذلك أم كذلك؟

- قلتُ كذلك، كذلك.

- إذن قد يضايقني مصادفة أنك أصبحت كاتبا كذلك.

- لكنك أصبحت ناقدا بعد أن أصبحت أنا كاتبا بقليل، لتطاردني. اعترف بأنك قضيتَ حياتك تحاربني.

- لا تشكُ. رغم أنك لم تنشر شيئا، فأنا دائما كتبت نقدا بارعا عن كتبك. أنت نفسك قرأته.

- وبماذا يفيدني نقدك غير المرئي في الجرائد غير المرئية التي لا تصل إلا إلى قراء غير مرئيين؟ كذلك، فأنت لم تعاملني بتقدير في المناسبة: غفرت لي نعم، لكنه ليس نفس الشيء. لم نتحدث عن ذلك قط، لكن، ولأنك فتحت الموضوع، سأقول لك إني كنت أفضّل السب أو الإهانة على هذه النبرة المتسامحة التي تشير بها إلى أعمالي.

- أفعل ما أستطيع.

- أحيانا أفكر أني محاط بمجانين؛ صهري وشغفه بالكراسي المتحركة، أنت ووساوسك الأخلاقية المستمرة، إذ تبدو كراهبة أكثر منك ناقدا؛ وزوجتي المهووسة بإنقاذ السلاحف الجلدية من المحيط الهادي.

- زوجتك أكثر نزاهة منك.

- لكن المسكينة لا تعرف أين يقع المحيط الهادي، ولم تر أبدا أي سلحفاة، ولا حتى جلدية! الشيء الوحيد لدينا في هذه الشقة هي الصراصير، كما ترى، وهي نفسها تقتلها بمبيد حشري كيميائي له رائحة قاتلة. وبالأمس نفسه اضطررت لقتل صرصور كان يحتضر بألم وراء المرحاض برئتين ممزقتين بهذا النوع من النابالم الذي يكسوه.

- لا تكن سفسطائيا.. ليس للصراصير رئتان.

- أيا كان. لا أفهم لماذا يبدو لها شريفا الدفاع عن السلحفاة الجلدية بالمحيط الهادي، ولا نعرفها إلا من التلفزيون، أكثر من الدفاع عن صرصور عادي في نهاية المطاف يشكل جزءا من النظام البيئي العائلي، ويخلف وراءه عند تغيير جلده، بحسب اليابانيين، مادة مضادة للسرطان...

- بالطبع، فالأسهل الكفاح من أجل الشيء المعروف، وهو في النهاية ما تفعله أنت عندما تكرر الكليشيه مرة وثانية في رواياتك الرخيصة. المغامرة هي أن تراهن بحياتك من أجل شيء مجهول، أو بكلمات أخرى، المغامرة بكتابة روايات لم تُكتب بعد. واليوم الذي يحتوي فيه أدبك نفس كمية مخاطرة زوجتك البيئية وطموحها، سأفكر أنك ما تزال تتمتع بإمكانيات أدبية، حتى ولو حاولت

كتابة سلحفاة جلدية وكانت النتيجة مجرد سلحفاة عادية.

لف بيثنتي رقبته في إيماءة لانتهاء الحوار. ثم أمسك بالقلم من جديد وبدأ يكتب ألف باء بإيماءة مركزة ليبدي أهمية أدبية. وبعد أن ملأ سبع صفحات بهذه المادة بدأ يهدأ، وحاول تخيل كيف يمكن أن تكون الرواية في شكل سلحفاة جلدية. لابد أن الفكرة ستكون مجعدة، أو ربما لها طبقات جلدية، من نوع القشرة الضخمة. وكان هذا هو التجديد، بالطبع، بمصطلح أدبي. الحبكة، إذن، ستكون بالداخل وستمثل المنطقة الناعمة بالرواية، بينما سيكون الشكل هو الصَدَفة. وفي حالة موت الرواية (يقول لنفسه «الله لن يرضى بذلك»)، واختفاء الفكرة لتحللها غير المتماسك باللحم، سيبقى الهيكل الخارجي كشهادة شكلية على عمل عظيم. وعندما تذكّر أنهم يصنعون من صدفة السلحفاة أمشاطا ودبابيس للشعر، هاجمه وسواس خافت بفكرة أن كتابه قد يتحول في المستقبل إلى شيء يباع في محلات العطور، لكنه انتبه في الحال إلى أن الفكرة لها جانبها الإيجابي، هكذا دوّن الملحوظة ليطوّرها في اليوم التالي، وفكر أنه في تلك الليلة قد كرّس وقتا كافيا للخلود. كان التلفزيون قد انطفأ منذ برهة، وبالتالي لابد أن صهره وأخته قد ناما.

نهض، وضع الأوراق في الثلاجة والقلم في درج الشُّوَك والسكاكين، ثم توجه إلى غرفة النوم بشعور راحة محفز. كان مشروع كتابة رواية باتباع القواعد الشكلية والمضمونية لسلحفاة تعيش خطر الانزواء يبدو له ثوريا تماما. وفي المستقبل قد يُقال إن بيثنتي أولجادو قد استلهم كنموذج أدبي سلحفاة جلدية بالمحيط بنفس استلهام جويس لـ هوميروس ليكتب «عوليس». كان يتخيل

موسوعات المستقبل تكتب: «تجديد أولجادو يكمن في أنه شيّد رواية بظفر قدم، لنقولها هكذا، بحيث ستعمل القشرة الدماغية للأبد كمكان فارغ أو كقالب لمنطقة القصة اللحمية، والقابلة للفساد بسبب طبيعتها ذاتها».

كانت زوجته نائمة؛ لو لم تكن كذلك لأيقظها (يا للحماقة، صحح لنفسه) ليحكي لها أن بين يديه مشروعا مهمّا، وجاهزا لبلوغ المجد معها لو أمدته بوثائق حول السلاحف المائية بالمحيط الكبير. وكان قادرا على تبصُّر الإهداء: «إلى زوجتي، فلولا معارفها حول سلاحف المحيط الجلدية لما خرجت هذه الرواية للنور». ربما كان إهداء مبالغا فيه، قد يوحي بأن جزءا من استحقاقه الأدبي يستحقه آخر. كذلك، فكّر في الحال أنه لو اقترح عليها تبادل مصالح كريم، فستلقي هي في وجهه مرة أخرى أن عليهما أن يعيشا من أموال أخيها المعاق، كما يحدث كلما حاول أن يشركها في أي مشروع طليعي. لم يستطع جنونها بالحيوانات الغريبة أن يلغي مزاجها الانتهازي الذي يتجلى في هذا النوع من الحوارات الفنية. ربما من الأفضل ألا يحكي لها.

اضطجع وهو ينظر إلى السقف، وتذكر أزماته الاقتصادية التي عكّرت مزاجه مجددا حين أدرك أن عليه أن يؤجل كتابة تلك الرواية حتى تحقيق استقرار بات يبتعد أفقه يوما وراء يوم. حينئذ، ومن دون أن يضيف شيئا من جانبه، كأنها فكرة منبثقة من رأس آخر وقابلت رأسه بالخطأ، بدأ يخطط لموت صهره. حَسبَ أن بوسعه أن يقضي عليه لو وضع له في طعامه كمية يومية من المنتج الكيميائي الذي تستخدمه الزوجة لقتل الصراصير. وفي الحالة التي سيكون عليها المسكين، بأزمة تنفسية

وقلبية متكررة، سيوقع الطبيب شهادة الوفاة من دون اللجوء إلى تشريح الجثة. كم سيستغرق حتى يموت؟ أربعة شهور، خمسة؟ لا يهم، يمكن أن ينتظر حتى مدة عام أو عام ونصف. المهم أن تتم العملية على مهل حتى لا تثير الشبهات.

كان صهره يمتلك، بالإضافة لإعانة الإعاقة، بعض مدخرات غير معلوم مقدارها، وشقة فاز بها كتعويض عن حادثة العمل التي أقعدته على كرسي متحرك. وحسب أنه، من بين أشياء وأشياء أخرى، يمكن أن يعيش هو وزوجته، عقب وفاة الصهر، فترة ضرورية من دون ضائقة حتى يحقق نفسه في عالم الأدب الصعب. وعالم السلاحف.

ثم نام بهذه الخطط التي واسته، وفي الصباح، وبمجرد أن استيقظ، راح ليحبس نفسه في الحمّام ليحكيها لصديقه غير المرئي. غير أن هذا تلقاها بوجه عابس، ما أغضب بيثنتي جدا. في طفولتهما، كانا دائما متواطئين في فعل كل نوع من الحماقات، لكن بعد ذلك، وكلما كبرا، كان غير المرئي يمتلئ بالقيم الأخلاقية التي بلغت ذروتها عندما غدا ناقدا أدبيا. كان بيثنتي سيقدّر بلا ثمن أن يشعر بالدعم العاطفي في مغامرة جرائمية بهذه الخطورة. بعد كل شيء، كان الناقد غير المرئي يكره أيضا أخا زوجته وفي أحيان كثيرة اختبرا معا خسته وعصبيته.

- لكن إن كان طفيليا -برر لنفسه- من ذا الذي سيهتم إن اختفى؟ انظر في أي ظروف أعمل. أحتاج إلى غرفة وقليل من المال حتى أبدأ الكتابة بجدية. بالتحديد، لديّ فكرة قصة لها شكل القشور ويتطور مضمونها داخل صدفة سلحفاة، مثل رؤوس السلاحف الجلدية بالمحيط.

- إنـه كائـن حـي. مـن غـير الأخلاقـي أن تحـاول تشـييد شـهرتك الأدبيـة عـلى جريمـة.

- وما علاقة الأدب بالأخلاق؟

- ثمـن تجاهلـك لهـذه العلاقـة هـو هـذه الروايـات التافهـة والرخيصـة التـي تعذبنـي بهـا ولا تقبـل بنشرهـا أي دار نـشر.

بـدا غـير عـادل لـ بيثنتـي موقـف صديقـه غـير المـرئي، فنهـض بعنـف مـن فـوق المرحـاض ونظـر إلى عينيـه نظـرة ينقصهـا الاتفـاق.

- كلـما كنـتَ تحتـاج إليّ، كنـت أقـف بجانبـك! ولم تسـبب لـك صداقتـي حتـى الآن أي مشـكلة! في المقابـل، بسـببك أخـذوني وأنـا صغـير إلى الطبيـب النفـسي!

- بسـببك أنـت! لقـد حذرتـك ألـف مـرة لتحدثنـي بصـوت خفيـض. كذلـك صدّقـتَ في الجلسـة الثالثـة عـلى كلام الطبيـب النفـسي، وكلام مدرسـيك وأبويـك. قلـتَ لهـم إني غـير موجـود، إني غـير موجـود وإني غـير موجـود، أتذكـر ذلـك جيـدا جـدا، لم أسـتطع أن أنسـاه أبـدا. هـل تعتقـد أنـه لم يؤلمنـي أن أنكرتنـي ثـلاث مـرات بهـذه الطريقـة؟ أنـت يهـوذا، هـذا هـو أنـت، مجـرد يهـوذا!

- ومـاذا كنـت تريـد أن أفعـل؟ كانـوا يطاردوننـي طـول اليـوم وكانـوا سـيحجزونني لـو لم أصـدّق عـلى كلامهـم!

- الحقيقـة أنـك منـذ ذلـك الحـين لم تتجـرأ عـلى الحديـث مـع أحـد عـن وجـودي، ولا حتـى مـع زوجتـك حـين كنتـما خطيبـين وكنـت تشـاركها كل أسرارك.

- لكن، هل تريد أن يظنوا أني مجنون أم ماذا؟

- هـذا مـا يقتلـك: مـا يقولونـه. سـأقولها لـك بخمـس كلـمات: أنـت رجـل برجـوازي جـدا وفاسـد. لا أعـرف كيـف صدّقـتُ أنـك سـتكتب

شيئا جديرا على الأقل بهذا الميل المتجذر في الطبقة الوسطى!

- وأنت، يمتلئ فمك الآن بالجدارة، لكني على علم أنك مستشار لثلاث دور نشر أو أربع غير مرئية، وأنك لا تتجرأ أن تكتب نقدا موضوعيا عن إصداراتها. وعلمت أيضا، عندما عيّنوا أباك مديرا عاما للكتاب غير المرئي، أنك استفدتَ من منصبه بأن أعطيت محاضرات غير مرئية في كل المراكز الثقافية غير المرئية التابعة لنطاقه. وبالتالي، عليك أن تطبّق على نفسك ما تقوله.

- انظر يا بيثنتي، لقد فعلتُ ما استطعتُ منذ كنا أطفالا من دون أن أفكر في أدائك الخسيس معي كل يوم. لكني مللتُ ولن أخفيك ما أفكر فيه ولا دقيقة واحدة: أنت لا ينقصك الموهبة فحسب، إنما أنت بائس أيضا. رجل بائس. وربما الأول نتيجة للثاني، وهكذا انس الأدب وكرّس حياتك لشيء آخر.

كان صديقه غير المرئي سيضيف شيئا، لكن الفرصة لم تسنح لأن بيثنتي سحب صبّانة الحمّام ذات البلورة الصخرية وصدمها برأس صديقه بغضب بينما كان يطلق اللعنات بكل الأحجام وبصوت صارخ.

- هل حدث شيء يا بيثنتي؟ سألت زوجته بصوت قلق من الجانب الآخر للباب.

توقف أولجادو للحظة وهو يلهث وقال: لا، إنه كان يحاول غناء أغنية لا يحفظها جيدا. ثم رأى الجسد غير المرئي لصديقه ميتا، وفي جبهته شق ينبثق منه شلال دماء غير مرئية يغرق وجهه فتضيع ملامحه كلها. بشكل فطري، غسل الصبّانة ومسح الأرضية بالممسحة المبلولة. لكن ماذا سيفعل في الجثة؟ بالطبع لن يراها أحد حتى لو تركها في مكانها، عند طرف المرحاض؛ لا أحد

باستثنائه هو، مَن يتحتم عليه تتبع تحلل الأعضاء اللينة لعدة شهور (هل ستكشف الأنسجة العضلية عن العظام؟). بدت له فكرة غير محتملة، هكذا فتح نافذة الحمّام المطلة على منور داخلي صغير، وألقى بالجثة في الخارج، وسمع ارتطامها غير المرئي بالأرض، في نفس اللحظة كان صهره يطرق الباب ويصرخ بأنه منذ نصف ساعة وهو محصور، وأن الآخرين لهم احتياجاتهم أيضا.

- انتظر! صرخ بعصبية، وأغلق النافذة مقللا صخب الإحكام بممسحة ملفوفة عليها.

في نفس تلك الليلة، وبعد يوم طويل من التوتر، بدأ تأنيب الضمير. أو ربما الخوف. وفي البُعد غير المرئي، ربما لاحظوا أو على وشك أن يلاحظوا غياب صديقه، رغم أنه كان أعزب وليس له، بالتالي، أي زوجة غير مرئية تفتقد إليه. وبلا شك، سيتأخرون في العثور على جثته، لكن حين يعثرون عليها، سيبدؤون في التحقيقات. لم يكن لدى أولجادو أي فكرة عن إجراءات الشرطة في هذا البُعد، لكن مجرد التفكير في أنه ذات يوم، حين يستيقظ، سيجد مفتشين غير مرئيين في انتظاره، كان كافيا لإرعابه. قضى أسوأ ليلة في حياته، وخمّن أنه ربما كانت بين السلطات الشرطية المرئية وغير المرئية ثمة اتفاقيات شبيهة بتلك الموجودة بين الشرطة الإسبانية والفرنسية. وحاول خلال برهة أن يفصل الذنب عن الخوف، ليفرّق بين كتلة كل من الشعورين ومن ثم يحاربهما بطريقة خاصة، لكنهما كانا معقودين بطريقة لم يجد معها تمييز أحدهما عن الآخر. في النهاية، سقط في هذيان المطاردة المميت وبقي طوال الليل مستيقظا.

عند الصباح، وبارتجاف ونبض مضطرب من الحمّى، راح للحمّام وأطل من النافذة ورأى الناقد الأدبي غير المرئي في نفس الوضع الذي

سقط به، برقبة مكسورة وعينين مفتوحتين في اتجاه السماء، كأنه يحسب المسافة التي ألقوه منها. كانت أسراب من الذباب غير المرئي تطن حوله وتستريح في المناطق المتخثر فيها الدم. لقد أدى التحقق من أن الجريمة لم تكن محض كابوس إلى مضاعفة الحمّى في ثوانٍ، وإلى تشنجات عصبية. في تلك اللحظة سمع زوجته تصرخ، في حالة جنونية، بشيء يتعلق بأخيها، غير أنه لم يكن قادرا على استماع ما تقوله، إذ كان معلقا كما كان في إحباطه ذاته. وبعد أن أغلق النافذة ليتجنب تسلل الانبثاقات غير المرئية للجثة إلى البيت، خرج من الحمّام وتوجه راكضا إلى التليفون وضغط على رقم الشرطة.

- لقد ارتكبتُ جريمة. أعلن منهكا، وأعطى اسمه وعنوانه للشرطي الذي رد عليه.

ثم وضع السماعة، وبعد نوبة الراحة التالية للاعتراف انتبه إلى وجود زوجته التي كانت تراقبه بنظرات رعب من الطرف الآخر للصالة.

- هل قتلت أخي؟ هل كنت أنت، يا خسيس؟

عَبَرَ بيشنتي من بُعد إلى آخر بوجه مرتعب وأدرك مرتبكا أن حبكة مجعدة ومظلمة وطائشة كانت تبزغ من قشرة الواقع.

- ماذا تقولين عن أخيك؟ أنا لم ألمس شعرة منه في حياتي.

ركض لغرفة صهره، وبالفعل كان ميتا فوق سريره وبتعبير مستاء كما كانت عادته، وبوجه أخضر قليلا. حاول أن يزيل سوء الفهم، لكن حين تمكن من إيقاف زوجته عن الصراخ وأن تجلس على الأريكة لتسمعه، كانت الشرطة قد وصلت وقبضت عليه.

- الحقيقة أن ميّتي ليس هذا، بل مَن بالمنور الداخلي. دافع عن نفسه بوهن بينما كانوا يلبسونه القيود.

تطلّع رجال الشرطة من نافذة الحمّام ولم يروا شيئا.

- ما من أحد هناك بالأسفل.

- الحكاية أنه غير مرئي. دلل بحيطة ما.

بعد هذه اللحظة، سار كل شيء بسرعة دهليزية. أمر القاضي بتشريح الجثة، واكتشفوا في الشعر والأظافر كمية غير طبيعية من الزرنيخ المشتق، بحسب الخبراء، من مبيد حشري منزلي. واستنبطوا أن عملية التسمم كانت بطيئة حتى لا تخلف وراءها علامات مميزة للتسميم، وبالتالي لا تخلف ما يشي بها، وبالرجوع إلى الملف الطبي للضحية، ستمر الجريمة من دون لفت للنظر.

في جلسته الأولى، أصر بيثنتي أمام القاضي على مسؤوليته عن جريمة قتل صديقه غير المرئي فحسب.

- ناقد عنيد -أضاف- كان دائما ما يشكك في موهبتي الأدبية.

بالوصول إلى هذه النقطة، أمر القاضي بأن يُعرض على فريق طبي نفسي، ما بدا للمحامي أفقا يمنح الأمل في دفاعه.

- ما يتحتم عليك فعله -نصح المحامي بيثنتي- هو أن تتكلم طوال الوقت مع صديقك غير المرئي وتلح على وحشيته عند ساعة الحكم على كتاباتك.

- لا أفهم -أجاب أولجادو- حين كنت صغيرا كانوا يؤكدون لي أن الأفضل حتى لا أواجه مشكلات مع السلطات هو إنكار وجوده، والآن تطلب مني أنت أن أفعل العكس. لا أعرف ماذا أفعل، حقيقة.

- افعل ما أقوله لك وكل شيء سيسير على ما يرام. لو حصلنا على شهادة معاملة أطفال، فسيحبسونك في مستشفى أمراض نفسية، والخروج من هناك أسهل من السجن. وفي وقت أقل.

- لكن لماذا وأنا صغير كان يؤذيني أن أبدو مجنونا والآن، وأنا كبير، أستفيد من ذلك؟

قرر بيثنتي أن يطيعه، وفي مقابلته مع الأطباء النفسيين أكد وجود الصديق غير المرئي، لكنه فعل ذلك بقليل من الاقتناع، متذكرا الفوائد التي حظي بها في المدرسة عند إنكاره له. وكانت النتيجة تقريرا جاء فيه تقريبا أنه شخصية ذات ميول للكذب، رغم أنه واعٍ لتصرفاته، وبالتالي حكموا عليه بعشرين سنة ويوما واحدا، وطلب المحامي الاستئناف كطلب روتيني، لكن من دون حماس.

وبعد تنفيذ الحكم، زارته زوجته في السجن ومعها أوراق الطلاق، وأطلعته على أنها ستذهب للعيش في المحيط الهادي حتى تكون أكثر قربا من السلحفاة الجلدية. وقّع بيثنتي على الأوراق بوداعة وتمنى لزوجته حياة أفضل وللسلاحف بشكل عام. ثم، حين بقي بمفرده في صمت الزنزانة وتأمّل بدهشة عكوسات حياته، انتبه لأول مرة إلى أن من وضع السم التدريجي كان زوجته («كم أنا أحمق!» قال لنفسه بقليل من الحسرة). ولم تكن مصادفة موت الأخ مع اغتيال صديقه غير المرئي إلا مساعدة لها لتتخلى في الوقت نفسه عن الاثنين.

وأكثر من الحقد، شعر بإعجاب لزوجته، وبإصرارها على الدفاع عما يمنح لوجودها معنى، حتى لو كان مجرد سلحفاة بدلا من رواية. أما عمله العظيم، فقد أدرك أن كتابته كان من الممكن أن تكتسب معنى إن كانت ضد صديقه غير المرئي، أو ربما في صالحه. وبمجرد اختفائه للأبد، كان من الممكن التخلي عن هذه المهمة. لعله وجد في ذلك علاجه. السيئ في الأمر أن ثمن الصحة

كان عشريـن سـنة ويومـا واحـدا.

- يا لها من حياة.

قـال دون اهتـمام لكـن بصـوت مرتفـع، بينـما يتقلّـب عـلى المرتبـة ليصالـح النـوم في تلـك الليلـة.

شروع في علاج
UN ALTO EN LA TERAPIA

حلمتُ بأني كنت آكل ألبسة نسائية بالشوكة والسكين. وكانت نيئة وملفوفة بالألمونيوم، ولم تكن تحتاج إلا إلى دقيقتين في الميكروويف. كانت ألبسة بيضاء، مخرّمة، وكانت تذوب على اللسان. كانت كل علبة تحتوي على ثلاثة ألبسة، لباس لكل وجبة، وكل واحد يتمتع بخصائص للريجيم والتخسيس. كانت ألبسة تباع في محلات المستلزمات الطبية، أو محلات العطارة، حتى نقول ذلك سريعا. حكيتُ حلمي للمحلل النفسي، وكان في تلك الفترة رجلا نحيفا، وعصبيا جدا. وسألني: من تظن صاحبة هذه الألبسة؟

- كانت لمجهولة -قلت- وكانت مغلفة بالألمونيوم.

- هل تعتقد حقيقة أنها كانت لمجهولة؟

- على الأقل لم أرها أبدا.

سكتَ، لكنه كان صمتا يقول لا تعاملني كساذج. والحقيقة أني لم أستطع التوقف عن التفكير في مذاق الألبسة. أعتقد أني لم أحلم أبدا حلما بهذه الكثافة، ولا انصهرتُ في حلم متعة الجنس مع متعة الطعام بهذا الشكل من قبل. وسألت نفسي

إن كان هناك ملابس داخلية نسائية يمكن أكلها، وعند خروجي من العيادة مررت بمحل عطارة. لكنني لم أتجرأ على السؤال عن الألبسة، غير أني فحصت كل منتجات المحل، منتجا منتجا، وأستطيع أن أؤكد أنه لا وجود لها. وفي المساء هاتفتُ صديقة أثق فيها جدا، وسألتها إن كانت تعرف هذه الألبسة، وقالت لي لا. وبحسب ما رأيتُ، كان ثمة ألبسة من الورق، لكن لا يمكن أكلها.

في اليوم التالي توجهتُ إلى الصيدلية وطلبتُ منهم علبة كلينكس وعلبة أخرى من الألبسة الورقية.

- الحكاية أني مصاب بنزلة برد. قلت حتى أقول شيئا.

وبمجرد وصولي إلى البيت، فتحتُ العلبة، وبالفعل كانت ألبسة من ورق، غير أنها مختلفة عن ألبسة الحلم التي كانت تبدو عضوية مع أنها اصطناعية. والألبسة الورقية، لو أن المرء أصرّ، فقد يمكن أكلها، لكن لن يشعر بالعطش لأنها سلولوزية. حينئذ تخلصت منها ولم أعد أحلم بالألبسة الأخرى، رغم إلحاح المحلل النفسي.

- لو أردتَ أن تعرف أكثر عن هذه الألبسة، فعليك أن تحلم بها بنفسك -قلت له- فأنا نادرا ما أكرر نفس الحلم.

وذات يوم، بعد أن قطعت شوطا كبيرا في الجلسات، تعرفت على فتاة وجاءت إلى منزلي. ثم نامت سريعا ونهضتُ أنا ودخلتُ الحمّام. حينئذ شاهدتُ لباسها على الأرض بجانب السرير، ولن تصدق حضرتك، قلت للمحلل النفسي، كان لباس الحلم. كانت الفتاة تنام بعمق، وهكذا أخذت اللباس للمطبخ ووضعته في طبق، ومن دون أن أسخّنه، أكلته بالشوكة والسكين.

كان ملمسه ناعما، وكان مذاقه مذاق فقاعة كثيرا ما أسَرني في ألبسة الحلم.

- هل أكلتَ اللباس فعلا؟ سأل المحلل النفسي.

قلت له: نعم، لأني لا أكذب في الجلسة أبدا، وأعتقد أن الكذب أحد طرق المقاومة، رغم أنه بدا لي أن في سؤاله نبرة رقابة، أو حسدا. وبالإضافة لذلك كان جيد المذاق. ثم عدتُ إلى غرفة النوم ورقدتُ بجوار الفتاة ثم غططْتُ في النوم. وحين استيقظت، رأيتها تروح وتجيء من جانب لآخر وهي تبحث عن لباسها.

- لقد أكلته. قلت لها.

- لا يهم -أجابت- سأعطيك ألبسة أخرى.

الحقيقة أني لم أرها مرة أخرى. الشيء الوحيد الذي تبقى لي منها رقم تليفون اكتشفتُ أنه مزيف. ألمح المحلل النفسي إلى احتمالية أن أكون قد حلمت أيضا بذاك اللقاء والحق أني ارتبتُ، رغم أن اللباس الحقيقي كان له ملمس وحجم من الصعب جدا التباسه بألبسة الحلم.

- لكنك جئتَ إلى هنا لأن الأشياء تلتبس عليك. قال لي بمكر.

- هذه حقيقة -وافقت- لكن فيما يخص الألبسة كنت دائما بقدم راسخة في الأرض.

- هل تتذكر الألبسة الأولى التي رأيتها في حياتك؟ سأل.

- الألبسة الأولى رأيتها في الحلم.

- لكنك قلتَ لي للتو إنه فيما يخص الألبسة كنتَ دائما بقدم راسخة في الأرض.

- أرض الألبسة هي الأحلام. دللت له.

التزم المحلل النفسي بصمت حقود. وأنا تصنعت كأني سأعطس وأدخلت يدي في جيبي لأخرج منديلا، لكن بدلا من خروج كلينكس خرج لباس نسائي. ارتمى المحلل النفسي فوقي، وسحبه مني، ثم أدخله في فمه وبدأ يلوكه بيأس. لقد اعتقد المسكين أنه لباس الحلم، لكنه كان لباسا ورقيا احتفظت به لأخدعه. حينها فحسب استطعنا أن نواصل علاجي من دون توقف.

تعاقب الأيام
ALTERNANCIA

هاتفتُ وكالة للزواج يوم الإثنين فأعطوني ميعادا يوم الأربعاء، وبدا لي ذلك فألا حسنا، إذ أفعل الأشياء في أيام تعاقبية: الإثنين، الأربعاء، الجمعة. أو الثلاثاء، الخميس، السبت. اضطررت لملء استمارة كانت تحتوي على أسئلة حميمية يجرمها الدستور، لكن آنسة شديدة اللطف أكدت لي ضرورة الاطلاع عليها.

- تخيل يا سيدي أنك نصراني ووفّرنا لك زوجة مسلمة. أو أنك نباتي وعرضنا عليك زوجة تأكل اللحم.. سيكون التوافق حينئذ مستحيلا.

مسلمة وتأكل اللحم، فكرت بداخلي وشعرت بأني ضحية لإثارة حسية غير معتادة.

- الآن، بفضل الاختبار الجيني، يستطيعون صناعة فئران بآذان في الظهر. قلتُ لأغير الموضوع.

- من فضلك، لا علاقة لهذا بالموضوع. قالت الآنسة اللطيفة.

انسحبتُ محرجا لصالة مجاورة واستعددت لملء الاستمارة، وكانت كبيرة جدا. ثم راجعتها وانتبهت إلى أني خلقت فردا مختلفا تماما عني. كتبتُ أني أحب السينما والأدب والمطبخ الباسكي،

بالإضافة لكوني متدينا جدا وأمقت التلفزيون والتبغ. لو أن الآنسة انتبهت إلى أني لم أقل حقيقة واحدة، لحدثت مشكلة، لكنها لم تنظر حتى إليها. وبحسب ما أرى، يتكفل الكمبيوتر بهذا إذ يوفّق البيانات ويختار المسلمين للمسلمات، وآكلي النباتات مع نباتيات بروكسيل.

حين خرجت إلى الشارع شعرت بنفسي إنسانا جديدا. رأيت كنيسة فدخلت وصليت الربيّة مرتين والسلام عليكِ يا مريم ثلاث مرات. ثم اشتريت عدة روايات كلاسيكية تصفحتها في المطعم الباسكي الذي يقع بجانب البرلمان. وأنا آكل الطبق الأول سألت نفسي إن لم أكن أنا نفسي من بلباو[23]، لكن الجرسون أكد لي أني أتحدث الإسبانية بلا لكنة. ربما جئت إلى مدريد وأنا صغير، مثل صديق في طفولتي، أيضا متقاعد وأرمل، وُلِد في «رينتيريا» ثم قضى كل حياته هنا. لكن بدا لي أن التنوع الأكبر أن أكون من مكان آخر، رغم أني في البداية لم أقرر بسهولة أي مكان. ثم خطرت لي فكرة أن أكون من كولومبيا، شيء عبثي أعرف ذلك، لكني فكرت أن أي امرأة رصينة سيجذبها جدا رجل كولومبي ناضج يعيش بمدريد ويهوى المطبخ الباسكي. كل ذلك لو غابت الميول الدينية وهواية الأدب الكلاسيكي.

وصلتُ إلى البيت في حالة من تفاؤل جديد تماما بالنسبة لي. وأول ما فعلته كان إخفاء التلفزيون في خزانة ملابس. لو كان بيدي لألقيت به في القمامة، لكني فكرت أني ربما أعود إلى هويتي السابقة ليلا وأحتاج إلى التواصل. قضيت أمسية مذهلة، من دون التهاب في المعدة ولا ارتجاع، وفي الحادية عشرة تقريبا دسست

(23) بلباو: عاصمة إقليم الباسك شمال إسبانيا. ورينتيريا بلدة تقع بنفس الإقليم (م).

نفسي في السرير كرجل كولومبي متخفٍّ، من دون أن أنسى تأدية عدة صلوات. وبين الملاءات، قرأت أحد الكتب التي اشتريتها من الوكالة وغططتُ في النوم من دون حاجة إلى منوم.

في اليوم التالي، وكان يوم الخميس، استعدت شخصيتي السابقة ولا أعرف كم ساعة بقيت مدخنا، من دون توقف، وأعاني من خيالات حسية لا يمكن تحملها مع سيدات يأكلن اللحم. وعند عودتي إلى البيت، عبرت من أمام كنيسة وبصقت بدلا من أن أشير بإشارة الصليب. ثم شاهدت التلفزيون حتى قام بدور المهدئ وغططت في النوم على الأريكة. ويوم الجمعة، حين عدت لشخصيتي الكولومبية والمثقفة، أدركت أني كنت مدينا بأن أكون شيئا أيام الإثنين والأربعاء والجمعة، فيما أكون شيئا آخر أيام الثلاثاء والخميس والسبت. وكل شيء في حياتي كان يعمل بطريقة الأيام المتعاقبة، وأعتقد أني بلغت عمرا لا يمكن معه التغيير. أما أيام الأحد، الخارجة عن هذا النظام التعاقبي، فلم تكن تُعد: كنت أقضيها في نوع من البرزخ، فلم تكن الأشياء لا لحما ولا سمكا.

وفي الأسبوع التالي هاتفوني من الوكالة ليقدموا لي سيدة تناسب ذوقي الكولومبي، لكنه كان يوم الثلاثاء، فقلت لهم إنها يجب أن تكون مسلمة وآكلة للحم أو فلينسوا الموضوع. ويوم الأربعاء هاتفتهم أنا، غير أن الآنسة طلبت مني ألا أظهر مرة أخرى في الوكالة، وأغلقتْ السماعة.

اللغز والعبث
EL MISTERIO Y EL ABSURDO

كانت تثبّت برنامجا على الكمبيوتر عندما دخل هو الغرفة واعترف أنه قد تحول.

- تحولتَ إلى ماذا؟ أو من ماذا؟ سألتِ المرأة وهي تسحب قرص سي دي وتدخل آخر في محرك الأقراص المرنة، كما نفعل حين نقوم بعمل يدوي يتطلب تركيزا كبيرا.

- إلى الكاثوليكية.

ومن دون التوقف عن الحديث مع زوجها، كانت تواصل حديثا مثيرا مع الكمبيوتر، فيما كانت فأرة الكمبيوتر تتحرك من جانب إلى جانب، بينما تنصت بقلق إلى صخب الأحشاء المنبثق من القرص الصلب. وكانت كل خطوة تتم تبدو لها معجزة من الطبيعة أكثر منها معجزة فنية.

- وبداية من الآن ستنام معي من دون رغبة؟ قالت مازحة.

ترك الغرفة بورع، ولم يلتقيا حتى ساعة العشاء. كانت المرأة مستاءة لأنها في النهاية لم تستطع تحميل البرنامج لمشكلة في مساحة الهارد ديسك.

- من الأسهل أن تثبّت الكاثوليكية بعقل رجل من أن تثبّت

برنامج الأوفيس بهارد ديسك للابتوب. الكمبيوترات أكثر رقة منا. وبالفعل، أنت كنت شيوعيا، كنت يساريا ديمقراطيا، كنت بوذيا، كنت لاعب جمباز وسينمائيا، والآن أنت كاثوليكي. لو حاولتُ أن أحمّل كل هذه البرامج على الكمبيوتر فإنه سيتوقف عن العمل بسبب الهارد ديسك. أنت بالتأكيد لديك مشكلة في الذاكرة. اذهب للطبيب لترى ماذا سيقول لك.

أكلَ الديك المقلي والسلق المحمّر بتواضع، من دون أن يرد على استفزازاتها، ثم انصرف بعد العشاء إلى غرفة النوم بينما كانت زوجته تشغّل التلفزيون، وتختار أحد البرامج السيئة حيث ترتدي مقدمته صليبا في رقبتها. لم تكن تعرف إن كانت مستاءة من زوجها أم من الكمبيوتر. ثم بعد قليل نامت، لكن أيقظها بعد خمس أو عشر دقائق منبه سيارة. أطلت من الشرفة ورأت رجلا عصبيا كانت سيارته محجوزة بسيارة أخرى واقفة صفا ثانيا. وكانت زوجته قد جاءها المخاض وما من طريقة للعثور على سيارة الأجرة بالتليفون، إذ كانوا ينقلون مباراة كرة قدم مهمة بالتلفزيون. حينئذ توجهت هي إلى غرفة النوم ووجدت الكاثوليكي نائما بساقين منفرجتين، كأنه لا يعاني من أزمة ضمير. وبعد أن تعرت، ألقت بنفسها جانبه بعنف، فاستيقظ مفزوعا.

- إذن ستكون الآن معارضا للإجهاض؟ سألته.

- يمكن أن تتوقعي أن نعم. قال وهو يفرك عينيه.

- ومع عقوبة الإعدام.

- لا تحاولي أن تربكيني. أن أتحول لا يعني ألا يكون لديّ تناقضاتي، إنما فضّلت اللغز على العبث.

- يا إلهي، يا لها من عبارة. مَن قالها؟

- أظنها عبارة مطران.

- نعـم. تقصـد أني الآن أبـدو لـك عبثيـة؟ لأن الأمـر لـو كان كذلـك، فلنتطلّـق الأسـبوع المقبـل.

- أنا لم أقل لك إننا يجب أن نتطلّق.

- لكنـك قلـتَ لي إني عبثيـة، ولـن تحـب أن تعيـش مـع امـرأة عبثيـة إن كان يمكنـك أن تعيـش مـع امـرأة غامضـة. لم يخطـر لي قـط أن أفكـر في أن الكاثوليكيـات يتمتعـن بلغـز، كـما تـرى أنـت. كأن هاجـس التطهـير لا يكفيهـن.

ولأنه لم يجبها، نهضت من السرير بعنف وصاحت:

- أتفهـم مـا أقولـه؟ إن عـدتَ أنـت إلى الديـن، فسـأعود أنـا إلى الحشـيش.

وخرجـتْ مـن الغرفـة لتعـود بعـد قليـل بسـيجارة حشـيش مشـتعلة مررتهـا لـه بعـد أن سـحبت نفسـين أو ثلاثـة. أخذهـا الرجـل مـترددا قليـلا وقـال لهـا بعـد أن بـدأ تأثيرهـا:

- ولم أتحـول إلى الآن إلى مسـلم ولا مورمـوني ولا كويكـر. الحيـاة مثـيرة للإعجـاب. كان أبي يقـول قبـل أن نهجـر الضواحـي: في مدريـد يمكـن للرجـل أن يكـون مـا يحـب، مـا يحـب. والآن أريـد أن أكـون كاثوليكيـا.

- يجـب أن تكـرس بعـض الوقـت حتـى تدمـن ألعـاب الفيديـو. الكمبيوتـر أيضـا مثـير للشـغف.

- سنرى كيف تسير الأمور. قال وهو يدير ظهره لينام.

شـغّلت الراديـو وضبطتـه عـلى برنامـج مخصـص لعبـادة الشـيطان وأنصتـت إليـه وهـي نائمـة عـلى ظهرهـا وتفكـر في مشـكلتها مـع الكمبيوتـر. ولـن يـرن المنبـه حتـى السـابعة.

الفراغات بين الأصابع
EL ESPACIO INTERDIGITAL

رن التليفون وكانت فتاة الاستطلاعات. عادة ما تتصل كل خميس بعد الغداء، لأنها تعرف عاداتي جيدا وفي أي ساعة أكون في البيت وأي ساعة أخرج. سألتني كم مرة أغيّر جواربي في الأسبوع وإن كنت أفضّلها من القطن أم من الألياف الصناعية. أتعرّف على صوتها في التو. وأحيانا أخرى تريد أن تعرف إلى من سأصوّت وإن كنت أفضّل المحلات الكبيرة على المحلات الصغيرة. بشكل عملي، قلت لها كل شيء عني: أي برامج تلفزيونية أشاهد، كم مساحة بيتي بالمتر مربع، أي نوع من الكولونيا أحب أكثر، وأي منحاز للفلور في معجون الأسنان. واستطلاع وراء استطلاع رحت أحكي لها حياتي من دون أن أعرف شيئا عنها. لا أقول إني لم أكذب عليها قط لأبدو أفضل مما أكون، لكنها بشكل أساسي تعرف شخصيتي. لكن موضوع الجوارب بدا لي مبالغا فيه.

- مع الوقت تسألين عن أشياء أكثر حميمية. قلت لها.

- لست أنا من يعد الاستطلاعات، لكني أعيش منها، افهمني. أجابت.

- لا، لا أفهمك، لكني أحب أيضا أن أعرف بعض التفاصيل عن ملابسك الداخلية.

- إذن، فلتسأل كما تحب.

سألتُ بخجل عن ثلاثة أو أربعة أشياء، ولم أواصل أسئلتي لأنها بدت لي غير شغوفة في أجوبتها. كانت تجيب بطريقة باردة، غير جذابة، كأنها تتحدث عن شيء آخر، ما سبّب لي استياء غير محدود. وفي النهاية قلت لها إني أغيّر الجوارب مرتين في اليوم لأبدو أكثر نظافة مما أنا عليه، لكنها فسرتْ ذلك بأني كثير العرق ونصحتني باستخدام مسحوق يوضع بين الأصابع. هكذا قالت: «بين الأصابع»، وأثارتني، ولن تعرف لماذا. على أي حال، لم يرق لي أن أعطيها انطباعا بأني شخص مختنق؛ أعتقد أني أعرق بشكل عادي، لا أكثر ولا أقل. أما بخصوص تفضيلي للقطن أكثر أم الألياف الصناعية، فأنا لا أعرف ذلك عن يقين، هكذا قلت لها الألياف، وهي ما يعلنون عنها كثيرا الآن رغم أني أعتقد أنها مفيدة للهضم أكثر منها للأقدام.

شكرتني الفتاة، كالعادة، ثم مر وقت طويل من دون أن تهاتفني. فبدأت أقلق، لا أعرف لماذا، وفي اليوم التالي، كأنها قد قرأت أفكاري، رن تليفوني بعد الغداء وكانت هي. في هذه المرة لم ترد أن تقوم بأي استطلاع؛ كانوا قد طردوها من العمل أو لم يجددوا لها العقد اللعين، وكانت في الشارع، المسكينة. وبحسب ما رأيت، لم يكن لها أحد في مدريد، وسألتني إن كان يمكن أن تنزل في بيتي لعدة أيام.

- فرغم كل شيء أنت تعيش وحيدا ولديك بيت كبير وبحمّامين. أضافت.

كان حقيقة أني أعيش وحيدا، لكن في المسألة الأخرى كنت قد كذبتُ عليها. والحقيقة أن لديّ شقة بغرفة نوم واحدة وصالة ومطبخ مستقل، وحمّام واحد، بالطبع. كنت محرجا من أن أعترف لها بذلك، لكنها بدت حذرة جدا.

- بالإضافة لذلك، ليس لديّ ميكروويف ولا غسالة أطباق. أضفت.

قالت إنها افترضت ذلك (فلا أحد يقول الحقيقة في الاستطلاعات التليفونية)، لكن ذلك لا يهمها. يمكنها أنها تنام على الكنبة ولن تكون ثقيلة.

بدا لي عبثيا أن أقول لها «نعم» ستكون ثقيلة، لكن ثمة حميمية نشأت بيننا أثناء الاستطلاعات التليفونية، لحد أن ذلك قد يشبه إنكار استضافة قريب يمر بمدريد في طريقه لمكان آخر. مع ذلك، العلاقة بالصوت لا تساوي صداقة بجسد كامل. الصوت أكثر شيء مجرد نمتلكه، الأكثر وهنا، ربما أقل ما فينا. وأنا كنت أحب صوتها، لكن لم يكن ممكنا أن أقول لها أن تترك صوتها هنا وترحل ببقية جسدها لمكان آخر، وبالتالي أعطيتها عنواني وجلست أنتظرها.

بعد برهة رن جرس الباب ودخلت فتاة قصيرة جدا، وشابة جدا. لم أكن قد تخيلتها هكذا، لكنها أعجبتني أكثر مما في خيالي؛ شيء غريب، لأن الطبيعي أن يحدث العكس. دعوتها إلى الجلوس، ولأن في رأسي وصفا لملابسها الداخلية، تخيلتها شبه عارية، لكنها انتبهتْ وقالت إنها أيضا كذبت عليّ في ذلك: أرتدي عادة ألبسة قطنية لأني حساسة من الأنسجة الصناعية. ثم أخرجتْ الكتب وبدأتْ تذاكر. كان ذلك منذ عام ولم ترحل. السيئ في الأمر أن

فتـاة مـن وكالـة اسـتطلاعات أخـرى بـدأت تهاتفنـي، وعُـدتُ لأقـول لهـا إني أعيـش بمفـردي وإن لـديّ حمّامـين. مسـألة الحمّامـين كذبـة، لكـن المسـألة الأخـرى، رغـم وجـود الطالبـة، لا تـزال حقيقـة.

اختطاف طائرة
EL SECUESTRO AÉREO

لم تكـن الطائـرة قـد بلغـت ارتفـاع الطـيران حـين نهـض شـاب يمسـك بيـده اليمنـى بجهـاز وأكـد بـصراخ أنـه موصـل بقنبلـة ملتصقـة بفخـذه بحـزام لاصـق.

- مـن يحكـم هنـا بدايـة مـن الآن هـو أنـا. قـال بشـفته العليـا وبجبهـة تلمـع مـن العـرق.

ولاحـظ الـركاب والمضيفـات أنـه ليس إلا ريمـوت كنـترول لتلفزيون، لكـن أحـدا لم يفعـل شيئا لفرملـة الصبـي. كانـت الثامنـة صباحـا وكانوا بالـكاد قـد ودعـوا مدريـد الممطـرة والفوضويـة والعنيفـة. ولم تكـن برشـلونة، التـي تنتظرهـم عـلى الجانـب الآخـر مـن الجـسر الجـوي، أحسـن حـالا بحسـب الراديـو. لقـد امـتنّ سرا كثـير مـن المسـافرين لأن حـادث الاختطـاف المزيـف أخرجهـم مـن الروتـين المعتـاد. صـوّب الشـاب الريمـوت ناحيـة المضيفـة وأمرهـا بـأن تقـوده إلى كابينـة الطائـرة.

- ماذا يحدث؟ سأل القائد عندما شم عطر المضيفة وراءه.

- إنــه اختطـاف. صـاح الصبـي موجهـا الريمـوت لـكل مـا كان يتحــرك.

- يقـول إن معـه قنبلـة ملفوفـة عـلى فخـذه. أطلعتـه المضيفـة بحياديـة.

تأمـل الكابـتن الريمـوت كنـترول بنظـرة متحفـزة وسـأل طاقـم الطائـرة:

- هـل تريـدون أن نظهـر في نـشرة الأخبـار أم تفضّلـون أن أضربـه لكمـة وأعيـده إلى كرسـيه؟

مرت لحظات من التوتر أنهاها مساعد الطيار بانتهازية:

- أنا أفضّل الظهور في نشرة الأخبار.

بـدأ الكابـتن يحلّـق فـوق مدريـد وأطلـع بـرج المراقبـة عـلى أنهـم مخطوفـون مـن جانـب فـرد يهددهـم بتفجـير قنبلـة ملتصقـة بفخـذه إن لم يتّبعـوا تعليماتـه. ومـن الـبرج سـألوه مـاذا يريـد؟

- ماذا تريد؟ قال الكابتن ملتفتا إلى الشاب.

- لا أعرف -أجاب وهو يتعرق بغزارة- الحكاية أن لديّ كل شيء.

- كيف لديك كل شيء؟

- إن لديّ كل شيء، هذا ما يقوله معلميّ.

- ألا ترغـب في شيء فعـلا، حتـى ولـو لم يكـن شيء مبـاشر لـك بـل شيء يمـنح السـعادة لأي أحـد؟

اقتربـت المضيفـة مـن الصبـي وجففـت عـرق جبهتـه، كممرضـة تجفـف عـرق جـرّاح. أثنـاء ذلـك، توجـه الكابـتن بالميكروفـون إلى الـركاب وأعلـن أنـه رغـم كـون الطائـرة مخطوفـة، إلا أن المفاوضـات مـع الإرهـابي تتطـور بشـكل جيـد نسـبيا.

- أتمنـى أن أبلّغكـم بأخبـار جيـدة بعـد قليـل -أضـاف- لا تفقـدوا هدوءكـم وإن أردتـم تنـاول عصـير أو قهـوة فاطلبـوا ذلـك مـن طاقـم الخدمـة.

مـرت دقائـق مـن الارتيـاب. كان الصبـي المجنـون يبـدو، في ذات الوقـت، محبطـا ومرعوبـا مـن الموقـف بشـكل عـام. ربمـا لم يكـن يتوقّع كل هـذا التفاهـم. ثـم أخـرج مساعد الطيـار مشـطا مـن مـكان مـا ومشّـط بـه شـعره، وهـو يفكـر في الصـور. وأشـعل الكابـتن سـيجارة بإيمـاءة صبر.

- ألا تريد أن نتوجه إلى كوبا؟ هذا هو الطبيعي.

- لا -قـال الصبـي وهـو يتجـاوز دهشـته- مـا يتمنـاه أبـواي أن أفـوز بجائـزة نوبـل في الكيميـاء لأن لديهـما صيدلية في «فوينـكارّال»[24].

اتصـل الكابـتن بالسـلطات، التـي بدورهـا اتصلـت بالسـويديين. وبعـد مـداولات لا ينقصهـا التوتـر أخـبروا الكابـتن بأنـه، بمـا أنـه إرهـابي، يمكـن أن يمنحـوه فقـط جائـزة نوبـل في السـلام.

- نوبـل في السـلام جيـدة أيضـا -قـال الصبـي عقـب لحظـات مـن الـتردد- اهبـط، سأسـلم نفـسي.

بـدأ الكابـتن في منـاورة الاقـتراب مـن مطـار باراخـاس[25]، بينـما الـركاب بـدؤوا في تشـغيل الموبايـالات ليتواصلـوا مـع إذاعـات الراديـو وحكايـة روايتهـم مـن الحادثـة. وعندمـا فتحـوا بـاب الطائـرة، صرخـت الشرطـة أن يخـرج الخاطـف بيديـن مرفوعتـين. فـترك الصبـي جهـاز الريمـوت كنـترول مـن يـده اليمنـى وهبـط درجات السـلم وعندمـا كان عـلى بُعـد مـتر مـن الأرض، وهـم عـلى وشـك أن ينقضّـوا عليـه، ضغـط عـلى زر وغـيّر القنـاة.

(24) حي معروف في العاصمة مدريد.

(25) المطار الدولي في إسبانيا.

عصفور كناري
EL CANARIO

لم يكن قط في حساباتي أن أصير أرملة، ولا خطر ببالي. عموما، فأغلب الأشياء التي تحدث لنا تتجلى في خاطر شخص آخر، وليس في خاطرنا. كان مفاجأة، في النهاية، أن يموت أنطونيو قبلي، وبالتالي، عند العودة من المقابر وحين وجدت نفسي في البيت الصامت، كله لي الآن، لم أعرف هل أسعد بذلك أم أشعر بالحزن. وبالفعل، عُدتُ إلى الشارع وبدأت أسير بلا وجهة، في محاولة لتنظيم أفكاري ومشاعري، غير أني لم أنجح كثيرا في ذلك، وهذه حقيقة. لم أنتبه إلى أني كنت أكلم نفسي حتى رفعت رأسي عند إشارة مرور ورأيت الناس ينظرون إليّ بشفقة، وربما بخوف.

بخجل، عبرتُ الشارع واختبأتُ في أول محل جاء في طريقي؛ محل صغير للطيور يقع في شارع كوستاريكا (بيتي يقع في شارع لوبيث دي أويوس[26]، ولم أنتبه إلى أني مشيتُ كثيرا). نظرتْ إليّ الطيور بحيادية عندما دخلتُ، وفي الحال عادت إلى عزلتها. وما التفتَ إليّ صاحب المحل الذي كان يشاهد مباراة كرة قدم في آخر المحل. قررتُ أن أتجول بين الأقفاص حتى أسترد نفَسي حين

(26) خوان لوبيث دي أويوس: عالم إسباني متخصص بعلم الاجتماع.

شـدا عصفـور كنـاري بطريقـة ملفتـة، ونظـر إليّ بإلحـاح بعينـه اليمنـى. أوحـى لي أنـه يحـاول أن يقـول لي شـيئا أكـثر مـن مجـرد الزقزقـة. اقتربـتُ منـه وانتبهـتُ في الحـال إلى أنـه زوجـي. لم أتخيـل قـط إمكانية وجـوده هنـا، لكـن الحقيقـة أن أنطونيـو كان هنـاك، وكان يتوجـه إليّ بهـذه النـبرة القاسـية التـي كانـت تهـرب منـه قبـل نـشرة الأخبـار وبعـد الإفطـار. فاشـتريته، بالطبـع، مـاذا سـأفعل. كان سـعره خمسـين يـورو دفعتهـا ببطاقـة الفيـزا، فأثـار زوبعـة في القفـص لأنـه اعتـاد أن يدفـع كل شيء بالـكاش إذ يخـاف مـن الدفـع الإلكـتروني.

- نعـم إنـه يشـدو، نعـم. قـال صاحـب المحـل ليتباهـى بنوعـه بينـما كان يغطغـط.

وحـين وصلنـا إلى البيـت، علّقـت القفـص فـوق الكنبـة وشـغّلت التلفزيـون، واشـتقت لشـعور الحريـة الـذي انتابنـي عنـد العـودة مـن المقابـر. أتذكـر أني في تلـك اللحظـة هاتفتنـي ابنتـي (ابنـة أختـي، إذ لم أنجـب قـط) لتسـألني كيف حـالي، فبـدأ العصفـور في الزقزقـة والزمجرة كـما كان يفعـل وهـو حـي؛ مـا كان يـراني أتحـدث في التليفـون إلا ويسـألني في الحـال، وبـصراخ عـادة، مـع مـن أتكلـم.

- ما هذه الضوضاء؟ سألت ابنتي.

وكنـت عـلى وشـك أن أقـول لهـا إنـه زوجـي وقـد عـاد مـن العـالم الآخـر، لكنـي أدركـت أني لـو قلـت ذلـك سـتسيء فهمـي، فكذبـت عليهـا:

- لا شيء، إنه عصفور قد اشتريته.

وعندمـا عـدت إلى الكنبـة، ألـح أنطونيـو ليعـرف مَـن المتصـل فقلـت لـه لا دخـل لـك ودعنـي أشـاهد التلفزيـون في هـدوء. بعيـدا عـن ذلـك، بـدأ في الزقزقـة أكـثر مـما سـبق، وكان يصـدر ضوضـاء

دفعتني لأسدل فوقه قماشة سوداء. وفي اليوم التالي، عند فتحي القفص لأضع له طعاما، نقرني، فقلت له حينئذ:

- انظر، لقد انتهى كل ذلك. لن أتسامح معك ولا حتى في فعل عدواني صغير. إن أردتَ أن تعيش في هذا البيت، حاول أن تحسن معاملتي.

ثم شرع في الزقزقة بعنف، وأنا بحركة مباغتة أدخلتُ يدي في القفص، وخنقته مرة واحدة. ثم حملته إلى الحمّام ورميته في التواليت وشددت السيفون وراءه. ثم جلست لأشاهد التلفزيون من دون أي تأنيب ضمير، رغم أنها كانت ساعة تهوية البيت وترتيب السرير.

وبعد أيام قليلة، مررت من جديد على محل للطيور يقع هذه المرة في شارع خواكين كوستا[27]، فدخلت لأتجول فضولا. وفجأة، لفت انتباهي صراخ هامستر اكتشفت أنه أنطونيو مجددا. ومع الوقت كان يزيد استسلامه. ولأنه كان أرخص من الكناري ولأن لديّ القفص بالفعل، حملته معي إلى البيت، لكني بعد أيام قليلة اضطررت لخنقه أيضا لأنه بات عنيدا. ولا أفكر في التوقف عن خنقه حتى يتعقل، حتى لو كان في جسد كلب أسير، أو جسد نمر. في الواقع، هذا ما أتمناه، أن يظهر لي في شكل حيوان كبير حتى أشعر بأني أقتله حقيقة. فالحيوانات الصغيرة، رغم أن الجريمة تمنحني بعض الرضى، إلا أنها لا تشبعني.

(27) خواكين كوستا: كان دبلوماسيا وقاضيا واقتصاديا (1846-1911) ينتسب لحركة مهمة في إسبانيا.

حين لا يحدث شيء
CUANDO NO PASA NADA

انفجر الارتباك في قسم شرطة وسط المدينة في منتصف الصباح، حين هاتفهم صحافي بشكل روتيني ليعرف ماذا حدث، واضطروا ليقولوا له: لا شيء.

- كيف لا شيء؟ ألم يخطف رجل عقد امرأة أو حقيبتها؟ ألم يأتكم بلاغ بالتعدي ولا بالاغتصاب ولا بالقتل؟ ماذا تريدون أن تداروا؟

بعد المكالمة مع الصحافي، توتر مأمور القسم قليلا وهاتف زملاءه في الأقسام الأخرى... كان الهدوء مطلقا في كل الأقسام، وانتهى اليوم من دون أن يعكّر هذا السلام الغريب أي شيء أو أحد، الغرابة تتفاقم لو وضعنا في الاعتبار أن احتفالات الكريسماس ترفع درجات الحمى المعتادة التي يمكن ترجمتها بزيادة ملحوظة في البلاغات مقارنة بالأشهر التي تعتبر طبيعية.

وفي اليوم التالي، وبعد الغداء، ولأن الأمور استمرت على نفس الحال، اجتمع مندوب الحكومة مع مأموري أقسام المدينة وشدد عليهم:

- لا يمكن أن نستمر في إخبار الجرائد بأنه لا يحدث شيء. سيعتبروننا حمقى.

- لكن ما يحدث أنه لا شيء يحدث. أجابوه.

- إذن فليسرق أحد بنكا أو فليهاجم سفارة. لكن فلتفعلوا شيئا، فقبل رأسي سيطيّرون رؤوسكم.

عاد المأمورون إلى محل عملهم بأمل أن تكون قد حدثت أثناء غيابهم كارثة، لكنهم يجدون مساعديهم راقدين بجوار التليفونات الخرساء. اجتمع بعضهم بفريقه الموثوق به للتخطيط لارتكاب جنحة صغيرة، لكنهم لم يجدوا متطوعين، رغم الوعد بالتعاون معهم في ساعة قرار الترقيات المقبلة. وبعد أربعة أيام كان الوضع محبطا؛ كان يبدو أن الإجرام قد دخل في إضراب مفتوح والقوانين بدأت تكتسب درجة من اللا جدوى المقلقة. حينئذ، اجتمع الوزير بمعاونيه الأقرب ولم يلف ويدور:

- أريد من الآن وحتى الغد حادثتي قتل، وثلاث حوادث سرقة بالاقتحام، واغتصابين مع سبق الإرصاد والترصد. سيتوقف على ذلك مستقبل هذا الوزير وبالتالي خبز أولاده. وانظروا كيف ستفعلون.

واجتمع المأمورون مع رجالهم الأكثر صلابة وطلبوا منهم أن يتواصلوا مع المقربين منهم ليعرضوا عليهم أموالا لارتكاب جرائم.

- سنغدق على الجميع -وعدوا- ولن نطلب منهم شيئا من العالم الآخر؛ جريمتان، سبع سرقات أو ثمان لبنوك، ونصف دستة مخالفات مرورية. ومخدرات، مخدرات كثيرة، وأن تُهدّئ تجارة المخدرات المساهمين.

استخدم رجال الشرطة علاقاتهم المعتادة بميزانية منخفضة، لكن لا بالوعود ولا بالتهديدات تمكنوا من إعادة الناس إلى الإجرام. لقد غدت الجريمة كسولة.

وهكذا، بعد شهرين أو ثلاثة من هذه العطلة، وعندما بدأت

علامات الضعف تظهر على جهاز القانون، لغياب غذاء الجريمة، قرر وزير الداخلية الإعلان عن مسابقة للمجرمين، وقدّم خمسة آلاف وظيفة لم يتقدم إليها أحد لأن الراتب كان أقل من راتب رجل شرطة البلدية المستجد. وعقب مراجعة هذه الملحوظة وعمل ميزانية تؤمّن تقاعدا كريما حتى للمسجّلين خطرا الذين لم يدفعوا أبدا التأمين الاجتماعي، تمكنوا من تغطية بعض الوظائف التي تقدَّم لها مجموعة من رجال الشرطة الشبان الضجرين من وضع الجهاز الداخلي. غير أنهم رفضوا ارتكاب جنح كبيرة ما لم يعترفوا لهم بضم خدمتهم الجديدة لخدمتهم القديمة ذات العقود المؤقتة والمتتالية في الشرطة. وعقب سلسلة من الاجتماعات مع ممثلي الداخلية، حيث سادت توترات معتادة في كل مفاوضات جماعية، بدأ الموظفون الجدد في انتهاك القانون بعنف، وتعزيزه في نفس الوقت. ومرت أيام قليلة، وغدت مدريد مدينة هادئة وآمنة للأبد. ثم حاول كثيرون ارتكاب جرائم من دون أن يتقدموا للمسابقة، لكن نقابة الجريمة الجديدة منعتهم من فعل ذلك.

كل فرد عالم في ذاته
CADA INDIVIDUO ES UN UNIVERSO

عندما اعتقد سائق التاكسي أنه بلغ درجة من الثقة في رحلته، أكد أن كل عائلة عالم، ثم أضاف من دون أي تمهل:

- حمواي، على سبيل المثال، يتسامحان معي، لكنهما لا يقبلاني.

- أما حمواي فيقبلاني، لكنهما لا يتسامحان معي. أجبته لأربكه قليلا، فأنا أكره هذا النوع من الحوارات.

غرق الرجل في صمت حقود، وفي أول إشارة مرور نزل من السيارة ليغير أسطوانة الغاز. وفي الراديو كان ثمة فرد يؤكد أن أغلب الحوادث الواقعة داخل سيارات ممتلئة جدا تؤدي للوفاة لارتطام رؤوس الركاب ببعضها، فتنفتح مثل البطيخ. رجل مريض. عاد سائق التاكسي إلى السيارة بعد انتهاء المهمة وأكد:

- ما تقوله يا سيدي لا يمكن حدوثه. إن كانا يقبلانك، فكيف لا يتسامحان معك.

- بنفس الطريقة التي أقبل بها البنسيلين رغم أني لا أتسامح معه لأني حسّاس للمضاد الحيوي. وحمواي حسّاسان للأصهار، لهما ثلاثة آخرون ويقبلانهم جميعا، لكنهما لا يتسامحان مع أي منهم. وأنا شخصيا، كنت أفضّل أن أتسامح مع البنسيلين، حتى لو لم

أقبله. فقط أستطيع معالجة المرض بالسلفوناميد الذي يميتني.

وأدركت أني دمرت للرجل عبارة ربما كان يكررها على كل الركاب الذين كانوا يقعون في يده. كان ذلك وحشية، لكن الحياة قاسية والسمكة الكبيرة تأكل السمكة الصغيرة، إلى آخره. ووصلنا إلى شارع فيبس دي بيلاثكيث وطلبت منه فاتورة حتى أكلّفه؛ حتى يتعلم فتح حوارات مع الزبائن. من الفم تموت السمكة، أيها السمكة المقززة.

ركبت تاكسي بعد أيام قليلة من ميدان كتالونيا. وحين بدأت أغرق في تأملاتي قرر السائق أن يدخل في حوار.

- كل عائلة عالم. قال.

- بالطبع. أجبته من دون أن أتوقف عن التفكير في أموري.

- عائلة زوجتي تقبلني، لكنها لا تتسامح معي.

- أما عائلة زوجتي فتتسامح معي لكنها لا تقبلني. قلت ميكانيكيا حتى أعارضه فحسب.

حينئذ ركن السيارة في جانب، وشعرت بقوة الفرملة الحادة، والتفت إليّ السائق بنظرة انتصار. كان نفس السائق الذي يتسامح معه حمواه ولا يقبلانه.

- لقد اصطدتك -قال- أنت رجل ديماغوجي، دائما تعارض ما تسمعه بهدف التعارض فحسب.

- لكن ذلك ليس ديماغوجية حقيقية أجبته- الديماغوجي الحقيقي هو من يقول عكس ما يفكر ليشحّم خلاياه العصبية.

- وأنت قلتَ لي شيئا في يوم سابق والآن تقول لي عكسه. فإما أنك كذبت حينها أو أنك كذبت الآن.

- ليس لي حموان، هذا كل ما في الأمر. أنا أعزب، وبالتالي

لا فـارق عنـدي بـين أن يقبـلاني ولا يتسـامحان معـي أو يتسـامحان معـي ولا يقبـلاني.

أثناء ذلك وصلنا عند بيتي.

- هل تعيش هنا؟ سأل.

- نعم. قلت.

- بيت كبير جدا لرجل عازب.

لم أرد عـلى هـذه السـماجة، لكنـي طلبـت منـه فاتـورة مـن جديـد ورميتهـا في وجهـه بمجـرد مـا نزلـت مـن السـيارة.

وبعـد أيـام قليلـة كنـت خارجـا مـن البيـت مـع زوجتـي، وكان ثمـة تاكسي أمـام البـاب بالمصادفـة، ركبناهـا بـلا تـردد، إذ كنـا مسـتعجلين. ثـم سـمعت صوتـا تعرفـت عليـه في الحـال.

- كل عائلة عالم. قال.

- وكل فرد عالم. أضافت زوجتي واقعة في الفخ سريعا.

- حمـواي يتسـامحان معـي، لكنهـما لا يقبـلاني. أضـاف السـائق وهـو يهـددني بنظرتـه عـبر المـرآة حتـى لا أتكلـم.

- مـع الوقـت سـيقبلانك أيضـا. أكـدت زوجتـي، وتشـعبا في هـذه الحـوارات الكريهـة حـول القبـول وعـدم القبـول العائـلي. وحـين وصلنـا إلى قِبلتنـا سـألني إن كنـت أريـد فاتـورة واضطـررت إلى أن أقـول لـه لا، بالطبـع، حتـى لا أشرح ذلـك لزوجتـي.

والآن أبحـث عنـه في كل مواقـف التـكاسي منـذ عـدة أيـام، حتـى أنتقـم منـه، لكـن يبـدو أن الأرض انشـقت وابتلعتـه.

تعصب في المواعيد
INTRANSIGENCIA HORARIA

كان لي خطيبة تكره الدقة في المواعيد وتراها من عيوب البرجوازية. في تلك الفترة كنتُ أصل دائما قبل موعدي بنصف ساعة، ليس كرد فعل معاكس، وإنما لمشكلات عقلية، فقد كنت أعتقد أني لو تأخرتُ في مواعيدي فستحدث كارثة. بالإضافة لذلك، فميزة الوصول إلى المطار، مثلا، قبل موعدك بساعتين أو ثلاث يتيح لك الفرصة، إن كنت قد نسيت جواز سفرك، أن تعود إلى البيت لتحضره من دون أن تفقد رحلتك.

لم تكن خطيبتي تفهم هذه التفسيرات، بل وكانت تلومني بمرارة على برجوازيتي التقدمية في سنوات كانت فيها الطبقة الوسطى تنظر إلى الطبقة الوسطى نفسها باحتقار. شرحتُ لها حينئذ أني أصل قبل موعدي لألقي نظرة من بعيد على الناصية التي تواعدنا عندها لأتحقق أنه ما من حركات مريبة في المنطقة، إذ قرأتُ روايات كثيرة لجون لي كاريه[28]، وعلمتُ أن الجواسيس دوما ما يتخذون هذه الإجراءات الاحتياطية.

- أتريدين أن يتحروا أين نتقابل ويعتقلوني؟

---

(28) جون لي كاريه: كاتب بريطاني مشهور، اشتهر بكتاباته البوليسية والتجسسية في الحرب الباردة (الروسية - الأمريكية).

- لكنك لست جاسوسا لتفعل ذلك. أجابتْ.

- لا أحد يعرف هذه الأمور. أجبتها بشكل غامض.

يتميز الجواسيس بقدرتهم على الإحساس بكل نوع من الوساوس، من دون أن يلفتوا الانتباه. فالعميل، كما يقول الكتاب، يجد نفسه مضطرا، مثلا، إلى ترك فرشاة أسنان على باب بيته عند خروجه ليتحقق إن دخل أحد بيته في غيابه أم لا. وغير الفرشاة، يمكنه أيضا أن يترك قليلا من الصمغ في ركن ما من الباب. ورغم كل حيطة، يجب أن يحترس من حديثه في غرفة معيشته لأنهم ربما يضعون له ميكروفونات في حجم رأس الدبوس في أي مكان. وقبل أن يشرع في حديث حساس، من المناسب أن يطل من نافذته ليتأكد أنه ليس ثمة سيارة في الشارع لها هوائي في سقفها. وكل هذه الإجراءات تعد قليلة.

وذات مرة توجهتُ إلى طبيب نفسي ليعالجني من هذه العلل التي أخسر معها وقتي وأفقد فيها طاقتي. وحين رويت له كل شيء، أكّد لي أني فعلا في حاجة إلى علاج، غير أنه عبّر عن ذلك بطريقة لم ترق لي. وبالتالي، عندما شرع في عمل ملفي وسألني عن مهنتي، أجبته بأني جاسوس.

- أنت إذن تقوم بواجبك، قد تحتاج علاجا لو لم تفعل ذلك.

- هذا ما أقوله لخطيبتي!

- وهل تعلم خطيبتك أنك جاسوس؟

- بالطبع لا، هل تظن أني عميل مجنون لأحكي لكل الناس أني أعمل في خدمة الاتحاد السوفييتي؟

كان الاتحاد السوفييتي حينها موجودا، وكانت مدريد تكتظ بالأحزاب الشيوعية وأحزاب العمال والأعلام الحمراء والصينيين

ومؤيـدي الصـين ومؤيـدي كوبـا، بالإضافـة إلى الفاشـيين التقليديـين والفلانخيـين الإسبان[29]. وكانـت الحيـاة غايـة في الصعوبـة، ولم يكـن في وسـع أحـد أن يتخـلى عـن هـذه الطقـوس الوسواسـية حتـى لا يبـدو ضـد الثـورة، أو برجوازيـا صغـيرا.

كان وصـولي مبكـرا عــن موعـدي وعشـق خطيبتـي للوصـول متأخـرا يعكـر العلاقـة بيننـا. حينئـذ، بلمحـة كـرم منـي، وحتـى أرضيها، أقسـمتُ لهـا أن أصـل متأخـرا عـن كل مواعيـدي، أو عـلى الأقـل عـن مواعيـدي معهـا. وبهـذه الطريقـة عـادت الميـاه لمجاريهـا، أقصـد إلى مجاريهـا هـي، لأنهـا تركـت مجـراي حتـى صـار جافـا.

أوفيـتُ بوعـدي خـلال الأسـابيع التاليـة في موعديـن أو ثلاثـة، غـير أني عانيـت مـن أفـكاري الخرافيـة التـي تصـور لي أن العـالم سـينتهي كنتيجـة لتأخـيري. وسريعـا «عـادت ريمـة لعادتهـا القديمـة»، فأصبحـت أصـل مـن جديـد مبكـرا، وأختبـئ في مـكان قريـب لأتظاهـر بـأني وصلـت للتـو بعـد أن أراهـا قـد وصلـت وانتظـرت عـدة دقائـق. وذات يـوم كنـت مختبئـا في مدخـل بنايـة، مراقبـا منطقـة اللقـاء، ورأيتهـا قـد وصلـت قبـل موعدهـا بعـشر دقائـق، حينهـا خرجـتُ مـن مخبئـي، وعندمـا ناديتهـا «يـا برجوازيـة»، أكـدت لي أنهـا جـاءت مبكـرا لتتأكـد إن كنـت أصـل متأخـرا أم لا. في ذلـك اليـوم فسـخنا خطبتنـا، لأسـباب أيديولوجيـة في رأيهـا، رغـم أني اعتقـدت دومـا أن انفصالنـا كان لأسـباب نفسـية.

بالأمـس رأيتهـا في الشـارع تجـر طفـلا في يدهـا، وشـعرت بوسـواس يدفعنـي لأقـترب وأطلـب منهـا أن تغفـر لي دقـة مواعيـدي في سـنوات شـبابي، غـير أني أدركـت في الحـال أن الوقـت، عـلى الأقـل بالنسـبة لي، قـد تأخـر جـدا، رغـم أنـه بالنسـبة إليهـا ربمـا لا يـزال مبكـرا جـدا.

---

(29) مصطلح يطلق على الشيوعيين الإسبان في عهد فرانثيسكو فرانكو.

ابنة بياتريث
LA HIJA DE BEATRIZ

في الخميـس المـاضي، وكان يـوم الكتـاب، كنـت آكل شـطيرة الحبـار في أحـد بـارات شـارع لوبيـث دي أويـوس[30] عندمـا اقتربـت منـي فتـاة لهـا ذيـل حصـان ممـوج وترتـدي كنـزة مربعـات وتبـدو قادمـة مـن مراهقتـي أكـثر مـن كونهـا قادمـة مـن الشـارع. كانـت تحمـل في يدهـا كتابـا لــباولو كويليـو[31] قـد قـرأتْ فيـه للتـو، بحسـب مـا قالـت لي، أن العـالم حافـل بالعلامـات.

- انتبهـت إلى أنـك تـأكل الخبـز كأنـك تفكـر فيـه أكـثر مـن أن تمضغـه، كـما كان يفعـل أبي الميـت. أضافـت.

- تبـا لأبيـك ولــ باولـو كويليـو -أجبتهـا بعدوانيـة- لا أكلـم أحـدا يقـدم استشـهادات أدبيـة أقـل مـن شكسـبير فـما فـوق.

- كان هـذا أيضـا نمـط أبي -أجابـت برقـة- يـزدري مـا يجهلـه. يمكـن لـك أن تسـبَّه كـما تريـد، لكـن دع باولـو كويليـو في حالـه.

انتبهـتُ حينئـذ إلى أن العـالم بالفعـل حافـل بالعلامـات. وتلـك الفتـاة كانـت تذكّـرني بحبيبـة مراهقتـي وكانـت تسـمى بياتريـث،

---

(30) خوان لوبيث أويوس (1511-1583).

(31) الكاتب البرازيلي صاحب رواية الخيميائي.

اسم نادر في تلك الفترة التي انتشر فيها باكيتا وخوليا وماروخا. وفكرت أنها ربما جاءت من الماضي لتقول لي شيئا. أفكر أحيانا في الماضي. أسير بشارع كونستانثيا، في اتجاه المدرسة، وأرى فجأة بياتريث بمواجهتي، في طريقها لدرس الاختزال والآلة الكاتبة. ربما يكون عنيفا أن أطلب منها استشهادا من شكسبير مع ثقافتها المحدودة. فبعد كل شيء، لم أعرف شكسبير إلا بمحض مصادفة، ولم أستطع دوما فهم ما يقوله. كان ينقصني القليل لأقرأ باولو كويليو؛ ربما كنت أفضّله شريطة أن تبقى بياتريث بجانبي. كنا سنكون الآن اثنين ناضجين، وكنا سنشاهد التلفزيون وسنقرأ باولو كويليو معا. وكان أبناؤنا سيملؤون البيت بكتب في التنمية البشرية، ولابد سنعثر على معنى «كويلياني» للحياة. رنين الكلمة مريح، أفضل من «سارتري» أو «فيتجنشتايني».

وعلى سيرة فيتجنشتاين، تذكرتُ كتابا مهمّا جدا قرأته في شبابي: فيينا فيتجنشتاين. ربما لو كنت تزوجت بياتريث لكنت كتبتُ «ساو باولو كويليو». لا أعرف، لا يعرف الواحد ما المهم وما غير المهم. أخذت رشفة من البيرة، وعضضت ساقا واحدة كاليماري كانت تهرب من فتحة بالرغيف، وألقيت نظرة لطيفة على الفتاة.

- انظري -قلت لها- لا أريد أن أضايقك، لكن باولو كويليو يكتب كتابة سيئة جدا وهو كاتب تافه. بالإضافة لذلك، لا أعتقد أن العالم حافل بالعلامات. بيد أنه يتغذى على العكس تماما: نقصان العلامات. العالم أسوأ من المطار. العالم أسوأ من مطار فرانكفورت؛ كل اللافتات موجودة حتى تتوه، حتى تأخذ رحلة غير رحلتك أو تظل معلقا في متاهة الممرات.

- هـذا سـبب آخـر حتـى عندمـا تظهـر علامـة نتمسـك بهـا، ولقـد قلـت لـك إنـك تشـبه أبي.

- ليـس لأمنـح لـ كويليـو الحـق، لكنـك تشـبهين فتـاة كنـت مغرمـا بهـا في مراهقتـي. شـبيهة، صـورة طبـق الأصـل. ربمـا تكونـين ابنتهـا. كان اسـمها بياتريـث.

- لا تكمـل -ردت الفتـاة بوجـه ذابـل- أمـي اسـمها بياتريـث، لكنـي أخـاف لـو واصلـتَ الحديـث ألا تكـون هـي، وأنـا أحـب علامـات القـدر.

وأنـا أيضـا كنـت أخـاف أن أتحـرى، حتـى لا ينتهـي السـحر باعتـذار. لم أتخيـل قـط بياتريـث أرملـة، بملابـس داخليـة سـوداء وكل ذلـك. أنـا بقيـت أعـزب كسـلا. ربمـا لم أجـد امـرأة تلـح علـيّ بمـا يكفـي، لكنـي فكـرت فجـأة أن لـو أصبحـت بياتريـث أرملـة ولا تـزال تشـعر بـشيء تجاهـي، فسـأكون مسـتعدا للـزواج منهـا، حتـى لـو كانـت ابنتهـا تقـرأ باولـو كويليـو. بشـكل شـخصي، سـقطتُ العـام الماضي في هذيـان قـراءة سـوزانّا تَامـارو[32].

- أريـد أن أتـزوج أمـك. سـمعت نفسي أقـول العبـارة بحسـم بينـما كنـت أدفـع حسـاب البـيرة وشـطيره الحبـار.

- لكنـك ولا حتـى تعـرف إن كانـت بياتريـث هـي بياتريـث شـبابك أم أخـرى.

- لا يهـم -أجبـتُ- لـو كانـت هـذه علامـة، فـلا أريـد ألا أقرأهـا. يفزعنـي أن أقـضي حيـاتي داخـل مطـار وبحثـا عـن مكتـب اسـتعلامات. اصطحبينـي إلى مكانهـا، وسـأكون كأب لـك.

هـذا في الواقـع مـا تخيلتـه، وكان بـلا شـك مـا يجـب أن أفعلـه،

(32) سوزانا تامارو: كاتبة إيطالية متخصصة بالبرامج الثقافية العلمية وهي مساعدة إخراج كذلك.

لكنـي لم أتمتـع بالشـجاعة لخيانـة شكسـبير مـن أجـل كويليـو. فـما بـين الأدب والحيـاة دائمـا مـا اخـترت الأدب، وهكـذا أعيـش. والفتـاة تركـت المحـل وراحـت تبحـث عـن علامـة أخـرى، وعندمـا خرجـتُ كانـت قـد اختفـت.

الجارة الميتة
LA VECINA DIFUNTA

عرفت في تلك الليلة أن صديقة لنا كانت تسكن الطابق الأسفل قد ماتت، لأني من قبل أن يرن المنبه فتحت عينيّ وظهر لي طيفها.

- اسمع، لقد مُتُّ. قالت كأنها لم تصدق بعد.

المرأة تعيش بمفردها وظننت أنها جاءت لأشيع الخبر. لكن لا. لقد جاءت إلى بيتي لأنها لم تكن تعرف ماذا ستفعل ولا إلى أين ستتجه.

- هل أنتِ خائفة؟ سألتها.

- خائفة لا. لكني أشعر بأني غريبة. لقد انتصرتُ في سرعة الانتقال، غير أني لا أعرف إلى أي مكان أريد أن أذهب. لم أحب السفر قط.

- هل تريدين أن أبلغ أحدا؟

- لا.. لا، أقول لك فقط إني كنت عابرة من هنا، لكني سأواصل عبور الحوائط، فضولا.

كل شيء كان طبيعيا حتى إنه أدهشني ألا أشعر بالخوف. أن تكون ميتا ليست مسألة كبيرة في نهاية المطاف. انقلبتُ على جنبي لأصالح النوم وفي تلك اللحظة رن المنبه.

وبعد الاغتسال، وبينما كنت أصب القهوة، كنت على وشك أن أحكي لزوجتي ما حدث. كان يمكن أن أقول لها بنبرة عادية: حلمت بأن فلانة ماتت. لكني رأيت أن موقفي سيكون حرجا لو تأكد الخبر بعد ذلك. وإن لم يتأكد أيضا. فصمتُّ، إذن، وعند الخروج من البيت نزلتُ السلم بدلا من ركوب المصعد، وأصختُ السمع لما وراء باب الميتة. ولم أسمع شيئا. قاومت غواية دق الجرس ولديّ فكرة تافهة عن أنها لو كانت ميتة بالفعل فسأدخل نفسي، بهذه الطريقة، في مشكلة. ولم يكن صعبا تخيل أسئلة الشرطة: «هل حقا، كما تؤكد إحدى جاراتك، أنك ضغطتَ على جرس القتيلة في الساعة الثامنة؟».

قضيتُ الصباح في المكتب بشعور أني في عالم غير واقعي مثير، كأني لم أخرج من الحلم بعد، أو لم أدخل الواقع كلية. تغديت في مطعم اقتصادي قريب بشارع لوبيث أويوس، وبعد القهوة هاتفتُ الميتة بإصبع جاهز لإنهاء المكالمة لو ردت الشرطة، إذ ربما يكونون هناك لتفتيش الشقة. لكن أحدا لم يرد. وبعد خمس رنات ملحّة قفز المجيب الآلي، لكنه لم يقل: لا أستطيع الرد عليك الآن لأني مُتُّ للتو، لكنه قال اترك رسالة بعد سماع الصفارة. لم أقل شيئا حتى لا أبدو على صلة بالحادثة إن كانت قد ماتت بالفعل. كان يمكن أن أسأل الطيف إن كانت الوفاة بسبب جرعة زائدة أم ماذا، رغم أني أعتقد أنها لا تتناول مخدرات. لكن الموت اليوم يثير الشبهات حتى إن بدا لي من الحيطة ألا أتحقق في الأمر.

وفي المساء، حين فتحتُ باب بيتي، سمعتُ امرأة تتحدث في الصالون مع أحد. «إنها هي»، قلت لنفسي، «الميتة». خطوت في الممر بقلب في الحنجرة، وكانت هي بالفعل. في أمسيات كثيرة،

ولأنها تعيش وحيدة، تأتي إلى بيتنا وتظل تحكي معنا حتى ساعة نشرة الأخبار. كانتا تجهزان كأسين وسألتني زوجتي إن كنت أريد شيئا:

- كوب ماء. أجبتُ، إذ كانت حنجرتي جافة.

راحت زوجتي إلى المطبخ وبقيتُ أنا والميتة وحدنا، نتبادل النظر. لاحظتُ أنها مهما حاولتْ تصنّع الطبيعية ثمة شيء فيها لم يكن طبيعيا.

- لكن لم تموتي؟ سألتها بصوت خفيض.

- ماذا تقول؟ وهل كنت ستبقى معي هنا لو أني مُتُّ؟

في تلك اللحظة وصلت زوجتي بكوب الماء والثلج.

- عن ماذا تتكلمان؟ سألتْ.

- زوجك، يصر على أني قصّرتُ شعري.

لو أنها لم تكذب، لكنت فكرت أن كل شيء محض حلم، لكن رد فعلها وشى بها. وبالفعل، توقفتْ عن زيارة بيتنا بالمساء لأنها خافت من أن أقدّم لها الأدلة، وعندما نتقاطع عند مدخل البيت تتجنبني. المدينة حافلة بأناس هكذا، أفراد يقضون الأمسيات في الكافتيريات، أمام فنجان يتصنعون أنهم يشربونه.

ثمن الأرواح
EL PRECIO DE LAS ALMAS

في البداية كانت تنهيدة راحة أن ظهر لي الشيطان، إذ إنه من المفيد دائما لتقدير الذات أن تعرف أن روحك مطلوبة في السوق، حتى لو لم تكن ثمة نية لبيعها. كنت أنا وإبليس في تاكسي، هو متخفٍّ في شكل سائق، بالطبع، وأنا في شكل وكيل تجاري. وكان يقود بمهارة فائقة، رغم أنه في مكان قدميه ثمة أرجل لمعاز.

- لا أعرف كيف تستطيع التحكم في المقود والفرامل بهذه الأطراف. قلت لأكسب وقتا، حتى لا يراني متلهفا ويبدأ التفاوض في السعر.

- الواقع أن السيارة تسير وحدها -أجاب- أنا أقتصر على حركة الذراعين والساقين تمويها.

- وما سعر الأرواح هذا الموسم؟ سألتُ بنبرة عادية عندما لاحظت أنه غير متحمس للتحدث في الموضوع.

- أرواح؟ منذ زمن لم أشتر أرواحا. في الجحيم فائض. من قبل كان يجب تقديم الشباب الأبدي ولا أعرف كم جوالا من الذهب مقابل الروح الواحدة. الآن يمنحونك في المقابل ساعة رولكس من الرصاص أو شقة في حي تورّيبيّخا[33].

(33) تورّيبيّخا: معناها (المنارة القديمة) وهي منطقة ساحلية مطلة على البحر الأبيض وهي في محافظة فاليثسيا.

في الوقت الحالي، كما شرح لي، كان يشتري الأجساد. وكانت أسعار الأجساد في السماء. وتملقني بأنه مهتم بجسدي، إذ لم يبد لي قط ذا أهمية تذكر. بالإضافة لذلك، بعد تجاوز لحظة الارتباك الأولى، فكرت أنه كان أفضل لتقدير الذات أن اهتم الشيطان بجسدي أولا قبل روحي. ليس لأني قررت بيعه، بل اكتفيت بأن يضع له سعرا.

- أنا الآن أمنحك روحين مقابل جسدك. قال في النهاية.

- وماذا أفعل أنا بروحين، بالإضافة لروحي، من دون جسد يضمهم عند غروب الشمس؟

- سترى يا سيدي، واحدة تتكلم الفرنسية والإنجليزية والأخرى تتكلم الألمانية. إنهما روحا شاعرين مشهورين من القرن الماضي.

بدأت أتردد. ورغم أني لم أقل شيئا للشيطان، كان الكوليسترول مرتفعا ومنذ عامين أصبت بذبحة صدرية. كذلك، أعاني من بعض التهابات في المعدة. وأصاب بالبرد بأقل نفحة هواء. لم أشعر قط بالراحة داخل جسدي. وفكرة التخلي عن الاحتياجات العضوية وأن أكون رئيسا، على الأقل، لروحين عالميتين، كانت تغريني. بالروح التي تتحدث الفرنسية والإنجليزية يمكنني فهم نفسي، إذ كنت أعرف اللغتين. ليس لديّ فكرة عن الألمانية، لكني فكرت أنها مسألة اهتمام سأوليه خلال الشهور الأولى. أن يكون لديّ روح ألمانية، حتى لو لم أفهمها، كان له سحره.

أثناء ذلك، هاتفوا سائق التاكسي من المحطة المركزية وأخبروه بأن هناك جسدا للبيع في تقاطع شارع ماريا دي مولينا[34] مع شارع سيرّانو[35].

---

(34) ماريا دي مولينا: شخصية إسبانية مشهورة.

(35) سيرانو: تعني ريفي بالإسبانية، ويعتبر صفة في بعض الأحيان.

- هل يضايقك أن تنزل هنا، عندي مهمة طارئة؟ سأل.

- لحظة، لحظة، لم ننته بعد من اتفاقنا.

- هل تهتم بالصفقة، إذن؟

- هيا، نعم. قلت له مترددا قليلا في الحقيقة، وفي ذاك اليوم بالتحديد كان التهاب المعدة يقتلني.

حينئذ شعرت كأنهم يجردونني من قميصي القطني بعنف كبير، وفجأة رأيت نفسي خارج التاكسي، أطفو في وسط «لا بويرتا دي ألكالا»[36]، بروحين خاضعتين بجانبي. ابتعدتِ السيارة بجسدي في داخلها. ولم أستطع نسيان تعبير الحزن على وجهي على الجانب الآخر من النافذة.

في البداية، كان مسليا الذهاب من هنا إلى هناك مثل مجموعة كرات بالهواء، لكن في اليوم الثالث بدأنا نشعر بمرض الغياب الجسدي غير المحتمل. فضلا عن أني كنت أفترض أني الرئيس، كنت مضطرا لاتخاذ قرارات وتهيئة الحياة مع الفرنسي بمعرفتي للإنجليزية، وكذلك للألماني. قدمت نفسي لأكثر من مئة شخص دون نتيجة تذكر؛ كان حقيقة أن الأرواح في الأرض. في النهاية، في مرآب سيارات سانتو دومينجو[37] قابلت رئيس موارد بشرية سمح لي بالدخول في جسد مدير تجاري يرأسه مقابل أن أعلّمه الفرنسية والإنجليزية والألمانية. وافقت في الحال، لكن تحتم علينا تقسيم الجسد على ثلاثة، وكان نصيبي قطاع التهابات المعدة، وهي التهابات نفسجسمية، هكذا تخيّل كثافة ثلاث أرواح في مكان واحد. أحيانا، حين يشرد المدير التجاري، أصعد في الخفاء حتى

---

(36) بوابة الكلا: هي بوابة قديمة لمدينة مدريد ومعلم مشهور.

(37) عاصمة الدومينيكان.

العينـين، وأقـضي اليـوم وأنـا أراقـب الأجسـاد. الأرواح لم تعـد تحركنـي. رؤيـة واحـدة كرؤيـة جميعهـا، رغـم أنـه متعـدد اللغـات. أعتقـد الآن أني عقـدت صفقـة سـيئة مـع الشـيطان، لكنــي لم أعـرف قـط بيـع نفـسي.

حافظة ورق خضراء
LA CARPETA VERDE

عملت منذ سنوات في مكتب محاماة، وكان يعمل هناك موظف من الدرجة الثانية نحيل جدا وبأظفار مكسوة بالنيكوتين. وذات يوم اتصل بالمكتب من أحد بنسيونات شارع أتوتشا[38] وقال لي إنه قد هجر زوجته في التو، وبالتالي لا يرغب في المجيء إلى المكتب.

- قل للمدير إني أصبحت مريضا. أضاف.

وطلب مني أيضا أن أقترب من بيت الأرملة (هكذا أشار إلى زوجته) وأن أعد له حقيبة تضم قمصانه وحافظة ورق خضراء، مطاطية، على واجهتها مكتوب «مراسلات».

- واحتفظ بكل شيء في المكتب -قال- وبعد يومين، بمجرد أن أنظم نفسي قليلا، سآمر لآخذها.

لم أستطع الرفض، رغم أنه بدا لي تكليفا متجاوزا، هكذا في ساعة الغداء ركبت المترو من محطة نونيث دي بالبوا[39] ونزلت في محطة كاياو[40]. كان يعيش في بيت من دون مصعد بشارع

(38) أتوتشا: شارع مهم في مدريد ويحتوي على محطة القطارات المركزية.

(39) نونيث دي بالبوا: شخصية تاريخية ويعتبر من أوائل المستعمرين في أمريكا الجنوبية وله علاقة بدولة (بنما).

(40) كاياو: محطة مترو مشهورة في وسط مدريد.

بريثيـادوس[41]، قديـم جـدا، بمدخـل خشـبي وفضـاء حافـل بالصـدى، وربمـا بالأشـباح، وكنـت جبانـا جـدا في تلـك الفـترة. في الـدور الأول كان ثمـة بنسـيونان، وفي الثالـث ثـلاث شـقق واجهتهـا خربـة. طرقـت شـقته وفتحـت لي امـرأة شـقراء وقـذرة، بـروب خفيـف جـدا رغـم أنـه طويـل، وكانـت تمضـغ قطعـة خبـز.

- أنا صديق سيرخيو -قلتُ- وكلفني أخذ أشياء له.

قادتنـي المـرأة حتـى غرفـة نـوم كان سريرهـا غـير مرتـب، وفوقـه ثمـة حقيبـة مفتوحـة وممتلئـة بملابـس رجـل مرصوصـة بـأي طريقـة.

- كلها لك. وأين يختبئ سيرخيو؟

- أعتقـد أنـه في بنسـيون بــ أتوتشـا. قلـت وأنـا أقـترب مـن الحقيبـة لأقفلها.

- قل له إذن فليتعفّن.

- سأقول من جانبك.

سـحبتُ الـورم بالممـر، لكنـي فجـأة تذكـرتُ حافظـة الـورق الخـضراء، المطاطيـة، حيـث يحتفـظ بــ «مراسـلات».

- يجب أن آخذ أيضا حافظة ورق.

اختفـت الشـقراء في أعـماق الممـر وعـادت بنوع مـن الكارتون تسلمته بيـدي الخاليـة. وفي الشـارع، انتبهـت إلى أني اطلعـت في مـدة زمنيـة قصـيرة عـلى كل مـا كنـت أكرهـه في حيـاتي؛ بنسـيونات المدينـة القديمـة والخلافات الزوجيـة. في ذاك البيـت لم يسُـد أبـدا السـلام الزوجـي ولـو ليـوم واحـد. أنـا قـد جئـت إلى مدريـد لأنتـصر، لا لأرى هـذه المشـاهد التـي تسـبب لي الهـزال. هـذا مـا قلتـه لنفـسي في المـترو، في عـودتي للمكتـب، بيديـن مشـغولتين وبعـرق يخـرب ياقـة قميـصي الوحيـد المحـترم.

---

(41) شارع في وسط مدريد.

وضعت الحقيبة في غرفة أرشيف معدنية، غير مستخدمة، واحتفظت بالحافظة الخضراء في درج بمكتبي. وآخر النهار ناداني المدير ووقفت أحل معه مسائل روتينية. سألني إن كنت أعرف شيئا جديدا عن سيرخيو وقلت له لا، أصابه برد، ووافق أن يتغيب يومين أو ثلاثة.

- دائما ما يمرض في نهاية الشهر عندما ينبغي أن نجهز الرواتب.

وعدته أن أقوم بالمهمة وعدت إلى مكتبي. كان النهار قصيرا جدا وفي الخامسة والنصف بدأت تظلم. حينئذ اتصل سيرخيو وقلت له إن كل شيء تمام.

- والحافظة الخضراء كذلك؟ سأل بقلق ما.

- نعم، لا تقلق.

بانتهاء المكالمة، استحوذ عليّ حزن لا يمكن السيطرة عليه. في نهاية المطاف، أنا أيضا جزء من تلك الحياة المشققة. لو لم أنتبه، لانتهى بي الأمر في بنسيون، معانقا جوابات غرامية. قلت جوابات غرامية لأن هذا ما تخيلته في داخل حافظة الورق الخضراء. بشكل ما، كان لديّ الحق للاطلاع عليها حتى أواجه تمثيلات حياتي ذاتها.

وبقليل من الحياء، إذن، أخرجت الحافظة من الدرج وفتحتها. كانت تشبه التابوت في شيء، ببقع الرطوبة والأوراق الميتة أو المحتضرة في كل جوانبها. غير أن أكثر ما أذهلني أني لم أر مظروفات بعناوين مكتوبة بخط اليد، كما كان متوقعا في المراسلات الحميمية. لم تكن إلا خطابات من البنك أو فواتير غاز وكهرباء. وأكثرها شخصية كانت تهنئة بعيد ميلاده من مدير محلات كبيرة. وكانت مكتوبة بخط يقلد خط اليد، ومفزوع. احتفظت بكل شيء في مكانه وأدخلت الحافظة في الحقيبة. وفي الأسبوع التالي، عندما عاد سيرخيو، تركت المكتب وقررت تجربة حظي في نشاط آخر.

خورخي وماروخا
JORGE Y MARUJA

دفعـت الحسـاب في المطعـم ببطاقـة الفيـزا وأعـاد لي الجرسـون بالخطأ بطاقـة امـرأة تدعـى ماروخـا كونتريـراس، وحـين حاولـت تحديـد مكانهـا كانـت قـد خرجـت مـن المطعـم ببطاقتـي. لم أفعـل شـيئا لأصلـح الموقـف. فكـرت أنهـا سـتتكفل بـكل شيء، أو أن المسـألة سـتُحل مـن تلقـاء نفسـها. كنـت أمـرُّ بمرحلـة كراهيـة للإجـراءات ولم أقِـس العواقـب بشـكل صحيـح. أثنـاء ذلـك، كنـت أذهـب إلى كل الأماكـن ببطاقـة الفيـزا الغريبـة في محفظتـي، كأنهـا هويـة مزيفـة، عضـو اصطناعـي، حتـى جـاء اليـوم الثالـث وتحمسـت لاسـتخدامها في مطعـم آخـر بشـارع بيلاثكيـث. لم ينتبـه أحـد، رغـم لحيتـي، إلى أني مـن المسـتحيل أن يكـون اسـمي ماروخـا، مـا حمّسـني أكـثر عـلى مواصلـة اسـتخدامها، لكـن دون سـوء اسـتخدام، بنفـس السـخاء أو السـفه، بحسـب وجهـات النظـر، الـذي أسـتخدم بـه بطاقتـي ذاتهـا. ربمـا تجـاوزت في شراء ربطـة عنـق عبثيـة، ربيعيـة، حافلـة بالألـوان، أو في هديـة متقشـفة قليـلا بحسـب ذوقـي، ومـا كنـت لأتجـرأ عـلى ارتـكاب ذلـك وأنـا في شـخصيتي كـ خورخـي، وهـو اسـمي في الحقيقـة، خورخـي كونتريـراس: لي نفـس لقـب ماروخـا، مـن هنـا جـاء التبـاس الجرسـون.

وفي الشهر التالي، تلقيت كشفا معتادا بنفقات بطاقة الفيزا وأدهشني أن ماروخا لم تسرف كذلك في أموالي: خمسة أو ستة مطاعم (كلها غالية بما يكفي، هذه حقيقة)، محل ملابس، سوبر ماركت، ومكتبتان. ربما لا تكون علاقة النفقات شيئا حميميا جدا، لكن إحساسي وأنا أراجعها كان إحساس من يراقب ماروخا من عين سحرية. كنت لا أعرف هيئتها (لم يتح لي الوقت لرؤيتها) ولا عمرها، رغم أني بمراجعة تواريخ الشراء والمحلات كان يمكنني أن أتتبع أماكنها. ذات يوم دخلتْ ثلاثة محال مختلفة بشارع بيلاثيكيث ومكتبة بشارع خوان برابو، حيث أنفقتْ أكثر من مئة يورو على كتب الأدب. وهذا أهانني قليلا في الحقيقة. وفكرتْ أنها ربما أرادت أن تتظاهر بالثقافة، أو تجعلني أنا أتظاهر بها، لو اعتبرنا أن كل ما يخصها أدفعه أنا.

من جانب آخر، حين كنت أحاول تخيل المرأة عند مراجعة حساب إنفاق بطاقتها لأتحقق من عاداتها الشرائية، زاد شعوري بالإهانة، فهذه النفقات كانت أكثرها عادية. لقد تطلعت دوما لقراءة «دون كيخوتيه» وللاستماع للأوبرا، لكني في النهاية استمعت للكيخوتيه (فصلا فصلا في الراديو) وقرأت كتيبا عن الأوبرا لأتمكن من إبداء رأيي أمام الناس. كل شيء بالعكس.

وبدأت أنتظر بلهفة خطابات البنك ثم كنت أحلل بدقة كل شيء اشترته ماروخا. أحيانا كنت أذهب للمحلات التي اشترت منها لأطأ نفس الأرض التي وطأتها هي، وأشتري نفس الأشياء التي ربما اشترتها هي كذلك. وخلال كل ذلك الوقت، راحت ماروخا تغير عاداتها بنعومة. أعتقد أنها أصبحت أكثر اهتماما بالتفاصيل، وفي الأسابيع الأخيرة لم يكن مستغربا أن تشتري ورودا أو دبابيس

للشعر. وكان يروق لي أن أتخيل أنها تفعل كل ذلك لتأسرني وبدأت أشتري أيضا كأنها تراقبني، مختبئة في ركن ما من المحال. اشتريت حينئذ مجموعة ديسكات للموسيقى الكلاسيكية ومكتبة صغيرة للعناوين الرئيسية، رغم أني لم أقرأ الكيخوتيه بعد. وأحيانا كنت أشتري ملابس داخلية نسائية حتى تفهم هي أني رجل أتمتع بكل نوع من الحساسية. وفي ذلك أنفقت أموالا أكثر، لكنني عوضت ذلك بتقليل مرات الأكل خارج البيت.

كان من الممكن أن نقضي حياتنا هكذا، متبادلين فواتيرنا كأنها قبلات، أو ملامسات. حتى تخليت عن لحيتي وأنا أفكر في فكرة فانتازية بأني بهذه الطريقة سأشبه ماروخا كونتريراس. لكن ذات يوم رحت لأدفع حساب لباس نسائي، ورغم أن أحدا لم يتجرأ على أن يقول لي إني لست هي، إلا أنهم أشاروا لي بأن البطاقة انتهت صلاحيتها. وكانت حقيقة. لم أفكر قط أن قصة حب بهذه الغرابة يمكن أن تنتهي بمشكلة اعتقدت حتى ذاك اليوم أنها لا تؤثر إلا على اللبن. رغم أني لا أريد أيضا أن أخدع نفسي بهذا الخصوص: ربما الحياة لا تمنح نفسها أكثر من ذلك.

بعد قليل، لابد أن بطاقتي كذلك ستفقد صلاحيتها، لأني تلقيت بطاقة جديدة من البنك، وكانت، كما هو منطقي، باسم خورخي كونتريراس. لكنني لم أستخدمها. فهذا الشخص لا علاقة له بي. أنا أشعر أكثر بأني ماروخا، من دون أن يتطلب ذلك تغييرا في توجهي الجنسي أو شيئا شبيها. أريد أن أقول إن القيمة القليلة لديّ بقيت معها ببطاقتي منتهية الصلاحية. أنا جسد فارغ، بدلة معلقة على شماعة في بيت بلا صاحب. وربما جاءت اللحظة المناسبة لقراءة الكيخوتيه.

المختفي
EL DESAPARECIDO

رأيـتُ صـورة لرجـل مفقـود في مظلـة محطـة البـاص. كانـت في نفـس مـكان صـورة كلـب ضـال معلقـة الأسـبوع السـابق. في الحـي الـذي أعيـش فيـه، يختفـي الشـيوخ كـما تختفـي الـكلاب، ويعلنـون عنهـم في أكشـاك الجرائـد وفي مظـلات محطـات الباصـات وأيضـا عـلى أعمـدة الإنـارة. أحيانـا يفكـر المـرء أن الشـيوخ والـكلاب يهربـون معـا. وكذلـك يتبخـر الشـباب، وبخاصـة الفتيـات. مختفيـة، في الخامسـة عـشرة، ترتـدي بنطلـون جينـز وبلـوزة زرقـاء. وكان في واجهـة المخبـز إعـلان دائـم عـن مختفيـة تنظـر إليـك مـن صـورة سيئة، أحيانـا صـورة ملتقطـة مـن فوتوماتـون[42]، وكان الواحـد يغـض بـصره إذ مـن الصعـب النظـر لفتـاة مراهقـة مختفيـة.

علقـت معـي ملامـح العجـوز وفكـرت أن مقابلتـه بالمصادفـة ومنح البهجـة لعائلتـه قـد يكـون شـيئا مفرحـا. وفي البـاص، ركـزت في سـيد كبـير يحمـل في يـده مجلـة Hola [43]. كانـت HOLA قـذرة، كأنهـا خارجـة مـن سـلة زبالـة أو حاويـة قمامـة؛ لم تكـن بشـكل واضـح جـزءا

---

(42) الفوتوماتون ماكينة تصوير آلي موجودة بالشوارع [المترجم].

(43) مجلة هولا: مجلة إسبانية مشهورة تهتم بفضائح الأغنياء في إسبانيا والعالم من أخبار وصور عارية، وأكثر قرائها من الطبقة غير المثقفة. وholaتعني مرحبا.

من عاداته القرائية. ورغم أنه لم يكن عجوزي، إلا أني تكرست لمراقبته ورأيت أنه قبل أن ينزل في محطة لا كاستيّانا يخرج مشطا من كيس بلاستيكي (انتبهت إلى أنه يضم كذلك فوطة صغيرة) وكان يمشط عدة خصلات بيضاء ومنكوشة بجانب أذنيه. استنبطتُ أنه كان رجلا بلا بيت ومتسولا. وبلا شك كان قد نام في أحد مداخل بنايات حيي والآن يتوجه ليتسوّل في وسط البلد.

نزلتُ وراءه، ولأن الوقت كان مبكرا جدا قررت السير حتى المكتب، لكن العجوز سريعا ما اتخذ قِبلة غير قِبلتي. الحياة ملغزة، فكرت في ذلك، لعله سيطلب الآن صدقة في إحدى إشارات المرور، أو ربما يزور بيت ابنة ستدعوه مكرهة إلى الإفطار. ربما يكون عجوزا مفقودا ملصوقة صورته في مظله حي آخر. تناولتُ القهوة هناك ووصلتُ إلى مكتبي في التاسعة إلا عشر. حكيت لزميلي قصة العجوز المفقود.

- الآن أركز في كل الشيوخ، لكني أظن أنه من المستحيل أن أصادفه، ستكون مصادفة مفرطة.

- لا تصدق -قال- هناك مؤسسة متخصصة في البحث عن السيارات المسروقة. يعلنون أرقام السيارات ويرصدون مكافأة لمن يعثر عليها. أنا نفسي، في فترة ما، كنت أراقب لوحات السيارات وأنا في طريقي للعمل، وكنت محظوظا أن عثرت على سيارتين مختفيتين في شهر واحد. هي مسألة حظ. بالطبع لا يحمل الشيوخ لائحة، ها ها.

لم يكن قد خطر لي أن السيارات أيضا كانت تختفي. سيارات، كلاب، شيوخ، مراهقون. متوسطو الأعمار، أمثالي، وحدهم من لم يكونوا يختفون ولا حتى بالموت. وشخصيا، لم أختف قط. حاولتُ

أن أفكر في نفسي كرجل مختفٍ، وحسبت الفراغ الذي قد يتسبب فيه غيابي في حياة الآخرين. فراغ صغير، نوع من فتحات المنفس سريعا ما يعبّأ بأشياء أخرى (كلاب، سيارات، أشخاص) بينما سيتحرك جسدي في أحياء بعيدة عن حيي. كنت أتخيل نفسي راكبا باصا لم أركبه قط.. باصا يقوم برحلة مجهولة لي بالكامل. وكنت أرى نفسي بكيس بلاستيكي أحتفظ في داخله بأشياء لحياتي الجديدة: مشط بالطبع، وفوطة لا تشغل مساحة. وربما مجلة HOLA، لكنها التي أضطر لأخذها من القمامة. وبدا لي مفارقة أن تظهر مجلة صقيلة في القمامة، مع كل هؤلاء الملوك والأمراء والبنكيين بداخلها. كنت أتخيل نفسي أقرؤها كأني أفك شفرات رسائلها من بُعد آخر. زوجتي تشتري هذه المجلة. تخجل من الاعتراف بذلك وتقول دائما إنها أخذتها من بيت صديقتها، لكني أعرف أنها لا تكذب. وأنا أحيانا أتصفحها وأتساءل ما علاقتنا نحن بكل هؤلاء الناس أصحاب الأخبار العبثية الذين يحققون، مع ذلك، نجاحا عالميا.

فكرت أني حين أختفي سأتذكر زوجتي في كل مرة آخذ فيها مجلة HOLA من سلة الزبالة، وتحركتْ مشاعري بحماقة. بعدها، وبالليل، بعد العشاء، كنت على وشك أن أحكي لها عن العجوز الضال، لكنها شغّلت التلفزيون في الحال ولم يبد لي حسنا أن أقاطعها. بعد ذلك، وفي السرير، بدأتْ تقرأ HOLA التي كانت على الطاولة، وانتبهتُ إلى أني أحبها، أحبها جدا، لكني لم أعثر على اللحظة المناسبة أيضا لأقول لها ذلك.


MOHAMED KHATAB


MOHAMED KHATAB

الأعرج الناقم
EL COJO CONTRARIADO

بعد الضجر من اللف في مرآب السيارات بـ هايبر من دون العثور على موقف واحد خال، دخلت في الساحة المحجوزة للمعاقين. لكنني لم أنته من فك حزام الأمان حتى انتبهت إلى أن الحارس كان يراقب حركاتي من بعد ثلاثة أو أربعة أمتار. خرجت من السيارة وتصنعت أني أعرج وعبرت ذاك المكان القاسي وأنا أعرج بساقي اليمنى. من حين لآخر كنت ألتفتُ برأسي لأرى إن كان الحارس قد غيّر موقفه المرتاب، لكنه لم يغيره. كذلك، عندما وصلتُ إلى باب المحل، أدركتُ أنه يستعد لمتابعتي، وبالتالي لم أجد مفرا من مواصلة التصنع بالعرج.

انتبهتُ في الحال إلى أني اخترت العرجة الأكثر إنهاكا، إذ بعد برهة بدأ فخذي يؤلمني بوحشية. وخشية أن يصيبني شد عضلي، بدلت العرجة من ساق لأخرى في ممر معجون الأسنان حتى أستريح. كان العرج بالجانب الأيسر مريحا في البداية، لكن حين وصلت إلى منطقة الزيوت كنت منهكا من جديد. نظرت حولي ولم أر الحارس، هكذا بدأت أسير بشكل طبيعي، لكن منتبها لظهور صاحب الزي الرسمي، فربما أحتاج إلى استعادة الإعاقة فجأة.

وفي قسم الأسماك فكرت في أن رجلا معاقا بالفعل قد يكون دائخا في المرآب من دون العثور على مكان لركن سيارته وشعرتُ بتأنيب ضمير، وبالتالي بدأت أعرج من جديد، لكن كتكفير عن الذنب هذه المرة. حينئذ عبرت بقسم يبيعون فيه عكاكيز فاشتريت عكازا رخيصا جدا له رأس كلب عند المقبض. الآن يصير العرج متعة. ثم اخترت عرجة أكثر أناقة من السابقة وشعرت بأني على ما يرام إلى حد أني وصلت لأسأل نفسي إن لم أكن أعرج مجبرا على السير باستقامة بسبب ضغوط المحيطين بي، بنفس طريقة كثيرين من العُسْر[44] الذين يكتبون باليد اليمنى بسبب نفس الضغوط. الصعوبة الوحيدة كانت دفع العربة بيد واحدة، لكن حتى ذلك، بمجرد ما تجولت بها كيلومتر أو كيلومترين، تعودت عليها دون صعوبة. وعندما خرجت من ناصية التوابل رأيت الحارس الذي كان يتابعني من ظهره، وهذه المرة كنت أنا من يسعى للتقدم إليه حتى أقضي على ارتياباته في هذا الموقف.

في اليوم التالي، ذهبت إلى المكتب بالعكاز وأعلنت أني أصبحت أعرج. كثيرون ضحكوا، لكن بعد يومين أو ثلاثة كانوا قد اعتادوا. وكنت أتعامل مع الأمر بكل سهولة حتى إني هاتفتُ أمي.

- يا أمي، قولي لي شيئا: هل أنا أعرج؟

توقعت في الحال أنها ذُهِلتْ لأنها سعلتْ عدة مرات. وكانت كلما ارتابتْ سعلتْ. ثم سمعتها وهي تتحدث مع أبي.

- إنه الطفل -قالت- أعتقد أنه انتبه إلى أنه أعرج.

- إذن قولي له الحقيقة مرة واحدة -سمعت أبي يصرخ- لقد بلغ الخمسين. بلغ سنا يتحمل فيها مشكلاته.

(44) من يكتبون باليد اليسرى.

عـادت أمـي إلى التليفـون وقالـت إنـه ليـس موضوعـا يُناقـش في التليفـون، وإنهـا تفضّـل أن أذهـب لأتغـدى معهـما في البيـت في اليـوم التـالي لنتحـدث عـلى مهلنـا عـن الموضـوع. لكنـي ألححـتُ كثـيرا حتـى إنهـا قالـت «نعـم» في النهايـة، إني أعـرج، وشرعـتْ في البـكاء.

- ولماذا داريتما عني ذلك كل هذه السنوات؟

- حتى لا تتألم، يا بني.

- لكـن مـا كان يؤلمنـي هـو السـير باسـتقامة يـا أمـي، فمنـذ بـدأتُ أسـير بعـرج توقفـت آلام الظهـر وتوقـف الأرق. وكذلـك فـإني أركـن سـيارتي في هايـبر مـن دون مشـكلة.

ابتهجـت أمـي جـدا مـن كل مـا كنـت أقولـه، لكنهـا طلبـت منـي ألا أعلـن ذلـك.

- لا أحد يعرف ذلك في عائلتنا.

- وماذا لو عرفوا؟

- لا أعرف يا بني. افعل ذلك من أجل خاطري.

كان زواج ابنـة عمـي في الأسـبوع التـالي واضطـررت لأتصنـع بـأني غـير أعـرج مـن جديـد. السيئ في الأمـر أن مـن بـين مدعـوي العريـس كان حـارس هايـبر، فنظـر لي بوجـه عابـس.

- أنـا أعـرج -قلـت لـه في لحظـة تصادفنـا- لكـن أمـي سـيدة مهووسـة بالمظاهـر وفي الاجتماعـات العائليـة تجـبرني عـلى التخفـي.

لم يكـن للعبـارة أي جـدوى. وفي السـبت التـالي، في هايـبر، كنـت سـأركن سـيارتي كالعـادة في المسـاحة المخصصـة للمعاقـين، فظهـر وهـو يهـز عصـاه. لم أركـن بالطبـع، لكنـي عـلى أي حـال قمـت بالـشراء وأنـا أعـرج.

المتشاجر
EL DISCUTIDOR

أسـافر وحـدي كثـيرا. أو هـذا مـا أتمنـاه، أن أسـافر وحـدي، فالحقيقـة أني بمجـرد مـا أركـب السـيارة أبـدأ في النقـاش مـع شـخص متخيـل يجلـس في المقعـد المجـاور. بالأمـس، حتـى لا أذهـب بعيـدا، حدثـت مشـاجرة متخيلـة مـع زوجتـي. لقـد أصرت أنـه حتـى نصـل إلى شـارع خـوان برابـو[45] مـن الأفضـل أن نهبـط مـن شـارع برينثيبـي دي بيرجـارا[46] وأن نلـف يسـارا. فقلـت لهـا إنـه ممنـوع في هـذا التقاطـع اللـف يسـارا فسـخرت منـي.

- يبـدو أكذوبـة أنـك تقـضي اليـوم في السـيارة وحتـى الآن لا تعـرف الشـوارع. قالت.

سرت مـن حيـث قالـت لي لأضايـق نفـسي ثـم دفعـتُ في وجههـا ثمـن التهـاب معـدتي، لكـن حـين وصلنـا إلى خـوان برابـو وبـدأتُ في الـصراخ كانـت زوجتـي قـد اختفـت وفي مكانهـا كان يجلـس مديـري في العمـل. قـال إن أدائي قـد تراجـع كثـيرا في الفـترة الأخـيرة، ولـو واصـل أدائي هكـذا فسـيضطر لاتخـاذ موقـف.

- إلى أين تذهب الآن؟ سأل.

---

(45) خوان برابو: نبيل من سلالة عريقة شارك بحروب كثيرة.

(46) برينثيبي دي بيرجارا: قائد عسكري شارك بالحروب الفرنسية الإسبانية.

قلت له لأرى عميلا بشارع خوان برابو، فوضع يده على رأسه.

- لكن ألا تعرف إلى الآن أنه ممنوع اللف يسارا من برينثيبي دي بيرجارا؟ أين رأسك؟

لم تكن المسألة تستدعي أن أقول له إني أخذت هذا الطريق بسبب زوجتي، هكذا بررتُ قائلا إني معتاد تناول القهوة في حانة تقع على بُعد شارعين من هنا.

- تتناول الكثير من القهوة -وبّخني- في العمل بالشارع يجب أن تعرف التخطيط جيدا، خاصة في مدينة مثل هذه. الآن أفهم لماذا يتسرب منك اليوم.

هنا طفح الكيل، لأن الحقيقة أني أقوم بزيارات أكثر من نصف زملائي. هكذا قلت له بغضب ما:

- لكني أقوم بزيارات أكثر من النصف.

- لكن بنتائج أقل.

لم يكن مفيدا في شيء أن أذكّره بأني في التدريب السابق قد غطيت أهداف مبيعات العام كاملا في منتصف سبتمبر، ولا أني في هذا الشهر قد أغلقت بالفعل عملية تزيد على مليونين. كان قد قرر أن يضايقني، وواصل في قول «لكن» على عملي. ربما في ظروف أخرى كان من الممكن أن أسيطر على نفسي، لكني كنت غاضبا جدا من النقاش المتخيل من قبل مع زوجتي، فلعنته.

- أتعرف ما أقوله لك؟ اشرب من البحر.

لم أكن أجهل أنه في اليوم التالي كان ثمة اجتماع على مستوى عالٍ لتعيين مدير المنطقة الجديد، فالسابق كان قد مات. كنت أعرف كذلك أني أحد المرشحين للمنصب. واستنتجت أن مديري كان ينتظر أداء خانعا، إذ يفضّلون في مؤسستي الأمزجة الخاضعة أكثر

من المهنيين المتفوقين. لكني لم أستطع السيطرة على نفسي، وهكذا رفضتُ الترقية ورفع الراتب، وكل شيء. وحين أدرتُ وجهي لأعتذر، كان رئيسي قد اختفى وفي مكانه كانت زوجتي جالسة من جديد. أثناء ذلك كنت قد وصلت إلى بوابة «ألكالا»، حيث لم يضع مني شيء. عندما أتناقش، أفقد بوصلتي.

- لابد أنك سعيدة -قلت لها- لقد ضحيت بالترقية بذنبك.

- أي ترقية، أي ذنب، عن ماذا تتحدث؟

شرحت لها بأنه أغضبني جدا إصرارها على العبور من شارع برينثيبي دي بيرجارا ثم فرغت كل غضبي في مديري.

- أنت أحمق. أجابت باحتقار، وبدأنا في الشجار من جديد.

الملفت أني لست متزوجا، ولا أعمل في أي مكان. ولا حتى لديّ سيارة. لكن يستحوذ عليّ مزاج شجار غير معتاد. أقضي حياتي متشاجرا مع أناس متخيلين، كأني لا أكتفي بمشاجراتي مع أمي. بالإضافة لذلك، لا أعيش في مدريد، إنما في بالينثيا[47]. لكن حين أصل إلى البيت، أمسك بخريطة للعاصمة وأركب سيارة متخيلة -سيارة سيات توليدو أوتوماتيكي- وبينما أتنقل من هنا إلى هناك أتشاجر مع زوجتي، مع رئيسي في العمل، مع الحراس.. أحاول أن أقلد الناس، لكني لا أصيب، لأني في العمق شخص هادئ. لو كان باختياري لهجرت أمي، ولتوجهت إلى مدريد لتكون لي حياة حقيقية. لكن أمي أيضا متخيلة، وليس بوسعي أن أتركها وحدها في هذه الظروف.

(47) بالينثيا: مدينة إسبانية تقع شمالا وهي في محافظة (كاستيا غي ليون) – قشتالة.

وكانت تمطر وتمطر
Y LLOVIA Y LLOVIA

حين رن المنبه، كنت نائما على جانبي الأيمن. لابد أني كنت في نفس الوضع طوال الليل، إذ لاحظت أن أحشائي قد انتقلت ناحية هذا الجانب. حتى لساني قد سقط من أثر الجاذبية، مثلما يحدث حينما تقلب علبة أقلام رصاص ويبقى جزء من العلبة فارغا. جزء من جسدي كان فارغا تماما، بينما الرئتان والكليتان والكبد والبنكرياس كل ذلك غدا مكوّما في الجانب الأيمن. أول ما فكرت فيه، بالطبع، أنه مجرد إيحاء. فالأعضاء تخضع لجدران الجسد بنظام دقيق جدا. ولم يكن ممكنا هذا التنقل الداخلي. سمعتُ زوجتي تنهض وتصنعتُ أني نائم. وكانت عيناي ما تزالان مغمضتين. وكانوا يذيعون في الراديو أن هناك ازدحاما مروريا بطريق M 30 وآخر بـ لا كاستييانا، لأنها كانت تمطر وتمطر.

حين شعرتُ بأن زوجتي محبوسة في الحمّام، تقلبتُ لأنام على ظهري فتعود الأحشاء إلى وضعها الأصلي، لكن الرئة اليسرى هي الوحيدة التي عادت. واللسان. فيما بقيت الأعضاء الأخرى عالقة لسبب ما غير مفهوم. تقلبتُ بعدها على الجانب الأيسر لأرى إن كانت الجاذبية المفرطة ستجبرها على العودة لمكانها، لكن الوضع

استمر كما كان. نهضتُ حائرا وجلستُ على طرف السرير. كان الراديو يذيع أن سائقة تاكسي ولدتْ داخل سيارة بمساعدة راكب، رغم أن ما يحدث عادة هو العكس: الراكبة تلد بمساعدة السائق. وكانوا ينصحون بعدم المرور من طريق M 40 من بين خبرين آخرين لم أنتبه إليهما، إذ انقلبت شاحنة نقل وكانت تمطر وتمطر.

خرجت زوجتي من الحمّام وعادت إلى غرفة النوم، سألتني إن حدث لي شيء، قلت لها لا، لا شيء. وبدا لي أن أعراض ما كنت أعاني منه في ذاك الصباح ليست حقيقية جدا. فانتظرتُ حتى خرجتْ من الغرفة، وحين هممتُ بالنهوض سقطتُ على جانبي الأيمن، إذ ثقل كل جسدي، باستثناء الرئتين المكونتين عمليا من الهواء، كان في هذا الجانب. نهضتُ مرة أخرى ووصلتُ بجهد إلى الحمّام، أديت بعض تمارين التوازن لأرى إن كان ممكنا إخفاء هذا المرض الجديد، أو أيا كان اسمه. ثم خطرت لي فكرة. زوجتي تهوى الغطس وتحتفظ في الدولاب بحزام رصاصي تحمله كلما راحت إلى البحر. أخذته ولففته حول ساقي اليسرى وغطيته برجل البنطلون. وحاولت أن أسير هكذا ورأيت أني غير مضطر لبذل جهد كبير لأحافظ على توازني. قررت ألا أفطر حتى لا أضيف وزنا للمعدة، التي كانت في الجانب الأيمن. لكن زوجتي انتبهت، من دون أن تسألني عن شيء مخافة أن أحدثها عن مرض جديد. هي تبغض أمراضي، أعراضي. وتعتقد أني أمرض لأضايقها، رغم أنها حين كنا مخطوبين كانت تقابلها بمرح. وفي الباص، ورغم الوزن المضاد، سقطتُ مرتين حين توجهت لأمسك بالشريط بيدي اليسرى.

أشعلتُ السيجارة الأولى في المكتب، لأرى ماذا سيحدث، لكن لم يحدث شيء. وصل الدخان بطبيعية إلى رئتيّ، رغم أني لم أشعر في

المعدة بهذه الوخزة المميزة للسيجارة الأولى. وحين ركزت انتباهي أكثر، بدا لي أني من دون كبد ولا كليتين، ولا بنكرياس، ولا شيء من شيء. فجأة أصبحتُ خاويا، فقط برئتين هوائيتين في منتصف صدري. نهضتُ لأواجه دفعة الرعب فسقطت على جانبي الأيسر بسبب الحزام الرصاصي. ولحسن الطالع، لم يكن أحد في المكتب في تلك اللحظة. فخلعت الحزام وسرتُ من جانب لآخر بالمكتب بخفة مدهشة. وكان الحذاء يبدو لي ثقيلا جدا. ثم اضطررت للف الحزام الرصاصي مرة أخرى، هذه المرة في مكانه، حتى لا أرتفع وأنا أمر بالممر عند خروجي لتصوير ورق.

وبالليل، رأت زوجتي الحزام الرصاصي خارج مكانه وسألت ماذا يفعل هنا. قلت إني لم ألمسه، لكن وجهي احمر في نفس الوقت، وبالتالي انتبهت إلى أني أكذب. ربما فكرتْ أن لديّ أي انحراف جنسي أمارسه بهذا الحزام. وفي السرير، قررتُ أن في اليوم التالي سأستيقظ بوهم أني فقدتُ ذراعي اليسرى، وسأرى كيف ستسير الأمور. ونمنا وكان الراديو مفتوحا، وقبل أن أفقد الوعي سمعتُ أنهم حفروا حفرة في ميدان كاستييانا ودفنوا فيها أربع سيارات وكانت تمطر وتمطر.

ثياب الميت
LAS ROPAS DEL DIFUNTO

لم ترغب الأرملة في التخلي فورا عن ملابس زوجها الميت، غير أنها بعد أشهر قليلة، وكلما فتحت الخزانة ورأت معاطفه وقمصانه وربطات عنقه بجانب بلوزاتها وتنوراتها، بدأتْ تحزن أنها لم تتخذ قرارا من البداية.

لديها الآن خزانة أرملة تلوث كل ما يدخل أو يخرج منها، واستطاعت أن يستمر الميت حيا في ذاكرتها، لكن في مقابل أن تموت هي نفسها بطريقة ما. فملابسها الداخلية باتت تفوح منها رائحة جنازة، وسرير الزوجية كان يبدو كالنعش.

كانت تنام بجسد حاضر، حتى نَصِف ذلك سريعا، وكانت ترتجف بين البطاطين كأنها متلحفة بملاءة من الرخام. وبشعور بالذنب، جرّبتْ أن تهادي حارس البناية معطفا لتتخلى رويدا رويدا عن أشياء الميت، لكن ذلك لم يحسّن الوضع. إذ كلما نزلت السلالم ورأت الرجل من ظهره كان يبدو لها أن مدخل البيت يتحول إلى قبر. فكرت في ترك المكان، لكنها كانت كسولة وفضّلتْ أن تستسلم لهذا الشكل الهزيل من الحياة.

حينذاك تعرّفتْ على أرمل وبدأتْ تخرج معه. كان رجلا مريحا، مهذبا، طويلا، مهندما، رغم أن ملابسه تفوح منها رائحة

جنـازة. وذات يـوم أدركـت أن الرجـل ارتكـب نفـس الخطـأ الـذي ارتكبتـه هـي بالملابـس، وقالـت لـه ذلـك:

- لابد أنك تحتفظ في الخزانة بملابس زوجتك.

- لماذا تقولـين ذلـك؟ سأل وبـدا متحفظا، إذ اعتقـد أنـه لـوم مـن عاشـقة.

- لأنـك تفـوح منـك رائحـة أرمـل كـما تفـوح منـي رائحـة أرملـة. لـن نستطيع أبـدا التخلي عـن تلـك الرائحـة. لـن نكـون سـعيدين إذا لم نتخـل عـن تلـك الرائحـة.

وخـلال الأيـام التاليـة، فكـرا في حلـول متعـددة. كان إهـداء الملابس بعـد كل تلـك الفـترة يبـدو فعلـة شريـرة، كأنـه إهـداء الجثـة بطريقـة مـا. يجـب إهـداء ملابس المـوتى قبـل أن يـبرد الجسـد. بعـد ذلـك تتحـول إلى أكفـان.

مـا مـن شيء أكـثر حزنـا مـن بدلـة ميتـة، قـالا ذلـك ذات يـوم وهـما يضعـان عـلى سريرهـا ملابـس زوجهـا الميـت ليفسـحا مكانـا في الخزانـة. وكان ثمـة انطبـاع بـأن المعاطـف توقفـت عـن التنفـس مـن قبـل الانتحـاب. واتصلـتْ بالأبريشـية، لكـن القـس حـين رأى المشـهد قـال إنـه لا يمكـن أن يقبـل تلـك الأكفـان. ثمـة فـارق بـين التـبرع للفقراء بملابـس مسـتعملة والتـبرع بأكفـان.

وبكـت المـرأة وبكـت، إذ كانـت تـدرك أنهـا لـن تسـتطيع أن تبـدأ حيـاة جديـدة مـا لم تتخـل عـن كل تلـك الملابـس.

وفي النهايـة خطـر للأرمـل فكـرة أن يأخـذ الملابـس كلهـا إلى محـل تنظيـف الملابـس ثـم يتركهـا هنـاك. بـدت لهـا فكـرة جيـدة وهـذا مـا فعـلاه. حقيقـة أن الفـراغ الـذي تركتـه الملابـس في الخزانـة كان يشـبه في البدايـة نخـر الأسـنان، حفـرة صغـيرة، لكـن شـيئا فشـيئا كان الثقـب

يمتلئ بملابس أحياء بدؤوا يبعثون من بين الموتى فيندمجون من جديد في الحياة وفي الكافيتريات. لم يصل الأرمل والأرملة إلى إقامة علاقة، غير أنهما كانا يلتقيان كل ظهيرة ويتناولان الجاتوه بالكريمة. ويوم الأحد كانا يتغديان معا، سواء في بيتها أو في بيته. واعتادا أن يطبخ كل واحد منهما حين يجد نفسه في بيت الآخر، وكانا يدفعان تذاكر السينما مناصفة. ولم يتحدثا قط عن محل تنظيف الملابس، ولا عن الملابس المنسية هناك كطفل غير مرغوب به ألقياه في مدخل بناية.

وذات يوم كانا في كافتيريا في انتظار فنجانَي قهوة وقطعتَي جاتوه عندما طلبت منه أن ينظر إلى رجل جالس في المنضدة المجاورة.

- إنه يرتدي معطف زوجي.

- يشبه معطف زوجك يا امرأة. أجابها.

- لا.. لا، أنا أعرفه لأن ثمة زرا مكسورا في الكم، ألا تراه؟ والجيب حيث كان يضع المفاتيح به علامة.

رمق الأرملُ بدقة معطفَ الرجل الجالس على المنضدة المجاورة ولم يشعر بقوة ليعارضها. هو نفسه اضطر للاعتراف لنفسه بأنه منذ فترة ينظر إلى كل النساء على أمل العثور على امرأة ترتدي ملابس زوجته الميتة.

أدرك حينئذ أن تلك العلاقة لا مستقبل لها، وعند الوداع قبّل الأرملة بطريقة خاصة ولم يعد للاتصال بها. ولا هي فعلتْ ذلك.

فتاة التلفزيون
LA CHICA DE LA TELE

في ناصية شارع لوبيث دي أويوس مع برينثيبي دي بيرجارا كان ثمة زوجان يتشاجران. كانت المرأة تبكي وكلما زاد بكاؤها، زاد هو في عدوانيته. اقتربتُ في الخفاء وتوقفتُ أمام فاترينة محل موبيليا. حينئذ قالت المرأة:

- إذن لو أردتَ، نضعه في الصندوق الخلفي.

لم أفهم إلى ما تشير، غير أن الصوت بدا لي مألوفا وانتبهتُ إلى أنها فتاة النشرة الإخبارية. كانت أكثر نحافة إلى حد ما من الشاشة، وكان بصوتها نبرة حادة لم ألتفت إليها في التلفزيون، لكن يجب ألا ننسى أنها كانت مُثارة لمسألة صندوق السيارة. حينئذ، لفتَ هو انتباهها لوجودي وسارا لخطوات قليلا مكتومَين.

وفي اليوم التالي، حين بدأت الأخبار، ركّزتُ في الفتاة والتفتُّ إلى أنها قد بكتْ. لكن المُشاهِد الأقل تركيزا، أو من لم يحضر مشاجرة اليوم السابق، لا يمكن أن يلاحظ ذلك لأن المكياج كان مبهرا. أغلب الظن أنها وضعتْ قطرة للعين أيضا حين يلمع بؤبؤها. لكن في عمق العينين كان يُلاحظ بقايا التعب. شعرتُ بحزن، حقيقة.

وخلال الأيام التالية، راقبتها بتركيز وأدركتُ أن الأمور بين الفتاة والرجل لا تسير على ما يرام. كان وجهها عابسا، رغم المكياج، ولم يكن شعرها مفرودا كالعادة. قلت ذلك لزوجتي:

- هذه الفتاة في حالة متدهورة.

رفعت زوجتي رأسها من المجلة وقالت إنها لم تلاحظ عليها شيئا.

- كيف لم تلحظي عليها شيئا؟ لو رفعتِ نظرك، ألا ترين أنها كانت تبكي للتو؟

- كيف كانت تبكي؟ بالإضافة لذلك، هناك الآن قطرات ومساحيق تقلل التعب. يمكن أن تبكي طوال اليوم من دون أن يعرف أحد.

وحين لاحظتُ أنها تعارض من أجل المعارضة، تركتها تعود إلى مجلتها وواصلتُ مراقبة الفتاة. فكرت أني لو كنتُ أباها، لكنت تكلمتُ مع هذا الرجل الذي سبّب لها كل هذا الضيق. ولكنت طلبت منه أن يستخدم صندوق سيارته. ليس غريبا أن تتورط هذه النساء اللاتي يظهرن في التلفزيون مع رجال سيئين يستغلون شهرتهن ليحظوا بنجاح. من ناحية أخرى، ثمة أناس يحملون في صناديق سياراتهم جثثا. وصليت من أجل ألا تكون المسكينة متورطة في جريمة.

أثناء ذلك، بدا لي أن الفتاة، بين خبر وخبر، كانت تومئ بفمها إيماءة كطلب نجدة.

- هذه الفتاة تطلب النجدة. قلتُ بصوت عالٍ.

- أنت مختل. علقت زوجتي.

وظللت، طوال الأسبوع، أراقب بدقة كل تعبيرات وجهها ووصلت لخلاصة أنها تطلب المساعدة، من دون أي ذرة شك.

لم أكن أعرف ماذا أفعل. كان يمكن أن أهاتف القناة التلفزيونية، لكن ربما لا يصدقونني.

في تلك الظهيرة، توجهتُ إلى ناصية برينثيبي دي بيرجارا مع شارع لوبيث دي أويوس في نفس الساعة التي صادفتها فيها المرة السابقة. فكرتُ أن الفتاة ربما تعيش هناك وأكون سعيد الحظ فأقابلها. انتظرت ربع ساعة دون أن يظهر أحد، وحين يئستُ تنزهت حتى حانة «فيبس»[48] الواقعة على ناصية شارع بيلاثكيث لأتناول زجاجة مياه معدنية. جلستُ على البار وأشعلت سيجارة، وحين التفتُّ لألقي نظرة على المشهد، رأيتهما جالسين على منضدة قريبة. كانت ترتدي نظارة شمس، رغم الظلام السائد، وكان ذلك علامة على أنها تبكي من جديد. وربما كانت في تلك اللحظة تبكي. وفجأة، مع ذلك، أطلقتْ قهقهة. بعض الزبائن التفتوا لأنها لم تكن قهقهة عادية. ربما كانت تحاول لفت الانتباه. انتظرتُ قليلا وعندما نهضتْ لتدخل الحمّام اقتربتُ من المنضدة وكلمتُ الرجل.

- اسمعني جيدا، لأني لن أكرر لك ما أقوله مرة أخرى يا معتوه: لو استمررتَ في إيلام هذه الفتاة، فسأسبب لك مشكلة. أعرف الكثيرين في الشرطة، وربما أنا نفسي رجل شرطة. وشيء آخر: حين تحب أن تخبئ ميتا، افعل ذلك في حقيبة سيارتك أنت.

أدركتُ من تعبير وجهه أني ضغطتُ على الجرح، وخرجتُ إلى الشارع قبل أن تعود الفتاة من الحمّام. وفي اليوم التالي، شاهدتُ نشرة الأخبار بتركيز وانتبهتُ إلى أن للفتاة نظرة خاصة، كأنها تحاول أن تشكرني. حكيتُ كل ذلك لزوجتي، لكنها لم تنصت إليّ.

(48) سلسلة مطاعم للوجبات السريعة مشهورة في مدريد.

راحة غريبة
UN RARO BIENSTAR

على باب أحد المولات التجارية بشارع «جران بيا»[49]، كان ثمة كشك صغير يبيعون فيه ساعات بستة يوروات. اقتربتُ لألقي نظرة، ووقفتُ بجانب سيدة وطفل (افترضتُ أنه ابنها) وكان في التاسعة أو العاشرة. في تلك اللحظة كانت السيدة تقول:

- لو لم تختر الآن أي ساعة فسننصرف في الحال، لقد مللتُ من الانتظار.

كان الولد يضع يده في مجموعة ساعات بتعبير استياء، ويسحب واحدة لها إطار حافل بمعلومات لكنها لا تشير إلى الوقت.

- يا للعفن الذي اخترته -قالت المرأة- ألم تعجبك إلا هذه؟

كانت المرأة قد اختارت ساعة أخرى لا علاقة لها كذلك بالتوقيت، لكن كان يبدو أن حزامها معدني. كان الطفل ينظر إليها ويتردد بين ما تقترحه أمه وساعة ثالثة سوداء تماما، كأنها من المطاط ربما تفيد لمعرفة درجات الحرارة لأني لم أستطع رؤية التوقيت فيها. لقد كنت أبحث في كل الساعات عن التوقيت بهاجس يشبه من يبحثون عن قِطٍّ بثلاث أرجل، ولم أعثر عليه

(49) جران بيا: معناها بالإسبانية الشارع الكبير وهو شارع مهم في وسط مدريد.

قَـطٌّ. ولا رأيـتُ قِطـا بثـلاث أرجـل. فـكل القطـط التـي أعرفهـا لهـا خمـس أرجـل أو سـت.

وعندمـا رأت المـرأة أن الطفـل لم يخـتر السـاعة التـي اقترحتهـا، كـررتْ لـه أنهـما سـينصرفان مـن دون شيء. اسـتمر المشـهد عشريـن دقيقـة، وفي النهايـة اختـار الطفـل، بتوتـر كامـل، السـاعة التـي اختارتهـا الأم.

الخطـير في الأمـر أنـه ظـن أنهـا تـروق لـه، أو هـذا مـا بـدا لي. كرهـتُ هـذه الأم كأنهـا أمـي، وعندمـا ابتعـدا خطـوات اشـتريتُ أنـا السـاعة التـي راقـتْ للطفـل. ثـم ركبـتُ المـترو وراءهـما واسـتغللت إحـدى حـركات العربـة لأدس السـاعة في جيـب الطفـل مـن دون أن ينتبـه هـو أو أمـه.

نمـتُ أفضـل في تلـك الليلـة. الأفعـال الخـيّرة عـادة مـا تسـبّب لي شـعورا براحـة غريبـة. مـن أجـل ذلـك أفعـل القليـل مـن الخـير: لأن الراحـة غريبـة وتمنعنـي عـن الكتابـة. حـين أشـعر بالسـعادة، أكـره الكتابـة، وهـي أكثر مـا يـروق لي. يبـدو أنـه مـن المسـتحيل أن يكـون المـرء سـعيدا وفي نفـس الوقـت يفعـل مـا يحـب. هـذه مفارقـة لم تعالجهـا الفلسـفة بشـكل كافٍ. لا أعـرف مـن قـال إن النـاس عـادة مـا ينجحـون في خططهـم البديلـة، لأنهـم لـو نجحـوا في خططهـم الأولى فسـيبلغون مسـتوى مـن البـؤس لا يمكنهـم تجـاوزه بالفعـل.

انظـر إلى سـالنجر[50]، الـذي تعرّفنـا إليـه بفضـل السـيرة التـي كتبتها ابنتـه (يـربّي الغربـان) والتـي كُتِبـت بحرفيـة كيـف كان يتطهـر بـشرب بولـه ذاتـه. وكل ذلـك قبـل أن يكتشـفوا العـلاج بالبـول ويقننـون، بالتـالي، هـذا المـاء المذهـب.

(50) دافيد سالنجر: كاتب أمريكي معروف (1919 - 2010).

في اليوم التالي، عدتُ للعبور من باب المول التجاري في نفس الساعة، وأدهشني رؤية الطفل وأمه أمام الكشك. اقتربتُ في لحظة وجهتْ الأم فيها صفعة للطفل وقالت:

- أعِد هذه الساعة في الحال.

أخرج الطفل الساعة التي دسستها في جيبه وسلّمها بخجل إلى البائعة.

- لكني لم أسرقها -قال- فقط وجدتها في جيبي.

- يكذب بنفس وقاحة أبيه. قالت المرأة يائسة.

بمجرد ما أعاد الساعة للموظفة المصعوقة، انصرفتْ الأم مع ابنها وعُدْتُ أنا لشرائها من جديد.

- هذه المرة الثانية التي أشتريها. قلتُ للبائعة التي لم تعرف بماذا تجيب.

أخذتُ الساعة إلى البيت وأهديتها من جديد لأحد أبناء الجيران، وأعجبته جدا لأنها لم تكن تعد الساعات. قلت له أن يعتني بها لأنها كلفتني الضعف وصدّقني الطفل ليغيب عن نظري في أسرع وقت ممكن.

في تلك الليلة كنت سأستغرق في النوم، سريعا لشعور براحة غريبة، حين انتبهتُ إلى أن تعبير «راحة غريبة» تعبير تكراري. الراحة دائما غريبة. ليس هناك راحة عادية كما ليس هناك جنس عادي.

حينئذ عرفتُ أن حكاية الساعة التافهة التي لا تشير إلى مرور الوقت ستظل في ذاكرتي بطريقة غريبة أيضا، مثل الراحة التي كنت ضحية لها.

في تلك الليلة نمتُ جيدا حتى إني لم أستطع كتابة نصف صفحة في اليوم التالي. لكن في اليوم التالي عاد ليتملكني الاستياء الطبيعي فغدوتُ سعيدا جدا لأني أنهيتُ فصلين.

تدبير الرب
LOS CAMINOS DEL SEÑOR

كان هـو يتوجـه كل ثلاثـاء إلى برشـلونة لمسـائل تخـص المؤسسـة، وكانــت هــي تتخيــل أنــه سـيبقى هنــاك للأبــد. كانــت برشــلونة في خيالهـا مكانـا غـير واقعـي لا يمكـن لبعـض الأشـخاص أن يعـودوا منـه. مـع ذلـك، كان زوجهـا يعـود ومـن دون أن يفقـد طرفـا مـن حقيقيتـه. ربمـا يمكـن أن نقـول إنـه كان يعـود أكـثر حقيقيـة مـما كان عليـه. وأيام الثلاثــاء، في النهايــة، كانــت أيامــا ســعيدة حتــى يــأتي الليــل وتســمع احتـكاك مفتاحـه في الكالـون.

في هــذا الثلاثــاء، تنبــأتْ بــأن الطائــرة ســتتعرض لحادثــة وســيهلك كل الـركاب. جاءتهـا النبـوءة مـن قبـل أن تنـزل مـن السريـر، بقـدم في الحلـم وأخـرى في الصحـو، وفكـرتْ أن هــذه الفكـرة سـتنصرف عــن رأسـها تحـت الـدش، أو عندمـا تجهـز القهـوة. وبعيـدا عـن ذلـك، كان الشـعور بـأن شـيئا سـيحدث يـزداد كلـما دخلـت الحيـاة الواقعيـة. وخـلال الإفطـار كانـت عـلى وشـك أن تطلـب منـه ألا يسـافر اليـوم إلى برشـلونة، لكنهـا اسـتطاعت أن تقمـع نفسـها وتودّعـه عـلى البـاب بـكل طبيعيـة. وهـو لم ينتبـه حتـى إلى أنهـا تودّعـه بطريقـة غريبـة بعـض الـشيء، للأبـد.

حين بقيتْ بمفردها، فتحت الراديو وانتظرتْ بلهفة أن يقولوا الخبر. تأخروا أكثر من ساعة تقريبا، لكن ثمة طائرة وقعتْ، بالفعل، وكانت تلك التي يسافر فيها زوجها. أطفأت الراديو، لتوحي بأنها لم تطلع على الخبر بعد، وبدأتْ في القيام بمهامها المنزلية، وفي انتظار أن يرن التليفون من لحظة لأخرى.

جاءت ساعة الغداء ولم تتلق أي مكالمة بعد، لكنها لم تقلق إذ اعتبرتْ أن التعرف على الضحايا سيكون عملا شاقا جدا. المهم أنه قد مات. أكلتْ حبة طماطم بالملح والزيت، وجلستْ أمام التلفزيون من دون أن تركّز في البرنامج، إذ كانت تخطط لنفسها حياة فانتازية. ستبيع البيت الواقع في الضواحي، وستنتقل إلى وسط البلد لتكون قريبة من السينمات والمطاعم والصخب. لم يحب زوجها مدريد قط، لذلك عاشوا في الضواحي. وهي كانت تكره الضواحي. كان التأمين على الحياة مرتفعا جدا وكان يضاعف في حالة الحوادث. لن تواجه أي صعوبات حتى تتحسّن أحوالها. وفجأة، بدا لها أن من السهل نسبيا أن تحوّل خيالاتها إلى واقع. وشعرتْ بحسرة ضئيلة على بقية الركاب، لكن من دون أن تشعر بالذنب، إذ لم يكن ممكنا أن تحذرهم واحدا واحدا بنبوءتها. بالإضافة إلى أنهم ما كانوا ليصدقوها. فالنبوءات يُنظر إليها باحتقار.

في منتصف النهار بدأت تشعر بالقلق، لكنها فتحتْ الراديو وقالوا إنهم حتى لم يبدؤوا في مهمة التعرف على الضحايا. فكرت أن الغريب كذلك أنهم لم يهاتفوها من مؤسسة زوجها، وأرجعت ذلك إلى عجزهم. وفي السابعة دخنتْ سيجارة وأعدتْ كأس نبيذ أبيض باردا. منذ عام لم تدخن ولم تشرب، لكنها فكرت أن المناسبة تستحقها.

وفي الثامنة والنصف، عندما سمعتْ صخبا نابعا من الباب، أطلت على الممر ورأت زوجها يدخل بكل طبيعية. أول ما خطر لها أنه طيف. موتى كثيرون لا ينتبهون سريعا إلى أنهم موتى ويواصلون فعل نفس الأشياء التي كانوا يفعلونها وهم أحياء. «سأقول له إنه ميت؟»، فكرتْ، «وسيختفي في الحال».

وفي الحال انتبهتْ إلى أنه ليس ميتا. بالعكس، كان أكثر حياة من الصباح. واستنبطتْ أنه لا يذهب إلى برشلونة يوم الثلاثاء، إنما يقابل عشيقة ما في مكان منعزل جدا، إذ لم يعرف حتى بالحادثة.

- ألا تعرف أن طائرتك سقطتْ وأنك ميت، يا جبان؟

- ماذا تقولين يا امرأة؟

- إنهم حتى الآن لم يتعرفوا على جثتك، أم أنك لم تستمع للراديو طوال اليوم؟

احمر وجهه من الخجل، وتردد لثوانٍ إن كان يتصنع دور الطيف أم لا. لكن الطيف لا يأكل بشهية مفتوحةً، وبالتالي فضّل الصمت.

- أنت ميت بالنسبة لي من الآن. قالت هي وانصرفتْ إلى السرير من دون أن تشاهد التلفزيون.

منذ ذلك اليوم، بدأ يقوم بدور الميت، وعلاقتهما، بشكل مذهل، تحسنت فوق الوصف. وفي أيام الثلاثاء، توقف عن أكذوبة أنه سيسافر إلى برشلونة وكانا يقضيانه معا، في السرير، كأنهما عاشقان سريان. واكتشفا النيكروفيليا في نفس الوقت، ومنذ عدة شهور عرفا متعة إنجاب أطفال أيتام. والآن، في النهاية، صارا عائلة سعيدة، طبيعية، عائلة من تلك التي تعرفها كل يوم وتودّعها كل ليلة. تدبير الرب عجيب جدا.

سيعرفون
SE VAN A ENTERAR

قلتُ للسائق أن يفتح الراديو، وأجابني بأنهم لا يقولون إلا حماقات. تفاديتُ إغواء أن أثبت له أني لستُ أحمق، أو أن الراديو ذكي. واقتصرت أن كررت له طلبي، من دون أي تعديل، لكن من مسافة: من فضلك افتحه. أمال الرجل رأسه وضغط على الزر. لابد أنه كان برنامجا عن كائنات خارقة، إذ كانت المرأة تؤكد أنه قد لبسها كائن نوراني في ممر بيتها.

- انحنيتُ لأنظف مقعد المرحاض -قالت- وعندما نهضتُ، بدلا من أن أرى القيشاني، رأيت شكلا بشريا من خيوط مضيئة. هربتُ إلى الممر، وهناك لحق بي كائن غريب ولبسني بوحشية بجانب ساعة البندول.

نظر إليّ السائق في المرآة بتعبير: كفى. وأنا أظهرت وجه الأنثروبولوجي، كأني أنتهي لاستخلاصات شديدة الأهمية من كل ذلك. لكن بعد ذلك اتصل بالبرنامج شخص مقتنع بأنه حين يغلق باب الحمّام يصبح شفافا، رغم أنه لم يستطع البرهنة على ذلك، لأنه حين يفتح الباب يعود ليكون مرئيا.

- ادخل الحمّام مع أحد. اقترحت عليه المذيعة.

- الحكاية أني أصبح شفافا حين أدخل بمفردي.

كان من الصعب الحفاظ على وجه الأنثروبولوجي والاستماع لهذه الهراءات، لكني قمتُ بجهد وتحملتُ. وكان السائق يرمقني بحسرة، والحقيقة أني بدأت أشعر بنفسي أحمق بعض الشيء.

- هل يضايقك لو غيّرت الإذاعة، من فضلك؟ قلت له الآن.

- المسألة أن كل الإذاعات سواء -أجاب- لا يقولون إلا هراءات في كل مكان.

- هل يضايقك لو غيرتها؟ ألححتُ من تحت ضرسي.

حرّك المحوّل باحتقار كبير والتقط بالمصادفة إذاعة إنجليزية، أو هذا ما بدا لي، لأني لا أعرف الإنجليزية.

- هل أترك هذه الإذاعة؟ سأل.

- نعم، من فضلك. أجبته وأنا أتظاهر بفهم ما يقوله رجل وامرأة يتخاطف كل منهما الكلمة كل برهة.

وفجأة، قهقه السائق، وبالتالي ظننت أنه يعرف الإنجليزية وربما قالا شيئا مضحكا. فابتسمت بتقلص وجه خفيف، كأني فهمتُ. بعد قليل لف رأسه وقال لي:

- هل رأيت كيف أنهم لا يقولون إلا هراءات؟

لم أرد، لكن واتتني نوبة حمرة ولبست وجه السوسيولوجي، إذ إن السوسيولوجيين، على ما أظن، يهتمون بهراءات الراديو للوصول إلى استخلاصات حول الجمهور. أديتُ بوجه الأنثروبولوجي أفضل من وجه السوسيولوجي، رغم أني أعتقد أني تمكنتُ من خداعه.

وحين وصلنا إلى إشارة مرور، سحب السائق كتابا من درج التابلوه وبدأ يقرأ عدة سطور بينما يمر المشاة. كان كتاب «نقد العقل الخالص»، لـ «كانط». وعندما تركه في مكانه من جديد

لينطلـق، رمقنـي بنظـرة اسـتعلاء. كان يحـاول أن يفهّمنـي تواضعـي كأحمـق يهـز رأسـه عنـد سـماعه برامـج عـن الخارقـين بلغـات مختلفـة أمـام سـائق تاكـسي يقـرأ كانـط.

- أقـرأ بمتوسـط دقيقتـين في الإشـارة -قـال- هـل تعـرف كـم كلمـة ذلـك في العـام؟

- لا، لا أعـرف. أجبـتُ مسـتاء، كأنـه قاطـع إنصـاتي لجـزء مهـم في الحـوار بالإنجليزيـة.

- إذن في العـام المـاضي قـرأتُ الأعـمال الكاملـة لبورخـس. هـل تعـرف مـن بورخـس؟

- هل هو بائع الثمار الجافة؟ أجبته غاضبا.

- أرى أنك لا تعرف من هو، معذرة.

ربمـا قتلتـه، إذ بـدا لي صبيانيـا أن أقنعـه بـأني أعـرف بورخـس، لكنـي حـين لا أفعـل ذلـك أحتفـظ بصـورة المعتـوه التـي تصورهـا عنـي منـذ البدايـة. مـاذا أفعـل؟

- أطفئ الراديو من فضلك. قلتُ.

- الآن بالذات حين بدؤوا يقولون أشياء ذكية؟

نزلـتُ في نفـس المـكان، ودخلـتُ مكتبـة، اشـتريتُ كتابـا عـن سـقراط ووضعتـه في جيبـي. ثـم ركبـتُ في تاكـسي آخـر كان فيـه الراديـو مفتوحـا:

- أغلقه من فضلك، إنهم لا يقولون إلا هراء. قلتُ.

أغلـق سـائق التاكـسي مسـتاء، وأنـا فتحـتُ الكتـاب عـن سـقراط وتظاهـرتُ بـأني أقـرأ بتعبـير وجـه إنجليـزي. سـيعرف هؤلاء السـائقون!

كلماتها
LAS PALABRAS DE ELLA

كانت تشاجرت مع زوجها مرات عديدة، لكنها دائمًا ما كبتت رغبتها في أن تقول له رأيها فيه أو تسبّه بتطاول. وبعد كل مشاجرة، كانت تشعر بالندم لأنها افتقدتْ لشجاعة أن تترك البيت وتغلق الباب وراءها. مع ذلك، كانت تفعل ذلك في خيالها على الدوام.

- أتعرف ما أود أن أقوله لك؟ إني راحلة.

وكانت تأخذ المعطف وتخرج لبسطة السلم، وتقضم أظفارها حتى يصل المصعد، وترحل من البيت. كانت متأكدة أن مرة واحدة كافية لينتبه زوجها إلى أنه يحتاج إليها. لكن المسافة ما بين الواقع والخيال كانت كبيرة حتى تقرر هذه القفزة. وفي النهاية كانت تتركه يتحدث وحده وتدخل سريرها وهي تغلي غضبا يذوب، لحسن الطالع، في مناماتها.

في ذاك اليوم حدث شيء داخل رأسها، إذ استمر الشجار نصف ساعة وأدركتْ أنها ليست مشاجرة روتينية بل محاولة لإظهار القوة من جانبه، حينئذ فتحتْ فمها وأطلقت، بشكل ملغز، العبارة التي رددتها كثيرا في خيالها.

- أتعرف ما أود أن أقوله لك؟ إني راحلة.

وأخـذت المعطـف بنفـس الطريقـة المتخيلـة قبلا، وارتدتـه بنفـس الحـركات وسـارت عـدد الخطـوات ذاتهـا التـي سـارتها عـدة مـرات داخـل رأسـها. ثـم أغلقـت بـاب البيـت وراءهـا وطلبـتْ المصعـد وانتظرتـه وهـي تقضـم أظفارهـا. وفي الشـارع، لفّـت كالعـادة إلى اليمين وواصلـت المـشي مـن دون أن تسـأل نفسـها إلى أيـن تذهـب. كانـت الحاديـة عـشرة مسـاء وثمـة أنـاس قليلـون في الشـارع. وبعـد نصـف سـاعة مـن السـير بـلا قِبلـة، تضـاءل النـاس أكـثر. حينئـذ توقفـت وأدركـت أنهـا بـلا مـكان تذهـب إليـه. لقـد كانـت تتوقـف في خيالهـا دومـا عنـد لحظـة غلـق البـاب وطلـب المصعـد. لقـد كان ينقصهـا التدريـب لتصـل إلى أبعـد مـن ذلـك.

ركبـتْ التاكـسي وتوجهـتْ إلى المقابـر بشـارع M 30. ولأنهـا كانـت تبـكي، فكـرتْ أن أحـدا لـن يلتفـت لهـا هنـاك. ولم تلفـت النظـر، لكنهـا لم تشـعر براحـة كذلـك في هـذا الجـو الجنائـزي. لقـد فعلـتْ خـيرا، فعلـتْ شـيئا كان يجـب أن تفعلـه لتحافـظ عـلى كرامتهـا مصونـة، ولم تكـن الطريقـة المناسـبة للاحتفـال بذلـك أن تقـضي الليلـة في قـبر متأجـج. حينئـذ سـمعتْ، بشـكل عابـر، حـوارا قـال فيـه شـخص إنـه قـادم مـن الطـوارئ، مـن حـي لا بـاث. «طـوارئ، لا بـاث»، رددت العبـارة لنفسـها. لقـد ذهبـت عـدة مـرات إلى هنـاك، حـين كان أبناؤهـا صغـارا، وفكـرتْ أنـه ليـس مكانـا منفـرا لقضـاء الليلـة. أفضـل مـن المقابـر، بالطبـع، وأفضـل مـن محطـات القطـارات والباصـات. أفضـل أيضـا مـن المطـار. ذات مـرة راحـت إلى المطـار بالليـل، لتوديـع أحـد أقاربهـا، وبـدا لهـا أكـثر جنائزيـة مـن المقابـر.

هكـذا ركبـت التاكـسي الآخـر وتوجهـت للطـوارئ. كانـت الصالـة مملـوءة بالنـاس. جلسـت بجانـب فتـاة شـابة بطفـل بـين ذراعيهـا.

- كيف حال الطفل؟ سألتْ في الحال.

- حرارتـه فـوق الأربعـين، وعـلى هـذه الحـال منـذ يومـين. أجابـت الفتـاة بوجـه قلـق.

فشرحـتْ لهـا أن مشـكلة الحنجـرة ترفـع الحـرارة كثـيرا، لكنهـا ليسـت مقلقـة مـع الأطفـال الصغـار. ولاحظـتْ أن الفتـاة هـدأت مـع كلماتهـا، وعندمـا نادوهـا قبّلتهـا عنـد توديعهـا. ثـم جلسـتْ بجانـب امـرأة مـن عمرهـا كان ابنهـا قـد تعـرض لحادثـة بالدراجـة الناريـة.

- منذ ساعتين وهو بالداخل. قالت لها.

- ولم يقولوا لك شيئا حتى الآن؟

- لا.

- هـذه علامـة خـير. أضافـتْ هـي، وكانـت قـادرة عـلى شرح لمـاذا هـي علامـة خـير، ولاحظـتْ أن كلماتهـا تركـتْ تأثـيرا مسـكنا في أم سـائق الدراجـة الناريـة.

وقضـت الليلـة بطولهـا متنقلـة مـن شـخص إلى شـخص مخففـة بكلماتهـا آلام النـاس. وفجـأة، انتبهـتْ إلى أنهـا موهوبـة في تهدئـة الآخريـن بطريقـة لم تطبقهـا أبـدا عـلى نفسـها. وحـين شقشـق الصبح، عـادت إلى بيتهـا. لم يكـن زوجهـا قـد نـام. كان في المطبـخ يدخـن ويـشرب قهـوة بوجـه يائـس. وحـين رآهـا داخلـة، عبـس، مـع ذلـك، بوجهـه.

- لا تحـاول -قالـت- لقـد انتبهـتُ الليلـة إلى أنـك لا تسـتطيع الحياة مـن دوني. وغفـرتُ لـك. هيـا، فلنسـترح قليلا.

وسـار وراءهـا بخنـوع ودخـلا السريـر في نفـس السـاعة التـي كانـا يسـتيقظان فيهـا كل يـوم.

قاتلة الشزلونج
LA ASESINA DEL DIVÁN

كانت صديقتي تزور المحلل النفسي في أيام الإثنين والأربعاء والخميس عند الساعة الأولى من الظهيرة، وقبل أن تعود إلى مكتبها. وفي هذه الأيام كانت تتغدى قليلا، لأنها حين ترقد على الشزلونج[51] كان يهاجمها نعاس لم تكن دائما قادرة على مقاومته. ولا المحلل النفسي كان يقاومه. وذات يوم، غطّ كل منهما في النوم حتى منتصف الظهيرة، واستيقظا معا فجأة، رغم أنهما تصنعا بأن شيئا لم يحدث. وخلال مدة النوم، حلمتْ صديقتي بأنها رأت عند وصولها إلى العيادة شعرا أحمر من مريض سابق على وسادة الشزلونج، وأنه التصق بقفاها خلال الجلسة، حتى إنه بات جزءا من شعرها ذاته. وخلال جلسات متتابعة، ودائما داخل حلمها نفسه، كانت تتحقق من أن المحلل النفسي كان قد تخلى عن عادة نفض مرتبة الشزلونج بين مريض ومريض، بحيث إنها كلما دخلت كانت ترى أثر المريض السابق، وكانت تحاول أن تكيف نفسها عليه كأنه قالب. وهكذا، رويدا رويدا، كانت صديقتي تستحيل رجلا بشعر أحمر وتعيش مع أمها التي تكرهها.

---

(51) الشزلونج: هو الكرسي النفسي الذي يتم استقبال المرضى عليه.

لم تتجرأ قط على تحليل هذا الحلم، رغم أنها منذ ذلك الحين وهي تنظر بريب إلى الشزلونج قبل أن تضطجع عليه. وذات يوم سألها المحلل النفسي ماذا تفعل.

- أنظر إن كان هناك شعر من المريض السابق.

- وما مشكلتك مع الشعر؟

- ليس لديّ مشكلة معه، لكني لا أحبه لا في الحساء ولا في الشزلونج.

- لماذا تربطين الحساء بالشزلونج؟

- لم أربط شيئا بشيء.

- قلتِ إنك لا تحبين الشعر في الحساء ولا في الشزلونج.

كان محلل صديقتي يتمتع بالقدرة على إغضابها عندما يلّح.

- دعك من هذا. قالت له.

- كما تحبين. رد المحلل النفسي.

وظلت صديقتي صامتة، لكنها عصبية. كانت صامتة لأنها عصبية، وكان ذلك يزيد عصبيتها، إذ بلغت أن احتسبت ثمن الجلسة بالدقيقة (1،08 يورو) وبدا لها أن الالتزام بالصمت يشبه إلقاء المال في القمامة.

- أتعرف -قالت في النهاية- أنا أقتلك في بعض الأيام.

لم يرد المحلل، وبالتالي واصلت صديقتي في تطوير خيالاتها القاتلة:

- لو استطعتُ أن أقتلك بالتفكير، بالتفكير وحده، ومن دون حاجة إلى تحريك إصبع، لكنتَ ميتا بالتأكيد منذ زمن. لقد تخيلتُ هذه الاحتمالية في مرات كثيرة؛ أن تموت أنت وأن أذهب أنا إلى محلل نفسي آخر سأقتله أيضا. دائما ما راقت لي أفلام السفاحين.

بعضهم متخصص في قتل المتسولين، أو المهندسين أو العاهرات، أنا سأتخصص في قتل المحللين النفسيين. وعناوين الجرائد الرئيسية تتجلى لي: «قاتلة الشزلونج تضرب من جديد».

كانت صديقتي تتكلم وتتكلم عندما، فجأة، انتبهتْ إلى أن الساعة انتهت والمحلل لم يقل شيئا. حينئذ التفتت وراءها ووجدته ميتا. «يا إلهي، إنه مات، إنه مات». أول ما خطر لها كان الخروج ركضا، لكنها حسبتْ في الحال أن لها ملفا مع مرضى آخرين أو شيئا شبيها، وأن الشرطة لن تتأخر في تحديد مكانها. أصابها الخوف بالشلل. حينئذ اضطجعتْ على الشزلونج من جديد، غمّضتْ عينيها وقالت: «سأتصنع أني نائمة لعدة دقائق، وحين أفتح عينيّ سيكون كل ذلك مجرد حلم».

وبالفعل، بعد دقائق فتحتْ عينيها وسمعتْ أنفاس محللها النفسي.

- ألست ميتا. قالت براحة.

- ولماذا يجب أن أكون ميتا -سأل- هل حلمتِ بذلك، بأن محللك النفسي ميت؟

- هل أنا استغرقتُ في النوم؟

- نعم، وليست المرة الأولى. لابد أن نحلل ذلك.

- كما تحب.

- لكن اليوم لا، لقد انتهى الوقت.

نهضتْ صديقتي من الشزلونج وخرجتْ من العيادة على ألا تعود إليها أبدا. كانت تحاول ألا تنام بعد الغداء لأنها تحلم بكوابيس وجرائم. ثم تزوجتْ رجلا شعره أحمر، كانت تقابله في الليل بالمصادفة في مصعد بيتها، وكان ينام القيلولة عادة على

الأريكـة. وعندمـا كان يصحـو، كان يخلّـف وراءه بضـع شـعرات حمـراوات في وسـادة الأريكـة، وكانـت صديقتـي تجمعهـا وتضعهـا في الحسـاء.

ندم
ARREPENTIMIENTO

عندمـا صعـد الرجـل إلى القطـار كنـتُ أنـا قـد شـغلتُ مقعـدي بجانـب النافـذة. توقـف أمامـي ورمقنـي بوقاحـة ثـم راجـع تذكرتـه مرتـين، كأنـه لا يصـدق أن حظـه جـاء في مقعـد الممـر. وحـين انتبهـتُ لاسـتيائه، اقترحـتُ عليـه أن نغـيّر أماكننـا، فالمكانـان سـواء بالنسـبة إليّ. لكنـه قـال لا، كأنـه بقبولـه هـذا المعـروف سـيضطر إلى التحـدث معـي طـوال الرحلـة. جلـس، إذن، مجـبرا، وفتـح الموبايـل ليتحـدث مـع أحـد، ربمـا سـكرتيرته، واشـتكى لهـا مـن أنـه، بالإضافـة للجلـوس في الممـر، جلـس عكـس اتجـاه القطـار. «شركـة السـياحة هـذه سـيئة، لا تتعامـلي معهـا مـرة أخـرى»، قـال قبـل أن ينهـي المكالمـة ويحفـظ الجهـاز في جيبـه. أثنـاء ذلـك، كنـت أتظاهـر بـأني أقـرأ كتابـا. الملفـت أن موقـف الرجـل، بعيـدا عـن مضايقتـي، أثـار فيّ الشـفقة. كان واضحـا أنـه اسـتيقظ بمـزاج عكـر وكان يبحـث عـن مواقـف أو أماكـن يـبرر بهـا توتـره. أنـا أيضـا يحـدث لي ذلـك أحيانـا ثـم أكـره نفـسي بسـببه، لكـن لا يمكـن تفـادي ذلـك. نحـن هكـذا.

طلـب ثـلاث جرائـد مـن المضيفـة، لكنـه اقتـصر عـلى تصفحهـا مـن دون قـراءة أي منهـا. كان في طريقـة تمريـره للصفحـات ثمـة إحبـاط مثير

للتعاطـف. وبعـد الانتهـاء مـن الجرائـد الثـلاث، ألقـى عـلى المنضـدة المتحركـة قلـما ذهبيـا ولاحـظ كل عنـاصره بإيمـاءة إحبـاط كوميديـة بعـض الـشيء، كأن ميكانيزماتـه بـدت لـه بسـيطة. ثـم عـاد وأخـذه بإيمـاءة متعاليـة. ومـن حـين لآخـر كان يتذمـر أو ينظـر في السـاعة، كأن شـيئا طارئـا يضغـط عليـه. وبشـكل طبيعـي رفـض الإفطـار وبـدا لـه سـيئا أني قبلتـه أنـا رغـم الاسـتياء الـذي أفترضـه فيـه. ثـم بقـي لبرهـة كاملـة هادئـا، كأنـه يصـلي، بعدهـا مـال كأنـه أصيـب بسـكتة قلبيـة.

لكنهـا لم تكـن سـكتة قلبيـة، إنمـا مقاومـة رغبـة عارمـة في البـكاء. وحـين التفـتُّ، رأيـت عينـه اليمنـى بالجنـب مسـمّرة في المنضـدة المتحركـة.

- هل يحدث لك شيء؟ سألته بحيطة.

- يحـدث أني أنـدم عـلى كل شيء، كل شيء، أنـدم عـلى كل شيء، لكـن لا تشـغل بالـك، سـأتجاوز ذلـك في الحـال.

وبالفعـل، بعـد عـدة ثـوانٍ، عـاد واسـتقام في جلسـته، واتخـذ نفـس الموقـف السـخيف السـابق. وفي النهايـة رحـل مـن دون وداع.

حياة
UNA VIDA

لم يكـن تعارفهـما الأول، بـل إعـادة تعـارف، إذ شـعر كل منهـما بأنـه قـد عـرف الآخـر في حيـاة أخـرى. كانـا يلتقيـان في أي مـكان، كأنهـما كانـا يتوقـان إلى انصهـار يجعلهـما واحـدا. وحـين كان أحدهـما يذهـب للثلاجـة أو العمـل، كان الآخـر يشـعر بأنـه مبتـور. لم يكونـا يتحمـلان أي انفصـال لأن أحدهـما كان أوكسـيجين الآخـر، دم الآخـر، روح الآخـر. وكانـت الإثـارة التـي تمنـح لهـما اللقـاء تنبـع مـن شـعور كل منهـما بالكـمال مـع الآخـر. لم يكونـا يكتمـلان إلا حـين يلتقيـان، كانـا عاشـقين في النهايـة.

المدهــش أن هــذا الشــغف اســتمر. لم يخففــه الحــر ولا الــبرد، ولا خطـوات الأسـابيع والفصـول. وأحيانـا كانـا يجتمعـان في المصعـد حتـى لا يفقـدا لحظـة مـن الزمـن مـن دون أن يكونـا معـا. حتـى إنهـما فكـرا أن مـا بينهـما لا يشـبه مـا عنـد أحـد. وكانـا يداريانـه خوفـا مـن إثـارة الحسـد والغـيرة والنميمـة. ومـن ارتفـاع كماليهـما، كانـا ينظـران بـشيء مـن الحـسرة إلى بقيـة البـشر. كانـا يسـتمتعان بـالأكل، بالسـينما، بالتلفزيـون، بالشـارع. كل مـا كانـا يفعلانـه معـا يكتسـب أهميـة خاصـة لأنهـما ببسـاطة كانـا يلمسـانه بسـحريهما.

ثـم أنجبـا طفـلا. وخـلال فـترة الحمـل، صنعـتْ بطنهـا حاجـزا بينهـما، ومـع ميلاد الطفـل تحـول الحاجـز إلى تجويـف. كانـت هـي تعيـش مـن أجـل الطفـل فحسـب، من أجـل النظر إليـه بحب وارتياب، إذ كان هـذا الكائـن فعـلا جـزءا مـن الأم. ومـن المسـتحيل أن يفصـل بينهـما أحـد. وكان يفكـر أن الأم والطفـل ربمـا يقضيـان بقيـة حياتيهـما في البحـث عـن وضـع يسـمح لهـما بالتعايـش معـا، وضـع يشـبه وضعـه داخـل رحمهـا وهـي تحيـط بـه. في البدايـة، اعتقـد أن الطفـل حـين يكـبر، سـتعود هـي إليـه وسـيلتقيان كمجنونَـين، كأنهـما أجـزاء مختلفـة مـن الألفبائيـة تبحـث عـن حـروف أخـرى لتكـوّن عبـارة. لكـن الرضيـع غـدا طفـلا والطفـل غـدا مراهقـا مـن دون أن يتوقـف الشـغف بـين الابـن والأم. وكان الرجـل يلاحـظ هـذه التجربـة بـشيء مـن الحقـد، لكـن أكـثر مـن الحقـد كان الذهـول. كان يذهلـه رؤيـة كميـة الطاقـة التـي تمنحهـا الأم للابـن. كان ذلـك حبـا، حبـا يائسـا، وربمـا كان الحـب الوحيـد الممكـن. وكان هـو يسـلي نفسـه أحيانـا بمغامـرة خـارج الـزواج، حتـى لـو كانـت مـع عاهـرة. لم يكـن يهمـه أن يدفـع، بـل وكان يـرى الدفـع أكـثر نزاهـة. لكـن لا في المغامـرات التـي يدفـع فيهـا ولا في المغامـرات الأخـرى كان يعـثر عـلى فردوسـه المفقـود.

ثـم، ذات يـوم، وبعـد أن غـدا الابـن شـابا، بـدأ يبتعـد عـن أمـه، التـي قبلـت البُعـد لأنهـا كانـت قـد أعـدت، مـن أجـل هـذه اللحظـة، خطبـة مضمونهـا أن الأبنـاء يجـب أن ينفصلـوا عـن آبائهم حتـى يكبروا. في الظاهـر، كانـت تمنـح للولـد كل مـا يحتـاج إليـه حتـى يهـرب منهـا، لكنهـا في الواقـع وبمنحـه كل شيء كانـت تقيـده بطريقـة مـا. وخـلال فـترة حققـتْ ذلـك، لكـن في النهايـة انتـصرتْ إرادتـه عـلى إرادتهـا، وبقيـتْ وحيـدة في العـالم.

وذات يـوم، عندمـا دخلـتْ صالـة البيـت خارجـة مـن المطبـخ، رأت زوجهـا يقـرأ كتابـا. منـذ آلاف السـنين لم تكـن تـراه. وتحققـت مـن أنـه بـات أصلـع، ولديـه تجاعيـد، لكـن تحـت هـذه الملامـح تعرفـتْ مـن جديـد عـلى الرجـل الـذي عشـقته منـذ سـنوات بعيـدة. واتتهـا رغبـة لتسـأله أيـن كان، لكنهـا لم تقـل شـيئا ربمـا لأنهـا أدركـتْ أنهـا هـي مَـنْ رحلـتْ عنـه ومَـنْ تعـود الآن إليـه، بعـد مغامـرة شـاقة، مـع ابـن كان قـد هجرهـا في التـو. جلسـتْ بجـوار هـذا الرجـل الغريـب وتحدثـتْ معـه. وحينئـذ اقـترح عليهـا الخـروج للسـينما، للعشـاء، لزيـارة المتاحـف، وبـدأا يتعرفـان مـن جديـد، أو يعيـدان التعـارف مـرة أخـرى. وكان حبهـا الكبـير، ابنهـا، يمـر أحيانـا بالبيـت، لكـن بمجـرد أن ينـصرف كان يخلّـف في المـرأة بقايـا حـزن مصبـوغ بـكل شيء. مـع ذلك، كانـت العلاقـة بـين الرجـل والمـرأة في طريـق التعـافي. التقيـا مرتـين، ورغـم الفشـل المحيـط بهـما قـالا لنفسـيهما إن ثمـة حيـاة أبعـد مـن الجسـد. كل شيء كان عـلى مـا يـرام في النهايـة، وكان يمكـن أن تكـون أفضـل لـولا أنـه ذات يـوم، وفي وسـط الليـل، اسـتيقظ وتأمـل زوجتـه النائمـة بجـواره، وأدرك أنـه لـن يسـتطيع أبـدا أن يغفـر لهـا كل سـنوات غيابهـا.

ملابس النساء الداخلية
LA ROPA INTERIOR DE LAS MUJERES

عصفور أسود، بمنقار وردي (ربما شحرور) دخل في غرفتها وهي نائمة، توجه إلى خزانة الملابس وفتح درج الملابس الداخلية واختار اللباس الأكثر خفة. حمله ثم عاد ليبحث عن صدرية تليق عليه. في سبع رحلات أو ثمان كان قد فرّغ الدرج. ثم وضع مكانها قطعا مقلدة بمهارة لكنها مصنوعة من أوراق البلوط وبتلات الزهور المختلفة وأجزاء من جذور الشجر وجذوع مضفرة، وريش الطيور. وحين استيقظتْ، لم تلتفت إلى التغيير وارتدت واحدا من الأطقم التي استبدلها الشحرور بالحقيقية. واختارت تيشيرت خفيفا جدا، مفتوح الصدر، ومن حوافه كانت تظهر أجزاء من أوراق البلوط والبتلات والجذور والريش. وعندما كانت تميل، كان بداية صدرها يبدو ممسوكا بهذا الإطار النباتي. وأحيانا، كان يتقدمها ريشة أو جذع أو فرع.

وفي المكتب كان ثمة فرد، هو مدير الحسابات، كانوا يلقبونه بـ الرجل العصفور لأن المسافة بين عينيه كبيرة جدا، ربما تقعان عند الصدغين، وبالتالي كان مضطرا لتحريك رأسه من جانب لآخر بحركات تُذكّر بحركات طائر. وحين دخلتْ هي مكتبه في ذاك

اليـوم لتستشـيره في مسـائل حسـابية، انتبـه لهـا، حـين مالـت، إلى بتـلات عنـد فتحـة الصـدر، فشـحب الرجـل مـن الحـب. في نفـس ذاك اليـوم، بـدأا الخـروج، وبعـد سـبعة أشـهر بالـكاد كانـا قـد تزوجـا. وحملـتْ سريعـا وأنجبـت طفـلا وزنـه عنـد مولـده ثلاثـة كيلـوات ونصـف. كانـت الـولادة يسـيرة ولم تحتجـز في المستشـفى إلا يومـا واحـدا، بعدهـا عـاد الرجـل العصفـور وزوجتـه إلى البيـت حاملـين الرضيـع الـذي لم يتعـب مـن النظـر إليهـما.

وفي البيـت، عندمـا كانـت تسـتعد لإيـداع الطفـل في مهـده، اقـترح هـو عليهـا أن تصنـع لـه سريـرا بـكل ملابسـها الداخليـة وأن تضـع فيـه الرضيع.

- بهذه الطريقة سيشعر برائحة جسدك وينام مطمئنا. أضاف.

بـدت لهـا غرابـة جميلـة، وبالتـالي لم تجـادل. سـحبتْ، إذن، كل ملابسـها الداخليـة المصنوعـة مـن فـروع الشـجر والجـذور والبتـلات والريـش وأوراق البلـوط، ووضعـتْ ابنهـا فوقهـا جميعـا. وفي الحـال انتبهـت إلى شـعوره بأنـه في داخـل عـش طائـر. حينئـذ تأملـتْ زوجهـا، الرجـل العصفـور، وشـعرتْ بقشـعريرة.

- ما هذا؟ سألت مفزوعة.

- ماذا سيكون؟ -أجاب- إنه ابننا.

- لكـن لمـاذا تحولـتْ ملابـسي الداخليـة إلى مجموعـة أوراق وبتـلات وريـش وجـذوع صغيرة؟

- لا أعـرف عـن مـاذا تتكلمـين، إنهـا نفـس ملابسـك التـي ارتديتِهـا بالأمـس وأول أمـس والشـهر المـاضي.

لم تعـرف المـرأة مـاذا تقـول، لكـن حـين تأملـتْ ابنهـا انتبهـتْ إلى أنـه، رغـم أنـه طفـل طبيعـي في تركيبتـه، كان أيضـا عصفـورا. ورغـم

أن الطبيب قال لها إن اللبن سيتأخر يومين حتى يصل لصدرها، إلا أنها لاحظت في تلك الظهيرة نشاطا كبيرا داخل نفس الصدر، وبدا لها أن الحلمتين تنشفان بطريقة غير عادية. فدخلت الحمّام وعرّت نصفها الأعلى ولاحظت، في حيرة، أن حلمتيها قد استحالتا منقارَي طائر.

كان زوجها قد ذهب إلى عمله ولم تكن تعرف ماذا تفعل. في النهاية توجهتْ إلى العش حيث يرتاح ابنها، أخذته بين ذراعيها وجرّبتْ أن ترضعه. والرضيع، بدلا من الإمساك بالحلمة - المنقار، فتح فمه مثل صغير الشحرور، وانتظر أن يسقط شيء في داخله. وهي فتحتْ فطريا منقارين كانا حلمتين، لكنها لاحظتْ بيأس أن لا شيء يخرج منهما.

مع ذلك، خطرت لها فكرة بعد قليل. فخرجت إلى الحديقة وراحت تحصد الحشرات واليرقات الصغيرة التي كانت تحتفظ بها في قارورة زجاجية. وحين اعتقدتْ أنها جمعتْ ما يلزمها، دخلتْ البيت وتعرّت ومضت تدخل، شيئا فشيئا، اليرقات والحشرات في داخل صدرها عبر المنقارين المفتوحين فيهما. وباستقرارها بداخلها، بدأ المنقاران في تحويل هذا الطعام إلى عصارة مهضومة كانت تصبها بعد ذلك في فم الرضيع المفتوح. وبدأ الرضيع يكبر في الحال. وذات يوم، حين كانت هي في الحديقة تبحث عن يرقات، رفعت عينيها ورأت ملابسها الداخلية البدائية معلقة على أفرع شجرة. لم تكن الملابس ملموسة، كأن لعاب الشجرة يحافظ على حياتها.

سأموت غدا
MAÑANA MORIRE

لا أدري في أي لحظة من اليوم انتبهت إلى أني في يوم الخميس، مع أن الباقين لا يزالون في يوم الأربعاء. حدث لي ذلك مرات عديدة ولم أبال، فثمة أسابيع يود المرء أن تنتهي سريعا، فيقص منها يوما. مشكلتي بدأت بالتحديد يوم سبت، فأنا وزوجتي اعتدنا على ارتياد السينما وتناول العشاء بالخارج، وأحيانا ندعو صديقا وزوجته ليصطحبانا. حينئذ اقترحتُ على زوجتي أن تهاتف عائلة جوتيريث ليخرجا معنا في هذا المساء، فأخبرتني بأننا لا نزال في يوم الجمعة. لم أنطق بكلمة، لكني بقيت حائرا.

أعمل بالبيت، فأنا مبرمج كمبيوتر، وعلاقاتي بالعالم الخارجي محدودة، وبالتالي لا أثق بأحاسيسي. لذلك، قبل أن تتوجه زوجتي لعملها (وهي رئيسة قسم العملة الصعبة بأحد البنوك) نزلتُ لشراء جريدة، وتحققت من أننا في يوم السبت.

- انظري إلى الجريدة. حدثتها ووضعت الجريدة على منضدة المطبخ حيث كانت تتناول فطورها.

- ماذا يجب أن أنظر؟

- في أي يوم نحن.

- الجمعة، 15 أكتوبر.

اقتربتُ ونظرتُ من وراء كتفها إلى التاريخ المكتوب أعلى الصفحة، ورأيت أنها محقة. لكنها عندما انصرفتْ، عاودتُ النظر إلى الجريدة ورأيتُ أننا في يوم السبت 16 أكتوبر. فأدركتُ أنها قرأتْ جريدة الجمعة، بينما قرأتُ أنا جريدة السبت. بمعنى آخر، ولسبب لا يمكن تفسيره، كنتُ أعيش يوما سابقا على بقية البشر. فقمتُ ببعض الأفعال لأتحقق من ذلك، فكانت النتيجة أني فعلا أعيش يوما سابقا. فرويت لزوجتي هذا الأمر في تلك الليلة أثناء العشاء.

- أتعلمين أني أعيش يوما سابقا على بقية الناس.

نظرتْ إليّ نظرة تحمل سؤالا، فشرحتُ لها بالتفصيل، وبعد أن أنهيت كلامي انفجرتْ في الضحك، ففهمتُ أنها أخذت الأمر مأخذ الهزل. لم ألح، فأنا نفسي أرى أن الأمر لا يُصدَّق، لحد أنني بدأت أرتاب في حواسي.

في الأيام التالية، ظللتُ أركز وأتحقق، وانتبهتُ إلى أن الأمر حقيقة لا محالة. لقد كنتُ أعرف الأخبار قبل أن يعرفها الناس بيوم، ورغم أن ذلك يبدو ميزة، إلا أنه سبّب لي الرعب أيضا. لقد رأيتُ في جريدة الثلاثاء، ثلاثائي أنا، خبر موت أمي التي ما زالت بالنسبة للباقين حية ترزق. كما رأيتُ خبر نشوب حريق وقيام زلزال لم يحدثا بعد. وزرتُ ابني في المستشفى بعد أن أصيب في حادثة سيارة لم تقع بعد. لكني أيضا رأيتُ أخبارا سعيدة، غير أني لم أستطع أن أسعد بها في وقتها مع الآخرين. وهكذا، عندما فازت ابنتنا التي درست الطب بالتعيين في مستشفى كبير، كان يجب أن أقاوم رغبتي في الاتصال بالعائلة بأكملها لنشر الخبر.

بـدأت أشرب الخمـر. وذات يـوم، عندمـا كنـت في بـار، بمفـردي أتجـرع كأسي، جلسـتْ بجانبـي سـيدة عزبـاء وبدأنـا حـوارا، وبعـد قليـل اعترفـت لهـا بمشـكلتي. حينئـذ أخبرتنـي أنهـا يحـدث لهـا أمـر شـبيه بذلـك، فهـي تسـبق النـاس بيومـين لا بيـوم واحـد. كان هـذا اليـوم يـوم الأربعـاء بالنسـبة إليّ، ويـوم الثلاثـاء بالنسـبة إلى بقيـة النـاس، ويـوم الخميـس بالنسـبة إليهـا.

- إذن، هل يحدث لقاؤنا هذا اليوم أم غدا؟

- اليوم بالنسبة إليك، والأمس بالنسبة إليّ.

- إذن، بما أنكِ في الغد، احكي لي ماذا سيحدث.

- اليـوم سـنتوجه إلى السريـر -قالـت- أنـا أسـكن هنـا بجانـب البـار، لكنـك سـتصاب بسـكتة قلبيـة عندمـا تبـدأ في خلـع ملابسـك، وأنـا سـأحملك وأتـركك في المصعـد، وهنـاك سـيجدونك ميتـا صبـاح الغـد. والحقيقـة أنهـم عـثروا عليـك بالفعـل، وجـاءت الشرطـة وسـألونا جميعـا إن كنـا نعرفـك، فأنكرنـا معرفتنـا بـك.

- إذن، علينـا ألا نذهـب إلى بيتـك. قلـت باستسـلام وثبـات ناتـج عـن الكحـول.

- هيا، لقد حان الوقت. قالت.

ثـم خرجنـا مـن الحانـة وتوجهنـا إلى شـقتها الواقعـة في البنايـة المجـاورة عـلى الناصيـة. وعندمـا بـدأتُ في خلـع ملابـسي، شـعرتُ بـألم شـديد في كتفـي مـا لبـث أن تـسرب إلى صـدري. ولمّـا انتبهـت السـيدة إلى حالتـي، ألبسـتني معطفـي واصطحبتنـي إلى المصعـد، ورمتني هناك. وقبـل أن أمـوت بلحظـة، اسـترددت إحسـاسي الطبيعـي بالزمـن، ورغـم أني قـد مـتُّ يـوم الأربعـاء إلا أني مـا زلـت أعيـش في يـوم الثلاثـاء.

عـدت إلى البيـت وحبسـتُ نفـسي في غرفتـي، ثـم شرعـتُ في كتابـة هـذا النـص. ولا ألقـي بالذنـب عـلى أحـد فيـما حـدث.

علاقات شخصية
RELACIONES PERSONALES

لم يعتقد قط في الصحبة التي تمنحها الكلاب، ولا في وفائها. لكنه منذ سنتين يعيش وحيدا وقد فشل في كل محاولاته في العثور على أحد يعيش معه، إنما وجد من يلتقيه كل سبت أو أحد حتى لا ينسى لغته ذاتها. عندما هجرته زوجته، بعد قليل من ترك الأولاد للبيت، غرق في حزن جم، لكنه فكّر أن الحياة تمنح فرصة أخرى. وبعد كل شيء، لم يكن عجوزا، هكذا تخيل إقامة علاقات جديدة، ربما يكون له رفيقة، ويرتاد السينما، ويمارس الحب (هو كان يسميها هكذا «ممارسة الحب») ومشاهدة التلفزيون بجانب شخص. غير أن الواقع قد برهن على أنه في نطاق العلاقات الاجتماعية لم يكن ناجحا. وهكذا سارت الأمور، في كل يوم تزداد وحدته، ويقل كلامه، ويتضاءل خروجه، وتنكمش ابتسامته. كان يواجه العجز وحيدا، وكان يمرض وحيدا، وكان يموت وحيدا على الأريكة، وربما بالتلفزيون مفتوحا، مثل امرأة من حيه تناولت الصحف حالتها من قبل.

حينئذ بدأ يفكر في فكرة الكلب. لعله يكتشف أن التواصل مع حيوان أسهل من التواصل مع إنسان. وكان منذ عدة أشهر

يراقب امرأة تمر من تحت نافذته عند حلول الليل وتتحدث مع كلب ماستيف كان يبدو أنه يفهمها، إذ من حين لآخر كان يرفع رأسه وينبح كعلامة موافقة. في البداية راقبها بأسى، كأنها امرأة مجنونة، لكن مع مرور الأسابيع بدت أكثر احتمالا إمكانية أن يكون بينها وبين الحياة نوع من التواصل. وذات يوم خرج إلى الشارع بينما كانت المرأة تمر من تحت نافذته وتلمّسَ رأس الكلب فيما قال شيئا لطيفا عنه. ثم علّق بأنه كان يفكر في شراء كلب من أجل الشعور بالصحبة. وأضاف أن لديه شقة متوسطة الوسع وكان يريد أن يعرف أي سلالة تناسبه. فأجابته المرأة بتحفظ بأن الكلاب لا يمكن اختيارها.

- هل لديك أولاد؟ أضافتْ.

- اثنان أصبحا بالغين. رد.

- وهل اخترتهما؟

- حسنا، لا.

- إذن فالكلاب مثلهما.

تلعثم الرجل باعتذارات وواصل السير. وفي الأيام التالية تجول ببعض محال الحيوانات حين كانت الكلاب تنبح عليه وتهز له ذيلها من داخل أقفاصها. كانت جراء وكانت ترسل هذه الطاقة المميزة التي عاجلا أم آجلا ستنتهي مع التجربة. كان يود أن يأخذها جميعا، ومن أجل ذلك كان عاجزا عن اتخاذ القرار بأحدها. بالإضافة إلى أنه عندما أوشك على التجرؤ، كان يفكر في التطعيمات وفي الأمراض، في الاضطرار لأخذه للتنزه كل صباح ومساء، وتجهيز الطعام له وتنظيفه (هو نفسه كان يقضي أياما كاملة دون تمشيط ذاته)... لكن شيئا بداخله كان يقول له إن

الهدف هو ذلك تحديدا، أن يعمل من أجل أحد في مقابل القليل من العاطفة.

مرت أشهر، وذات يوم، عند عودته من التسوق محمّلا بالأكياس، تقاطع مع كلب مجهول السلالة والسن، جرو بشعر قصير وأرجل طويلة. توقّف وتأمله، إذ كان يبدو وحيدا مثله، وفي لحظة محددة أدار الكلب رأسه ووجه نظرة محمّلة بالمعنى إلى الرجل الذي واصل السير لكن أسيرا لتوتر مثير. سار الحيوان وراءه. وكان الرجل يشعر بوجوده خلفه. «سيلف في الحال ويتجه في اتجاه آخر»، حدّث الرجل نفسه. لكن كلما نظر بجانب عينه كان يرى ظل الكلب ملتصقا بظله، كأن اتفاقا ما تم بين الظلين. نصف الرجل كان يصلي من أجل أن يختفي الكلب قبل الوصول إلى البناية، بينما نصفه الآخر كان يترجى ألا يهجره. وانتبه إلى أنه كان قد فكّر في الكلب باعتباره حيوانا مهجورا، بينما المهجور كان هو ذاته. منذ شهور وهو يتجول في الشوارع والحانات والسينمات على أمل أن يأخذه أحد. لماذا لا يأخذه هذا الكلب؟

وصل إلى البناية ودخل، ودخل وراءه الحيوان. فتح باب المصعد فدخل الكلب كأنه تعود على ذلك طيلة حياته. وفي البيت، ترك الرجل الأكياس على الأرض وتوجه إلى الكلب وقال له:

- هل يمكن أن أعرف ماذا تريد؟

هز الكلب ذيله ونبح. توجه الرجل إلى المطبخ، أخرج علبة طعام للكلاب كان قد اشتراها منذ شهور لمواجهة ظرف طارئ من هذا النوع. فرّغها في طبق، وبينما كان يراه وهو يأكل، أدرك أنه امتلك كلبا في التو.

الرجل غير المرئي
EL HOMBRE INVISIBLE

- حلمتُ بكِ الليلة يا كلارا.

- وبماذا حلمت؟

- بأننا نبيع قطع الأثاث.

- وماذا أيضا؟

- وكنا نتشاجر لأنك كنتِ مهووسة بالتعامل مع الزبائن وأنتِ داخل خزانة من ثلاثة أبواب. وكنت أقول لكِ إن الخزانات توابيت، ولا حتى توابيت للأحياء، وكنتِ تغتاظين. لكننا لم نستطع الانفصال لأننا كنا وقّعنا رهنا عقاريا معا.

- وكيف كان حال التجارة؟

- أعتقد أنها كانت في حال سيئة بسببك.

- يا للغرابة، بسببي. كل شيء دائما بسببي.

- لا تغضبي، لم يكن إلا حلما.

- الأحلام تقول الحقيقة.

- الأحلام تقول الهراء. هل ستعاملين الزبائن من داخل خزانة لو كان لدينا محل لبيع الأثاث؟

- لا أعرف.

- إذن فأنا أعرف: لن تفعلي ذلك.

- ربما أفعل.

- إذن لا تعتمدي عليّ عند إقامة تجارة.

- إذن لقد ألغيتك.

- شكرا.

- عفوا.

وأعطت كل واحدة منهما ظهرها للأخرى. كانتا تعملان على بار بفندق أقمتُ فيه أسبوعين. وفي كل الأيام، مع حلول الليل، كنتُ أهبط لأتناول كأسا لأني كنت أحب رؤية الفتاتين. كانتا شخصيتين مبهرتين، منتبهتين جدا ورصينتين جدا بالنسبة لشبابهما. وكان الفندق يقع في وسط مدينة ضخمة وفقيرة أغلب ما فيها كان ضواحي. حسبتُ مرتبيهما واستنتجتُ أنهما تعيشان بعيدا جدا عن الفندق. تخيلتهما تتعشيان في بيتيهما المتواضعين بعد قضاء يوم أحيطتا فيه بأبهة مكان لا يتناقض مع شكليهما، إذ كانتا دوما متزينتين جدا. في السابعة مساء، كانتا تبدوان كأنهما خرجتا في التو من الحمام ووضعتا مكياجا، رغم أنهما تحملان على ظهريهما ساعات العمل المنقضية بالإضافة لساعات السفر المنهكة من الضواحي، ربما السفر في مترو وربما في باصات مكدسة بأجساد متعرقة. لم تكونا تبدوان منهكتين. وكانتا مثل توءمين غير متشابهين، إذ رغم أن واحدة منهما شعرها طويل والأخرى قصير، واحدة خمرية والثانية شقراء، واحدة جادة والثانية مرحة، إلا أنهما كانتا مرتبطتين بروابط غير مرئية، روابط ناعمة وغامضة كانت تحولهما إلى توءمين، مع أنهما لا تعرفان ذلك. واعتادتا أن تدور حواراتهما حول مسائل غير واقعية. وأكثر من مرة، عند

عـودتي إلى غرفتـي، كنـت أدوّن مقاطـع مـن هـذه الحوارات لأسـتخدمها بعـد ذلـك في قصـصي. كانتـا متحاورتـين مذهلتـين. ذات يـوم اسـتمرتا في الجـدال لعـشر دقائـق حـول إن كان الأفضـل أن تكـون ثريـا ومبتـلى أم فقـيرا وسـعيدا. وتوصلتـا إلى أن الأفضـل أن تكـون ثريـا ومبتـلى لأن الـثري المبتـلى أكـثر سـعادة عـشر مـرات مـن الفقـير السـعيد. كانتـا تعرفـان حسـابات وجوديـة.

- الفقـراء فقـراء حتـى في تطلعاتهـم -ختمـت الخمريـة- يرضـون بـأي شيء.

ولا واحـدة منهـما كانـت تنظـر إليّ. كنـتُ غـير مـرئي بالنسـبة إليهـما. وكانتـا تتكلـمان في حضـوري كأنـه لا أحـد أمامهـما، وكنـت أرجـع ذلـك لسـلوكي، إذ كنـت أتصنـع بقـراءة جريـدة أو كنـت أتصنـع بقـراءة نفـسي بـأداء حزيـن يميّـز معتـادي الـشرب المنعزلـين.

الحـال أنهـما منـذ النقـاش حول تجـارة الأثـاث توقفتا عـن الحديث. أجهـل كيـف تشـعران بذلـك، لكنـي كنـت أتـألم فـوق الوصـف حـين لاحظـت هـذا البُعـد العبثـي بـين شـخصين مكتـوب عليهـما الحـب المتبـادل. وذات يـوم خرجـتُ مـن اختفـائي وقلـت لهـما:

حلمتُ بكما هذه الليلة.

- بنا؟ سألتْ الخمرية.

- وماذا حلمت؟ سألت الشقراء.

- حلمـتُ أنكـما اشـتركتما في تجـارة وأنكـما تركتـما الفنـدق لأن التجـارة كانـت رابحـة.

- وماذا كانت التجارة؟

ترددتُ، لكني قررتُ أن أخاطر:

- أعتقـد أنهـا كانـت أثاثـا -قلـتُ- واحـدة منكـما كانـت مهووسـة

بالخزانـات ذات الأبـواب الثلاثـة.

تبادلـت الفتاتـان النظـر وأطلقتـا قهقهـة تظاهـرت بـأني لا أفهمهـا. وفي برهـة بدأتـا الـكلام مـن جديـد، وخططتـا لنهايـة الأسـبوع المقبـل، وربمـا للأعـوام المقبلـة. وأنـا عـدتُ إلى اختفـائي.

ثمن النجاح
EL PRECIO DEL ÉXITO

قبل أسبوعين من نشر روايته، بدأ رامون يشعر بأوهام النجاح. كان يركب الباص مثلا ويتخيل أن ناشره يتصل به على الموبايل ليقول له إن لديه، ومن قبل التوزيع، طلبيات بأكثر من خمسين ألف نسخة.

- لماذا؟ -كان يسأل- لا أحد يعرفني.

- بسبب الموضوع، المكتبات يشدها الموضوع.

وكان يسير بالموبايل مفتوحا، متحققا كل برهة من أنه يعمل، فربما حاول أي مخرج سينمائي عشق كتابه أن يتواصل معه. لكن أوهامه المعتادة كانت مرتبطة بنوع من التبادل. كان يتجول مع الكلب، مثلا، ثم يسأل نفسه إن كان يبادل الكلب في مقابل أن تنجح الرواية.

- بثلاثين ألفا.

- يبدو لي قليلا، ارفع حتى أربعين.

- أربعين، اتفقنا.

كان يدخل في هذه الصفقات بسرعة فائقة، كأنه بالفعل مكون من شخصين بمصالح مختلفة: الأول يهتم فقط بنجاح العمل،

والثـاني بالأربـاح العائليـة.

- ومِن نفسك؟ ما الذي تستعد للتضحية به من نفسك؟
- ماذا تريد أن تقول؟
- بكم نسخة تتنازل عن أصابع يدك اليسرى؟
- كل أصابع يدي اليسرى؟
- نعم، كلها.
- بمليون نسخة. مئتا ألف في الإصبع.

ثـم كان يتخيـل نفسـه يعيـش مـن دون أصابـع، لكنـه محـاط بـكل وسـائل الراحـة وبالشـهرة. كان طـلاب الأدب يتصلـون بـه لأنهـم يخصصـون أطروحاتهـم في الدكتـوراه عـن أعمالـه، لكـن رامـون لم يكـن يتكلـم معهـم، إذ تعاقـد مـع سـكرتيرة تقـوم بـكل مـا يخصـه. وكان رؤسـاء الدولـة والملـوك والأمـراء والأكاديميـون يرغبـون في تنـاول الغـداء معـه، إذ كان قـد تعلّـم أن يديـر حياتـه بامتيـاز بأصابـع اليـد اليمنـى. وكانـوا يقدمـون لـه اللحـم الفيليـه مقطّعـا. بالإضافـة إلى أن ثمـة باحثـا ألمانيـا كان يصنّـع أطرافـا صناعيـة عـرض عليـه أصابـع تعمـل بشـكل معقـول. وذات يـوم، مـع امتـداد هـذه الأوهـام، عـرض عـلى نفسـه بيـع مليـون نسـخة في مقابـل أن يمـوت أبـوه.

- يجب أن آخذ وقتي في التفكير. أجاب على نفسه.

كان أبـوه عجـوزا وترمّـل منـذ خمـس سـنوات. كان وحيـدا وبائسـا. وكان يقـول لـه باسـتمرار إنـه يريـد أن يمـوت، إن هـذه ليسـت حياة، إذ كان يتـألم كثـيرا مـن المفاصـل وكان يمـشي بصعوبـة. ربمـا حتـى سيسـدي لـه معروفـا لـو قَبِـلَ البـدل. لكـن اتخـاذ القـرار كان مـن الصعوبـة بمـكان. مـا سـقف تطلعاتـه؟ كان يتسـاءل. لقـد تخـلى في خيالـه عـن الكلـب وعـن هامسـتر طفلـه. وإن لم يتوقـف، ربمـا يحصـد النجـاح في

المستقبل زوجته وابنه بعد أن تركه هو ذاته أكتع وأعور وأعرج. لكن أباه يريد أن يموت، أو هذا ما قاله على الأقل. وربما لا يقبل الصفقة ثم يحدث أن يموت الرجل بعد يومين. في النهاية، وافق وقال لنفسه إنه سيتوقف هنا، وإنه لن يدخل في صفقات مقابل أي من أفراد عائلته. أكذوبة: لقد تفاوض. كان مستحيلا ألا يفعل، إذ كان يقدم لنفسه عروضا مذهلة.

وفي اليوم السابق على صدور الكتاب، حلم بالشيطان وقد ظهر له وعرض عليه نجاحا غير مسبوق في تاريخ الأدب (سيكون ثيربانتس وشكسبير فاشلين مقارنة به) في مقابل روحه. فوافق. الحق أنه قاوم قليلا، لكنه وافق. وعندما نهض من السرير، وبينما كان يغسل أسنانه، مرت عليه ذكرى خاطفة للحلم، ثم اختفى من ذاكرته.

حققت الرواية نجاحا. باعت في الشهر الأول مليون نسخة، وفي الحال تلقى عروضا للترجمة. وخلال يومين مدوّخين، مات الكلب وكذلك هامستر الطفل، لكنها كانت أحداثا صغيرة مقارنة بالشهرة والدخل المالي. الآن كان يستطيع شراء مئات الكلاب من أي سلالة، وآلاف الهامسترات. ثم فَقَدَ، في حادثة منزلية، إصبعا، لكن ما الإصبع بجانب هذه العاصفة من السعادة. ومات أبوه، بالطبع، لكنه كان موتا متوقعا. قال لنفسه «لقد استراح في النهاية». وذات يوم، وأثناء تكريم له نظمته جمعية المكتبيين العالمية، انصرف لحظة إلى الحمّام وهناك، أمام المرحاض، تذكر بغتة الحلم الذي باع روحه فيه وأدرك أن كل تلك الصفقات المتخيلة كانت قد حدثتْ بالفعل. هاجمته نوبة رعب تلتها نوبة أخرى. ثم خرج من الباب الخلفي، تاركا كل الناس في انتظاره، ولم يعد أحد يعرف عنه شيئا.

مسألة إيحاء
UN CASO DE SUGESTION

وجدت نفسي في بيت صديق ريفي، مدعوا إلى الغداء. صديق له ابنة مراهقة كانت ترتدي البيكيني الأصفر. كل الموجودين كانوا يرتدون البيكيني إلا أنا، أرتدي جاكيتا من الصوف عالي الرقبة. وكانت زوجة صديقي تؤكد أن البرد والحر ليسا إلا مسألة إيحاء لا أكثر.

- أنت تشعر بالبرد لأنك مقتنع بأن الجو بارد، ونحن نشعر بالحر لأننا نعتقد أن الجو حار.

- لكن حمّام السباحة مثلج. رددت عليها.

- المياه لا تعرف الإيحاء لأنها بلا عقل. أنا أتكلم عنّا، عن البشر.

كان الحوار يسيل بلطف بينما نتناول المقبلات في مطبخ البيت الرحب، ومن هناك نتطلع إلى الحديقة وحمّام السباحة المكسو بطبقة ثلجية صنعوا فيها ثقبا ليستحموا فيه. وفي لحظة محددة، راح صديقي وزوجته ليسبحا، وبقيت أنا مع البنت المراهقة التي جلست إلى مائدة المطبخ لتأكل البطاطس المحمّرة من طبق زجاجي كبير. حينها، وبينما أبواها يسبحان بسعادة بالخارج،

ماتـت الفتـاة فجـاة والبطاطـس في حلقهـا. أدخلـت إصبعـي في فمهـا لأسـحب واحـدة البطاطـس، فربمـا يسـاعدها ذلـك عـلى التنفـس، لكنهـا كانـت ميتـة تمامـا. ويائسـا، حملتهـا إلى الصالـة ووضعتهـا عـلى الأريكـة وقبّلتهـا قبلـة الحيـاة. كانـت أخـف مـن قطتـي.

لم أنجـح في فعـل أي شيء. وحـين كنـت عـلى وشـك الخـروج لأطلـع أبويهـا عـلى مـا حـدث، سـمعتهما يصرخـان. كانـا يسـخران منـي. يؤكـدان أني أتصنـع الشـعور بالـبرد حتـى لا أسـتحم لأني أخـاف مـن المـاء. أدركـت حينهـا أني عاجـز عـن نقـل الخـبر إليهـما. ولسـبب لا يمكـن شرحـه، كنـت أشـعر بالذنـب أمـام هـذا المـوت. عـدت حينهـا للصالـة وأمسـكت بيـد الفتـاة الميتـة بـين يـديّ. ثـم غمضـت عينـيّ وعزمـت أن أمنحهـا جـزءا مـن حيـاتي. أتذكـر أن شـعورا غريبـا بالـدفء قـد مـلأني، شـعورا شـديد الكثافـة، قبـل أن ألحـظ أن الحيـاة عـادت، بالفعـل، إلى جسـد الفتـاة التـي فتحـت عينيهـا بمجـرد أن أطلقـت يديهـا.

- أعتقد أني مت لبرهة. قالت وهي تجلس.

وأنـا عـدت إلى المطبـخ وواصلـت تنـاول المقبـلات. دخـل أبواهـا ليتنشـفا بمنشـفتين ملونتـين وبعـد قليـل جلسـنا لنتنـاول الغـداء معـا.

في هــذه اللحظــة صحــوت. نظــرت إلى الســاعة وكانــت الثالثــة فجـرا. كان حلقـي جافـا والشـعور بالاسـتغراب الـذي يملؤنـا مـن الأحـلام النابضـة جـدا لم يفارقنـي بعـد. كانـت يـداي لا تـزالان تذكـران ملمـس يـد الفتـاة قبـل أن تُبعـث، وفي فمـي لا يـزال مـذاق المقبـلات، البطاطـس المحمـرة والزيتـون. كنـت وحيـدا بالبيـت، هكـذا لم يكـن ممكنـا أن أتحـدث مـع أحـد لأخفـف عـن نفـسي إحسـاس أني عقـدت صفقـة مـع المـوت. ولأن الليـل يضاعـف كل شيء، تضاعـف خـوفي مـن

الظـلام. أضـأت كل الأنـوار، رغـم ذلـك بـدا لي البيـت معتـما جـدا. فكـرت أن النــور مســألة إيحــاء. إن اعتقــدتَ أن الإضــاءة خافتــة، فسـيتبدى لـك الظـلام، حتـى لـو كنـت تحـت شـمس سـاطعة. أظـن أني ظللـت أرقـا مـدة سـاعة، متنقـلا مـن هنـا لهنـاك. وحـين دخلـت في السريـر مـرة أخـرى، فتحـت راديـو ثـم أطفأتـه في الحـال، إذ كان يذيـع برنامجـا عـن الأمـور الخارقـة زاد أرقـي.

لا أعـرف كـم تأخـرت حتـى اسـتغرقت في النـوم، غـير أني أعـرف أني رأيـت في الحلـم مجـددا صديقـي وعائلتـه. كانـت قـد مـرت أيـام منـذ كنـت معهـم في البيـت الريفـي. كانـت حيـاتي عاديـة، لـو اسـتثنينا إرهاقـي منهـا. لم أكـن قـادرا، كـما كنـت مـن قبـل، عـلى صعـود سـلم بيتـي (في الـدور الرابـع). وكنـت فقـدت شـهيتي ومـذاق الأشـياء التـي كانـت مـن قبـل تثـيرني. ليـس مـذاق كل الأشـياء، إنمـا نصفهـا تقريبـا. ومعتقـدا بأنـه خلـل كيميـاوي، بـدأتُ في تنـاول فيتامينـات مـن دون أثـر يذكـر. المسـألة ليسـت أني كنـت مريضـا، لكنـي لم أكـن كذلـك عـلى مـا يـرام. وفي العمـل كنـت أنتـج نصـف مـا كنـت أنتجـه مـن قبـل. الحيـاة، في النهايـة، غـدت نصـف حيـاة.

أثنـاء ذلـك، اتصـل بي صديقـي ليحـكي لي، وهـو مشـغول جـدا، أن ابنتـه تعـاني مـن مشـكلات. أي نـوع مـن المشـكلات؟ سـألته. أجابنـي بأنهـا تبـدو نصـف ميتـة، أو نصـف حيـة. لا شيء يؤلمهـا، لكنهـا فقـدت 50% مـن حيويتهـا. وفي المـواد التـي كانـت تحصـل فيهـا عـلى عـشر، باتـت تحصـل عـلى خمـس، وكل شيء هكـذا. صحـوت في لحظـة إنهـاء المكالمـة مـع صديقـي، لكنـي أعتقـد أني اسـتيقظت نصـف يقْظَـةٍ، بمعنـى أن نصفـي فحسـب مـا اسـتيقظ، وبقيـت عـلى هـذه الحـال حتـى الآن.

حكاية حقيقية
UNA HISTORIA VERDADERA

اكتشفتُ حشرة سوداء فوق حائط الصالة، ربما كانت جعرانا. فنهضتُ بجريدة ملفوفة لأقضي عليها، لكن حين أوشكتُ أن أضربها تحولتْ إلى بقعة. الحيرة شلّتْ حركتي. كنتُ قد نمتُ والتلفزيون مفتوح بينما كانوا يعرضون فيلما وثائقيا عن الحشرات. كانت حنجرتي جافة، وبالتالي توجهتُ إلى المطبخ وصببت كوب ماء ببعض الليمون. عند عودتي إلى الصالة، كانت البقعة قد اختفتْ. فكرتُ أنها حشرة قادرة على التنكر في شكل بقعة، مثل حشرات أخرى تتنكر في شكل عصا، وهنا انتهى كل شيء. في ذاك المساء كان لديّ اجتماع في شركة الإنتاج. وأتذكر أننا كنا نستمع إلى المكلف بالديكورات عندما التفتُّ ورأيتُ في الحائط المواجه حشرة. أثناء ذلك ثمة شخص نبّهني لشرودي، وعندما نظرتُ مرة أخرى لم تكن الحشرة هناك.

في اليوم التالي كان لدينا عشاء في البيت. وقلتُ لزوجتي إني سأتكفل بشراء السمك. أعرف بائع سمك قريبا من شركة الإنتاج، فاتصلتُ به تليفونيا لأقول له ما أريد، واستمعت لما أوصاني به. وقال لي كل شيء سيكون جاهزا عند الظهيرة. وحين دخلتُ

المحل، رأيتُ الحشرة مرة أخرى. كانت في حائط العمق، فوق القرميد. استغربتُ لأن محال الأسماك مزودة بنظام فعال جدا مضاد للحشرات. «ما هذا؟» سألتُ البائع. «هذا؟» قال وهو يقرّب إصبعه، «إنها قطعة من سلك الكهرباء خرجتْ من مكانها لا أعرف لماذا». المؤكد أنها تحولتْ إلى قطعة سلك في اللحظة التي اقترب فيها بإصبعه. أدركتُ ذلك بوضوح بالغ لكن لم أقل شيئا.

في النهاية، كنا نتعشى حين رأيتُ الحشرة فوق ياقة أحد المدعوين إلى العشاء وكان بعيدا عني بعض الشيء. نهضتُ بذريعة ما واقتربتُ منه. وعندما وضعتُ يدي على كتفه تحولت الحشرة إلى شارة. «هل تعجبك؟» سألني الضيف، «تفضل، هي لك». أخذتها بحيطة وشكرته. كان، بالفعل، جعرانا. وعلقته، تأدبا، في ياقه بدلتي، وكان يستعيد حياته كلما توقفتُ عن النظر إليه. حاولتُ أن أمسك به عدة مرات قبل أن يتحول إلى مادة جامدة، لكني دائما كنت أقبض على شيء صلب لأنه كان، بشكل شيطاني، سريعا.

في اليوم التالي، أهديته إلى كاتب سيناريو يأتي كثيرا إلى شركة الإنتاج.

- هذه الحشرات تمنح الحظ الحسن. قال.

- من أجل ذلك أهديك إياها. أجبتُ.

صدمته سيارة عند خروجه وقتلته. وسكرتيرتي، بإيماءة طيبة، سحبت الجعران من عروته وأعادته إليّ. وأنا وضعته في درج المكتب وأغلقته. ثم بعد قليل سمعتُ دويا كأنه صوت دبور. كان الجعران، ويحاول أن يخرج. فتحتُ الدرج وقفلته عدة مرات، بسرعات مختلفة، لكني دائما كنت أضبطه متحولا لشارة. وأخذته

وخرجتُ لآكل، ثم تركته منسيا فوق بار أحد الكافتيريات. وبمجرد ما بلغتُ الشارع، طارت الحشرة مرة أخرى حتى عروتي ثم تحولتْ إلى شيء جامد في نفس لحظة هبوطها فوقي. «لا تفقد أعصابك»، قلتُ لنفسي، «الجنون يبدأ مع التفاصيل، لكنك لست مجنونا. لو احتفظتَ بهدوئك فستعيش».

حدستُ أن الهدوء يكمن في عدم صراع الهلاوس، في تركها تحيا. وبعد كل شيء، لم يكن التعايش مع الحشرة مريحا. وبعد أيام قليلة، وأثناء زيارة أحد معارض النحت، لفت انتباهي عنكبوت بحجم الكف وكان جزءا من مجموعة واسعة. كان مصنوعا بمهارة حتى إني لم أستطع مقاومة إغواء تقريب يدي منه. وبالتحديد في لحظة لمسه، تحول إلى حشرة بالفعل. نظرتُ حولي لأرى أثرا لما فعلته، لكني وجدتُ نفسي وحيدا. العنكبوت، من ناحية أخرى، بعيدا عن هربه، ظل يرمقني كأنه ينتظر شيئا مني. أمسكتُ به بحيطة وحفظته في جيبي. في تلك الليلة، وضعتُ العنكبوت والجعران في علبة أحذية، معا. وفي اليوم التالي، كان الجعران قد اختفى والعنكبوت تحول إلى شيء صلب، من البرونز. وفضولا، هبطتُ به إلى المرآب وأمسكتُ بالشاكوش وضربتُ ضربة واحدة في منتصف العنكبوت. بداخله، كان الجعران موجودا بالفعل. المشكلة أنه لم يكن قد هضمه، وبالتالي كان كاملا. ما لا أعرفه، لأني بلا فكرة عن كيف يعمل السحر، إن كانت ستتاح لي فرصة للقضاء عليه كما قضيتُ على العنكبوت أم لا. واليوم قالت لي زوجتي ألا ألبس هذا الجعران كثيرا لأنه يثير فيها بعض الاشمئزاز. كيف سأقول لها إني لستُ من يلبس الجعران، بل الجعران من يلبسني؟

الجزء الخلفي
LA PARTE DE ATRÁS

حلمت بأني كنت في الشارع وكل شيء كان بظهره. كنت أرى فقط الجزء الخلفي للأشياء وعنق الأشخاص ومؤخرات الكلاب وذيول الطيور. وكنت أسير في شارع خلفي فأرى، بدلا من واجهات المحال، جزءها الخلفي. كان العالم يعطيني ظهره. التفتُّ إلى الوراء، معتقدا بذلك أني قد أرى أنوفا، عيونا، أفواها، أجفانا، لكن أينما نظرتُ كنت لا أرى إلا قفا، مؤخِّرة، ظهرا. وبمجرد أن استسلمت للمشهد، انتبهتُ إلى تجاهلنا لهذا الجزء من الجسد ومن الواقع.

كنت أعمل، في الحلم، كمساعد لمصور فوتوغرافي لا يصور إلا الجزء الخلفي للأشخاص والأشياء. وبالطبع، لم أكن أرى إلا ظهر المصور. كانت جدران الاستوديو ملأى بصور لأشخاص لا يظهر منهم إلا القفا. وفي وسط كل تلك الصور، رأيت ظهر شجرة شديد الغرابة، إذ لم يكن للأشجار وجه ولا ظهر. هل يجعلها ذلك أكثر كمالا؟

كنت أعيش مع زوجتي وأربعة أبناء، كلهم يعطونني ظهورهم. لم أكن أعرف لون عيونهم، ولا إن كانوا وسيمين أم قبحاء. وكانت لوحتا ظهر زوجتي ناعمتين، ورمَين خفيفين يروق لي أن أتحسسهما.

لكن مهما حاولت أن أضع نفسي في وضع يسمح لي برؤية وجهها، كانت تؤدي بطريقة ما لا يمكن معها إلا رؤية نفس الجانب. وكان لدينا عصفور لا يعطيني إلا مؤخرته، رغم أنه لم يكن يتوقف عن الغناء. والقفص، مثل الشجرة، لم يكن له أكثر من جانب، إذ كان مستديرا ومتماثلا كلية. وبالليل، بعد العشاء، كنا نجلس في مواجهة التلفزيون، لكني كنت أشاهد ظهره فحسب، كما أشاهد قفا عائلتي. والثلاجة، لأنها بظهرها، كان بابها ملتصقا بالحائط، وبالتالي كانت، بالنسبة إليّ على الأقل، غير عملية على الإطلاق.

كانت الحياة اليومية مترعة بصعوبات صغيرة، إذ بدلا من غسيل أسناني كنت أضطر لكشطها بالجزء الخلفي للفرشاة. ولكي أخرج المعجون كنت أضطر للضغط على قعر الأنبوبة. وبالطبع، كنت أرتدي القميص بالمقلوب، ما كان يمثل عقابا عند ساعة إغلاق الأزرار. وأسوأ شيء، رغم ذلك، كانت الكتب، إذ لم يكن ممكنا إلا فتحها من الخلف. في البداية، كنت أقرؤها من الخلف للأمام، لكن مع مرور الوقت بدأت في قراءتها بالمقلوب مباشرة. أقصد أن الواقع فجأة، رغم أنه فعل ذلك بالطبيعية التي تعيش بها الأشياء في الأحلام، قام بتغيير طفيف، بحيث بدءا من لحظة معينة لم تكن الأشياء فقط بظهرها، بل أيضا بالمقلوب. عائلتي، مثلا، كانت تحمل أحشاءها للخارج، مثلها مثل العصفور. وبدلا من قول «صباح الخير» كانت تقول «ريخلا حابص».

- رونلا حابص. كنت أرد متكيفا مع الوضع، لكني كنت مدركا أن كل شيء بالمقلوب.

خرجت إلى الشارع ورأيت أنه صار مقلوبا مثل الجورب. كانت دواخل البنايات الكبيرة في الهواء الطلق، وكنت أرى الأشخاص، إن

كان ممكنا تسمية تلك المصائب هكذا، يمرون في ممرات بيوتهم. لم تكن هناك واجهات. الواجهات الآن في الجزء الداخلي. كل شيء كان محض فوضى في خطوط الأنابيب، في الأحشاء، في البنية التحتية التي صارت في الهواء.

استيقظتُ مستاء، ومدهوشا. وقبل أن أرتدي الجورب، تأكدت من أنه معدول. نفس الشيء فعلته مع القميص والتيشيرت. ثم ودعتُ زوجتي وركبتُ السيارة، ففي ذاك اليوم كان يجب أن أسافر. وبما أن لدي متسعا من الوقت، أخذت بدلا من السير في الطريق السريع الطريق الاحتياطي. انتبهت حينها إلى أن المنظر الطبيعي بهذا الطريق كان إلى حد ما الجزء الخلفي لمنظر الطريق السريع. ومن دون أن أنتبه، كنت قد عدتُ، وأنا مستيقظ بالفعل، إلى الجزء الخلفي. ابتسمتُ وأنا أتخيل أن الخطوة التالية ستكمن في السفر عكس الواقع. وبعد الابتسامة أصابتني نوبة من الذعر. وحدثتْ مصادفة أني مررت بجانب محطة بنزين كانت تطل بظهرها على الطريق الاحتياطي (ولابد أنها تطل بمدخلها على الطريق السريع). رأيت كذلك الواجهة الخلفية لعدة مطاعم. وأدركتُ أني يجب أن أعود في الحال إلى الطريق السريع، غير أني لم أكن أرى الطريقة، فلم يكن ثمة إشارة تدلني. وإن استسلمت للوصول لقبلتي مسافرا عبر الجزء الخلفي؟ تساءلت. وفعلت ذلك، استسلمت، لكن بخوف كبير.

أدركت، عند نهاية السفر، إلى أي مدى اعتدنا أن نعيش فقط في جانب واحد من الحياة. محض خطأ، كأننا نعيش في جانب واحد في بيتنا، أو جانب واحد من جسدنا.

جسد وروح
CUERPO Y ALMA

حكى لي سائق التاكسي أن السيارة شركة بينه وبين أخيه. كانا قد اشترياها بالرخصة مناصفة بينهما. وكان هو يستغلها نهارا فيما يستغلها أخوه ليلا.

- هكذا فهذه السيارة مثل جسد بروحين -أضاف- أسلّمها إلى أخي نظيفة، ويعيدها إليّ قذرة، بمطفأة السجائر ممتلئة بالأعقاب. كذلك، يقودها بطريقة شديدة العنف. لقد اضطررنا إلى تغيير عصا ناقل الحركة ذات مرة، وبدأت علبة السرعات تعاني من مشكلات. والآن أحاول أن أشتري منه نصيبه، لكنه لا يخضع.

كان الرجل يعمل بدوام اثنتي عشرة ساعة. كان يقضي داخل السيارة نصف حياته. كنتَ تراه مسجونا في كرسيه، وفي متناول يده كل ما قد يحتاج إليه، كان بالفعل مثل روح السيارة. لاحظتُ أنه يحتفظ في درج التابلوه بجلد شمواه، ومن آن لآخر كان يمررها على التابلوه ليلمّعه. كان يعلّق أيضا معطرا ليمحو رائحة دخان سجائر أخيه. ولم يكن صعبا أن أتخيل الألم الذي يشعر به كل صباح عندما يجد السيارة التي سلّمها كطبق من ذهب بالليل وقد صارت محض كارثة.

- تخيل أنك في كل يوم، عندما تستيقظ، تجد جسدك قد بات كارثة لأنك تقتسمه مع آخر، وهذا الآخر محض خنزير -واصل الكلام- تخيل أنه يعيد لك جسدا قذرا، بكدمات والتهاب في المعدة بعد أن سلّمته له بأظفار مهذبة مرة كل أسبوع وتغذيه بالخضار المسلوقة وبالسمك المشوي.

- أجده هكذا في صباحات كثيرة -قلت له- كأن أحدا أساء استخدامه بالليل.

- معنى ذلك أنك مصاب بشيزوفرينيا -أكد السائق بكل هدوء- لا تعتبرها إهانة، فسيارتي أيضا مصابة بشيزوفرينيا لأن لديها شخصيتين، روحين، وهذا ما لا يمكن أن يكون.

- إذا لم يرغب أخوك في بيع نصيبه، فاعرض أنت عليه نصيبك.

- الحال أني معتاد على هذه السيارة. هل يمكن أن تبيع نصف جسدك لمالك نصفه الآخر؟

- لا أعرف من مالك نصفه الآخر، لكن لو جلست معه فربما أتوصل إلى اتفاق.

- وهل يمكن أن تتجول في الفضاء بلا جسد؟ وهل ستدخل المترو والباص والبارات من دون جسد، من دون فم، من دون يد ولا عينين ولا أنف ولا أذنين؟

بدأ الرجل يوترني، لكنه وضع وجها باسما وعلّق على حالة الطقس ليخفف توتري.

- أسوأ ما في الأمر -أضاف- أن أخي وأنا توءمان ولا يمكن أن ننفصل لأن أمي أوصتنا في سرير الموت بأن يظل مصيرنا واحدا.

- لو قالت أمك ذلك...

وبكلامنا عن المصائر، وصلتُ لحسن الحظ إلى قِبلتي، وهربتُ

مـن داخـل التاكـسي ودخلـت صالـة تحرير الجريـدة. جلسـتُ إلى الكمبيوتـر ورأيـت أن لوحـة المفاتيـح والشاشـة كانتـا متسـختين، كأن بهـما شـحما. نسـتخدم الكمبيوتـرات أربعـا وعشريـن سـاعة في اليـوم، في ثـلاث ورديـات. لـكل محـرر كلمـة سر ليدخـل في حسـابه، لكننـا نتقاسـم نفـس الجهـاز، الجـزء الصعـب، الجسـد. وثمـة نـاس يسـيئون اسـتخدام الجسـد. كان جليـا أن المسـتخدم السـابق أكل شـطيره سـمك عـلى لوحـة المفاتيـح وأنـه قـد لمـس الشاشـة بيـد متسـخة. سـحبتُ فوطـة مبلولـة أحتفـظ بهـا لهـذه المواقـف ونظفتهـا. ثـم كتبـتُ كلمـة الـسر وبـدأت العمـل.

غـير أني لم أقتلـع مـن رأسي فكـرة أن الكمبيوتـر جسـد بثـلاث أرواح. وكان موقفـي أسـوأ مـن موقـف سـائق التاكـسي. في الظهـيرة اسـتدعاني رئيـس التحريـر ليكلّفنـي عمـلا. قلـتُ لـه إني مللـتُ مـن أن يـترك محـرر النوبـة المسـائية الكمبيوتـر مكسـوا بالقـذارة.

- يجـب أن يكـون لـكل واحـد كمبيوتـر، كـما لـكل واحـد جسـد واحـد. هـل تتخيـل أن تضطـر لمقاسـمة جسـدك مـع خنزيـر لا يتوقـف عـن التدخـين ولا شرب الكحـول ولا أكل الشـحوم؟

وهنـا وضعـتُ أصابعـي العـشر في شـق، إذ كان رئيـس التحريـر سـمينا وقـذرا وكان قميصـه مبقعـا ببقـع شـحوم كبـيرة كـما كانـت ربطـة عنقـه مليئـة بحـروق مـن السـجائر. وكانـت رائحتـه كونيـاك. القصـد أنـه كان الجـزء السـيئ في جسـده، هكـذا لم يفهمنـي، أو أنـه فهمنـي بامتيـاز، إذ بـدأ يهملنـي وبعـد قليـل انتهـى بي المطـاف محـررا للإعلانـات.

هل حالتي مستعصية يا دكتور؟
LES GRAVE، DOCTOR?

في شبابي، شاركتُ فتاة في شقة، وأول ما قالته لي إن غسيل الأواني ينهكها، وبالتالي باتت هذه مهمتي. بدا لي ذلك في البداية ثقيلا، أعتقد لأني كنت أصر على الانتهاء سريعا، لكن بعد ذلك بات يروق لي، فكنت أغسل في الساعة نفس عدد الأطباق التي يغسلها فرد عادي في نصف ساعة. أكثر ما كان يروق لي في هذا النشاط أنه كان يحفزني ذهنيا في تلك الأثناء. وخلال عشر دقائق من تنظيف طاسة من الألمنيوم، كانت الخلايا العصبية تتصالح فيما بينها، وكنت أحل مشكلات كانت تستغرق على منضدة العمل أياما. كان الدعك يساعدني على الدخول في حالة تركيز نادرة كنت أستفيد منها فوائد لا تصدق. مع ذلك، كان يسيء رفيقتي أن تراني مستمتعا بهذه الطريقة، ثم بدأتْ تفكر أن تقتسم الشقة مع شخص منحرف.

- لكن لماذا لا تعترض حين يأتي دورك في غسل الأطباق؟
- لأنه يروق لي.
- لا تمزح. كيف سيروق لك؟
- بالفعل. جريان الماء ورؤية كيف يحمل وساخة الطاسات

ويمر من المصرف يجعلني أتعمق في نوع من النشوة يساعدني على التأمل في الوجود.

فكرتْ في البداية أني أسخر منها، ثم فكرتْ أني منحرف. وحين كنا ندعو ضيوفا وتراني أنهض بعد الأكل لأنظف المطبخ، كنت أسمعها تغتابني. وذات مرة دعت أمها، وبعد أن رمقتني من أعلى إلى أسفل سألتني إن كنت أنا من يروق له غسل الأواني.

- أنا واحد منهم. أجبتها بشعور من ينتمي إلى طائفة سرية من غاسلي الأطباق الموزعين في العالم.

في اليوم التالي، هجرت الفتاة الشقة من دون وداعي، واضطررتُ لوضع إعلان في لوحة إعلانات الكلية، إذ لم يكن في وسعي تحمّل الإيجار وحدي. دائما ما فضّلتُ الحياة مع نساء أكثر من رجال، وبالتالي طلبتُ رفيقة. وجاءتني طالبة بالطب كانت أكثر ما تكرهه نشر الغسيل مهما كان. وأنا لم أفعل ذلك قط، لكن بعد أسابيع قليلة بدأ يروق لي وكنت أرغب بلهفة في العثور على شيء مبلول لأنشره على الحبال. لكن الحقيقة أيضا أن لدينا ممرا داخليا ملهما جدا، وكان يثير شغفي تخيل الحيوات التي تجري على الجانب الآخر من النوافذ التي أراها من خلال نافذتنا. وبعد قليل، كنت أقضي حياتي وأنا أنشر، وبدأت رفيقتي ترتاب في أنها وقعتْ مع متلصص أو سايكوباتي، وهكذا رحلتْ واضطررتُ لوضع إعلان آخر وبفضله تعلّمتُ الطبخ، وهكذا بشكل متتابع.

بشكل جلي، لديّ قدرة غريبة على حب ما أضطر لفعله جبرا. وهذا ما أكسبني شهرة حشرة غريبة بين معارفي. وهذا أيضا يروق لي، وأزرعه بنفسي، بنفس طريقة نشر الغسيل أو غسل الأطباق. هل حالتي مستعصية يا دكتور؟

كل شيء غريب جدا
TODO ES MUY RARO

ذات مـرة أبلغـوني بوفـاة صديـق لم أقابلـه منـذ زمـن طويـل. واكتشـفتُ بعـد ذلـك أنـه كان خطـأ (لقـد التبـس عليهـم الأمـر، ظنـوا أنـه مـات في حادثـة قطـار لتشـابه نفـس الاسـم واللقـب)، مـع ذلـك ظـل في رأسي ميتـا مـدة يومـين ثـم كان مـن المسـتحيل أن أبعثـه، مهـما قالـوا لي إنـه عـلى مـا يـرام. وكنـتُ قـادرا فحسـب عـلى التفكـير فيـه كجثـة حـاضرة، وبالتـالي حـين هاتفنـي لنتغـدى معـا بـدت لي مكالمـة مـن وراء القـبر. عـلى أي حـال، قبِلـتُ دعوتـه، بالطبـع. لم يكـن عنـدي أي ذريعـة معقولـة كيـلا أراه، مـع ذلـك قضيـتُ أيامـا حافلـة بـالأرق الموتّـر. كنـا نعـرف بعضنـا منـذ الطفولـة. نشـأنا في نفـس الحـي وفي فـترات مـا كنـا نلتقـي يومـا وراء يـوم، حتـى بعـد أن تزوجنـا، إذ كانـت زوجتـي وزوجتـه صديقتـين قريبتـين حتـى انتهـت صداقتهـما لأسـباب ليـس هنـا محـل ذكرهـا، مـا سـاهم بالتـالي في ابتعادنـا نحـن كذلـك.

وفي الليلـة السـابقة عـلى العشـاء تمكنـتُ بالـكاد مـن أن أنـام. كنـت أتخيـل نفـسي في المطعـم، مـع صديقـي جالسـا أمامـي، بجثـة غـير مدفونـة، فتجتاحنـي قشـعريرة.

- ماذا بك؟ سألت زوجتي.

- اتفقت مع أنطونيو على لقائه غدا ولا أستطيع تخيله حيا في الحقيقة.

- أي هراء تقول!

وصلتُ إلى المطعم قبل الموعد بعشر دقائق أو ربع ساعة، حتى أكون جالسا حين أراه داخلا، إذ في المواقف ذات الاضطراب العالي أكون عرضة للتبخر. أذهلني، مع ذلك، لونه الرائق. كان في إجازة في الكاريبي وجاء خمريا، ما تعارض مع بشرتي البيضاء عموما، وفي الشتاء أكثر بياضا. كان يرتدي ملابس رياضية، وعليّ أن أقول إني لم أجده غير ميت فحسب، بل وجدته بشباب متجدد. وبالفعل، رغم أني أصغر منه بعامين، إلا أني كنت أكبر منه في ذاك اليوم.

تحدثنا عن الحي، ولِمَ لا، عن اللبس الذي تسبب في موته لمدة ثمان وأربعين ساعة. وكانت حركاتي همجية، مندفعة على ما أظن، بالحقد الذي أثاره فيّ جمال هيئته، واعترفتُ له ما حدث لي، مضيفا من دون تفكير كثير:

- الآن وأنت أمامي أعرف أنك حي، لكني متأكد أني بعودتي إلى البيت سأتخيلك مرة أخرى جثة حاضرة.

حينئذ تأملني بعمق غريب، كأن نظرته تأتيني من الطفولة ذاتها، من الحي الذي نشأنا فيه معا. أريد أن أقول إنه تأملني عبر الزمن، ثم دفع الفاتورة من دون أن ينبس بكلمة. ومنذ ذاك اليوم لم نلتق مرة أخرى. وبالنسبة لي غدا بالفعل كأنه ميت.

حياة وحلم
UNA VIDA Y UN SUEÑO

حلمتُ بالأمس باللغة الروسية. ومع أني لم أسافر إلى روسيا قط، إلا أني كنت أتحرك في موسكو بخفة أحسد عليها وكنت أتحدث بالروسية. ليس هذا فحسب؛ كنت أقرأ الجرائد وأستمع للراديو دون أدنى مشكلة. وكان لديّ ابن كذلك، صغير جدا، وكان يتوه في متاهة شوارع الحي القديم بالمدينة. وفي لحظة انفصاله عن يدي، كان الليل قد حلّ وكانت تتساقط مكعبات ثلجية تضيء الجو بشكل طفيف. وكنت أتجول في الحارات وأسأل المارة بالروسية إن كانوا قد رأوا طفلا بصفات ابني. ثم بعد قليل استيقظتُ ممتلئا بالقلق. وفي الحال انتبهتُ إلى أني لستُ روسيا، بالطبع، ولا أنا أبو الطفل الذي ضاع في التو. وكان يبدو جليا أني حلمتُ حلما دخيلا عليّ.

في اليوم التالي، وبينما كنت أتناول فطوري، كنت أسترد جنسيتي الإسبانية رويدا رويدا، لكن كلما شعرتُ أكثر بإسبانيتي، كنت أتحسر أكثر على هذا الأب وهذا الابن اللذين قضيتُ معهما الليلة. وفكرتُ أني لو تأخرتُ قليلا في الاستيقاظ فلربما كنت عثرتُ على الطفل وما شعرتُ بهذا الثقل في ضميري. على أي حال، كنت

أتمنى إعادة الحلم إلى صاحبه ليفعل به ما يروق له. فأنا لا أحب أن أستحوذ في أدراجي ولا في رأسي على أشياء ليست أشيائي. فذات مرة عثرتُ على محفظة في الشارع، ولأن الوقت كان متأخرا أخذتها معي إلى البيت وأنا أفكر في تسليمها إلى الشرطة في اليوم التالي. ثم في السرير لم أستطع أن أغط في النوم بسبب هذه المحفظة السعيدة، هكذا ارتديتُ ملابسي ورحتُ لأسلمها لقسم الشرطة الأقرب.

- كان يمكن أن تنتظر حتى الصباح. قال المفتش.

مشكلة الحلم الذي ليس حلمك أنك لا تعرف أين تسلّمه. فلا يمكن أن تتوجه إلى مكتب الأشياء المفقودة وتقول إنك عثرت على حلم ضائع؛ سيعتبرونك مجنونا. هكذا فأنت مضطر للاحتفاظ به، أعجبك ذلك أم لا. وأنا احتفظتُ به، لكني نشرتُ إعلانا في جريدة لم يرد عليه أحد، وقلتُ إن لديّ حلما ليس حلمي. لقد حاولت أن أتجرد منه بألف طريقة، لكني لم أجد طريقة لأنتزعه من رأسي. ومنذ فترة قريبة، في حفلة أقيمتْ في المكتب بمناسبة زيادة المبيعات، حكيتُ ذلك لزميل وضحك عليّ.

- لو أنك من حلم به فهو حلمك. قال.

لم أعرف كيف أشرح له أن لا، أنه ليس حلمي، ثم تراجعتُ عن فعل ذلك. ثم وبينما رئيسي يتفوه بخطبة التهنئة، أدركتُ فجأة أنه حتى الحياة التي كنت أعيشها لم تكن حياتي. كان ذلك مثل وحي. «أنا أعيش حياة شخص آخر»، قلتُ لنفسي. لكني لم أعرف أيضا إلى من أعيدها. الحال أني الآن لديّ شيئان لا ينتميان لي: حياة وحلم. مع كلٍّ، فأغرب شيء أن لكل منهما جنسية مختلفة عن الأخرى.

الكتلة السائلة
LA MASA LÍQUIDA

قالت فتاة مراهقة لصديقتها في الباص:

- أشعر بأني مجرد دخان. وأستطيع أن أتخذ الشكل الذي يحلو لي. أضم نفسي وأتبدد مثل بخار. بالأمس مررتُ من تحت باب غرفة نوم أحد جيراني ورأيته عاريا. وهو لم ينتبه حتى إلى أني كنت أتحرك حوله، لأنه كان يدخن فذُبتُ بين دخانه.

- أنا أيضا أتحول إلى دخان -قالت الأخرى- أستطيع أن أتمدد حتى أغدو غير مرئية وأعيد بناء نفسي كما يحلو لي. انظري إلى أصابعي؛ إنها تتمدد مثل دخان سيجارة وتعبر من فتحات أنف من أريد. وبالأمس، في حصة الرياضيات، دخلت من فتحتي أنف المدرس وتجولتُ بجهازه التنفسي. لديه حويصلات هوائية مبهرة، مبهرة. إنه من الداخل أجمل من الخارج.

لا أعرف أي قذارة تناولتها هاتان الفتاتان لتشعرا بتلك المشاعر. الحقيقة أني، ومن دون أن أتناول إلا كأس جِن على رُن، بدأ إيحاء كلماتهما يحركني، وشعرتُ بعد قليل بأن كل جسدي كان دخانا. نزلتُ من الباص في شارع فرانثيسكو سيلبيلا بصعوبات كبيرة في وضع قدميّ على الأرض، إذ إن أي تيار هواء، مهما كان صغيرا،

كان يجـبرني عـلى الطفـو. وفي أحيـان أخـرى، وبالإضافـة للطفـو، كنـت أتشـوه. كانـت رقبتـي تتمـدد وكانـت تتمـدد حتـى تتحـول إلى خيـط، وكلـما أملـتُ بـرأسي كنـت أرى قدمـيّ هنـاك بالأسـفل، عـلى بعـد أمتـار. لكـن مهـما تمـددتُ أو مهـما تشـوهتُ لم أفقـد قـط وعيـي بـأني جسـد بـكل مـا فيـه مـن أعضـاء.

ميـزة أن تكـون دخانـا بالإضافـة لتمـددك هـي قدرتـك عـلى التركيز. كانـت ثمـة امـرأة متوسـطة العمـر تسـير أمامـي، كانـت جذابـة جـدا وترتـدي معطفـا بمربعـات لـه جيـوب كبـيرة. دخلـتُ في أحـد جيوبهـا وكـوّرتُ نفـسي، كـرة مـن الدخـان كانـت هـي تفتتهـا بـين أصابعهـا مـن دون أن تنتبـه. ثـم صعـدتُ إلى ظهرهـا كورقـة ضبـاب، وتوغلـتُ بـين شـعرها وخرجـتُ مـن رأسـها، كأن الأفـكار قـد احترقـتْ. وكانـت هـذه مشـاعر مبهـرة.

«أتمنـى ألا أفيـق، أتمنـى ألا أفيـق»، كنـتُ أصلي للـرب لأنـه سـهّل لي هــذا الشـعور بالواقـع مــن غـير أن أحتــاج إلى تنــاول برشــام أو تدخـين سـيجارة حشـيش، لأني حسّــاس لـكل شيء تقريبـا. وهجـرتُ جسـد السـيدة متوسـطة العمـر في ميـدان مانويـل بِـثِرّا ودخلـتُ أول مدخـل بيـت قابلتـه في خطـوتي. كان مدخـل بيـت قديـم، بسـقف مرتفـع جـدا، ومظلـم قليـلا. طفـوتُ حتـى الطابـق الأول ومـررتُ مـن عـين كالـون البـاب الـذي كان يحمـل لافتـة تقـول: «طبيـب أنـف وأذن وحنجـرة». كان الطبيـب في تلـك اللحظـة يكشـف عـلى حنجـرة مريضـة تشـبه جـدا السـيدة التـي هجرتهـا في التـو في مانويـل بِـثِرّا. ربمـا كانـت أختهـا التـوءم. وأغرمـتُ بهـا في الحـال.

- حنجرتـك مذهلـة -قـال الطبيـب-ورديـة ورطبـة، كـما ينبغـي أن تكـون.

- يبدو أنك تتحدث عن شيء آخر. ردّتْ بنبرة مثيرة.

- نعم أتحدث عن شيء آخر -أضاف- لكن كما تعرفين فأفضل طريقة للكلام عن شيء هو الكلام عن شيء آخر.

- معك حق -قالت المرأة- أنا وأنت لم نتكلم قط عما تكلمنا عنه في الواقع.

فكرتُ أن كل هذه الألعاب بالألفاظ مجرد عتبة لعلاقة حسية. لكن لا. فبعد برهة من الحديث المعقد وبالطريقة التي أشرت إليها، نهضت السيدة وارتدت بالطو الطبيب الذي كان هو يرتديه، وبدلا مكانيهما.

- أنت أيضا لك حنجرة وردية ورطبة. قالت المرأة وهي تتطلع إلى فمه.

لم يكن ثمة مرضى آخرون. فكرتُ أنه بداخل البيوت تحدث أشياء مذهلة. أشعلت المرأة سيجارة وكلما طردتِ الهواء كنت أتضافر معه وأنا ألعب بالتسلل إليه والتسرب منه، إن كان يمكن قول ذلك، وأعتقد أنه لا، لكني لا أجد كلمة أخرى لأعبّر عما كنت أشعر به. في النهاية خرجتُ عبر فتحة في النافذة وطفوتُ فوق شارع مترع بالسيارات. وكان للازدحام المروري، عند رؤيته من أعلى، طابع أخلاقي لا يمكن حدسه من مكاننا بالأرض.

في تلك الليلة، وعندما كنت في السرير بعد الاستماع إلى الأخبار بالراديو، استحلتُ خيطا من دخان طويل جدا وتجولتُ في كل البيوت المجاورة كثعبان غير مادي. في حالتي هذه، وعند دخولي البيت رقم 3C، اصطدمتُ بواحدة من فتاتَي الباص، وكانت على ما يبدو تعيش هناك. ولأن كلا منا من الدخان، تعرف كل منا على الآخر سريعا.

- ماذا تفعل في بيتي؟ سألتْ.

- لا أعرف -قلتُ- لقد انسللتُ وجئتُ إلى هنا.

- إذن أنـت تتمـدد، لا تتجسـد فجـأة حتـى لا يـراك أبـواي. لا أريـد مشكلات.

وخرجـتُ مـن البيـت باكيـا مـن معاملـة المراهقـة لي، وتجسـدتُ بالفعـل عـلى بسـطة السـلم. وفي اليـوم التـالي، صادفتهـا مـرة أخـرى وكانـت مـع صديقتهـا في البـاص. لا أعـرف أي قـذارة قـد شربتهـا، الحـال أنهـا قالـت:

- لديّ شعور أني سأصير اليوم كتلة سائلة.

خطأ مطبعي
UN ERROR DE TINTE

كان بروفيسور اللغة اللاتينية قد ركن السيارة صفا ثانيا بينما كان يشتري زجاجة شامبانيا ليحتفل مع زوجته بنشر كتاب في القواعد كرّس له نصف حياته. وكان حدث ظهور الكتاب في الأيام الأولى من القرن العشرين يبدو له مصادفة سعيدة، كأنه بذلك يضمن له ألفية مثيرة في مقابل الألفية المملة التي مضت. كان يرى نفسه أمام حياة ثانية قد تعوضه بنجاحات اجتماعية عن فشل الحياة الأولى. ولم يكن يتمنى أكثر من ذلك. ولا أقل من ذلك، قال لنفسه بوخزة حقد معتبرا نفسه الشخص الذي لم يهادهِ أحد قط أي شيء.

وعندما خرج من المحل رأى أربعة شباب يحدقون به بانطباع عدواني وينتظرونه ليحرّك سيارته ليتمكنوا هم من تحريك سيارتهم.

- هيا أيها العجوز، تحرّك مرة واحدة لأننا متعجلون. قال من كان يبدو بصوت مطرب.

حاول بروفيسور اللاتيني الإسراع، لكن كل شيء بدأ يحدث فجأة بالتصوير البطيء، بحيث إنه استطاع مشاهدة نفسه، كأنه

في تجربة خارج جسده، وهو يغيّر زجاجة الشامبانيا من يد إلى يد بحثا عن مفاتيح السيارة في جيب المعطف الأيمن. وبينما كانت اليدان بأصابعهما تتسللان بين طيات النسيج حتى لا يزيد من غضب الشباب، كان يعبر برأس البروفيسور، بالتصوير البطيء أيضا، كل مشاهد الإذلال التي تعرض لها أشخاص عقلاء مثله طوال القرون الأخيرة. وبالمفاتيح في يده أخيرا، وبينما يخطو خطوتين مهزوزتين في اتجاه السيارة، قرر أن القصة لم تكن عادلة مع مَن هم مِن سلالته، وبالتالي عندما كان على وشك فتح الباب، أعاد المفتاح إلى جيبه، وبدّل الزجاجة من يد ليد واقترب من الشاب وسأله بسذاجة، كأنه أثار فيه اهتماما لغويا فحسب، إن كان حاول توجيه إهانة إليه. حينئذ، ودوما بالتصوير البطيء، لاحظ إيماءة الشاب الحائرة، وابتسامته المضطربة، وخوفه من أن يكون مهانا أمام أصدقائه، ثم قرر البروفيسور أنه شاب جبان، وبذلك تخلى عن نبرته الأكاديمية ووجه إليه سؤالا بطريقة أخرى:

- كنتُ أسألك إن كنتَ وجهتَ لي إهانة يا حيوان.

رمق الفتى زجاجة الشمبانيا، التي كانت تهتز مهددة في يد العجوز، وتقهقهر مدمدما من تحت ضرسه بعبارة غير مفهومة. لكنه كلما ابتعد كان غضب البروفيسور الداخلي يتصاعد، وكان مستعدا لفعل أي شيء ليعيد إليه الفتى الاستفزاز. وفي النهاية، انتظر الشباب بصبر أن يسحب الرجل سيارته ليحركوا هم سيارتهم. وحينئذ انتهى تأثير التصوير البطيء وتراجع الاندفاع الغريب عن الواقع، رغم أن الكراهية كانت في تصاعد وكان البروفيسور يقود السيارة بفظاظة في شارع ممتلئ بزينات أعياد الميلاد والموسيقى وبأناس يتفادون السيارات بأيادٍ ممتلئة أكياسا.

كان يشعر بالندم لأنه لم يكسر زجاجة الشمبانيا على رأس الشاب، لكن ذلك أيضا كان يسبب له شعورا كبيرا بالحيرة في نفس الوقت، كأنه لم يتعرف بعد على هذا الشخص العصبي الذي يعيد إليه نظرة خجلى من مرآة السيارة. لقد كان رجلا مسالما، بروفيسورا للغة اللاتينية (بالمرحلة الثانوية، فكّر ليحرّك شفتيه، ولأن كل شيء يجب أن يُقال) ولم يرتبط بالعالم قط بطريقة حربية (bllum، belli [52]، كلمة محايدة، أضاف). ربما تمنى ذات مرة موت أحد، هذا نعم، لكنه كان يبحث دائما عن الخير بصورته العليا. لماذا يشعر بهذا الاحتياج لضرب أحد الآن وهو يقترب من الستين، وعلى أبواب ألفية جديدة، وبالتحديد في اللحظة التي أوشك فيها بلوغ طموح حياته، وهو كتاب عن القواعد اللاتينية؟

وجد نفسه محشورا في إشارة مرور، غارقا في تأملاته، مذعورا بعض الشيء أمام تصور أن نشر الكتاب لم يجعله سعيدا كما فكّر، عندها كان سائق السيارة خلفه قد أطلق تنبيهين حتى يتحرك، إذ كانت الإشارة قد فتحت منذ عدة ثوانٍ. نظر البروفيسور في المرآة ورأى رجلا أصغر منه سنا ويومئ له بإيماءات استياء. حينئذ وضع السيارة باتجاه الخلف وأسرع بكل ما في قوته ليضرب السيارة التي كانت تجأر، ثم فتح على الأول وطار بكل طبيعية. بعد قليل، لحق به السائق المعتدى عليه وأشار له بيده أن يقف، لكن بروفيسور اللاتيني رد عليه بتشمير كميه.

في الإشارة الحمراء التالية، اعتدى عليه السائق المعتدى عليه، إذ خرج من السيارة بغضب جم ليصفي معه حساباته. حينها

(52) كلمات لاتينية تعني حرب، محارب [المترجم].

أنـزل البروفيسـور النافـذة بانطبـاع صبر، وقبـل أن يعطـي للآخـر فرصـة ليتحـدث قـال لـه:

- انظـر أيهـا المعتـوه، معـي في درج التابلـوه مسـدس بـه سـت طلقـات، وبالتـالي إن لم تحـرك مؤخرتـك فـورا وتتجـه إلى سـيارتك فسـأطير رأسـك. وأضـاف لنفسـه: [53] caput، capitis.

تـردد الرجـل لثـوانٍ، لكـن عندمـا بـدأت يـد البروفيسـور تتحـرك ناحيـة درج التابلـوه، انسـحب مطرقـا بذيلـه بـين سـاقيه. كان العـالم، إذن، حافـلا بالجبنـاء. كيـف لم يكـن ممكنـا أن ينتبـه لذلـك حتـى ذاك اليـوم؟ وفجـأة، بـدا لـه نـشر كتـاب القواعـد الـذي مثّـل الحـدث الأهم في القـرن الواحـد والعشريـن مجـرد تفاهـة وجوديـة مقارنـة باكتشـاف العنـف كوسـيلة للحيـاة.

قبـل أن يصـل إلى بيتـه، ركـن سـيارته صفـا ثانيـا أمـام مركـز تجـاري كبـير، ومـن هنـاك اشـترى سـكينا أوتوماتيكيـة بـدت لـه دقتهـا مذهلـة. خبأهـا في جيـب المعطـف الأيمـن، وبينـما كان يتوجـه إلى الشـارع كان يلعـب بهـا فاتحـا وقافـلا إياهـا، واكتسـبت الحيـاة مـن جديـد نمـوذج التصويـر البطـيء مـن دون أن يسـاهم بـشيء منـه في ذلـك. وبهـذه الحـركات التأمليـة المميـزة لهـذا الشـعور، توجـه إلى البـاب وهـو يتمنى أن يقابـل شـخصا يشـتمه لأنـه ركـن سـيارته صفـا ثانيـا. لكنـه لم يعـثر عـلى أحـد، وحتـى يخفّـف مـن كرهـه، قطّـع الكـراسي بالسـكين بمجـرد مـا دخـل السـيارة، وهكـذا تراجعـت رؤيـة التصويـر البطـيء واسـتعاد العـالم سرعتـه المعتـادة.

وعندمـا وصـل إلى البيـت، لاحظـت زوجتـه ورمـا غريبـا في جيـب المعطـف، فـشرح لهـا أنهـا سـكين.

(53) كلمات لاتينية بمعنى: رأس، رأسك [المترجم].

- الحكاية أني استعدتُ تألقي. أضاف.

نظرتْ إليه المرأة متعجبة، إذ لم تسمعه قط يتحدث بهذه الطريقة. لكن حين شرع في إضافة شيء لاحظتْ في نظرة زوجها بريقا مؤرقا وفضّلتْ أن تغير الموضوع.

- لقد أحضروا بروفة كتاب القواعد. قالت، معتقدة أنها تمنحه بهجة .

- رائع، دعيها هنا. رد ثم شرع في البكاء.

- ماذا بك؟ سألتْ.

- ركنتُ السيارة صفا ثانيا بالأبواب المفتوحة حتى أشتري الشامبانيا وجاء شخص وقطّع كل الكراسي.

رمقت السيدة ورم السكين في المعطف بنظرة متحفزة. ثم لاحظت في زوجها مزيجا من الشفقة والرعب، ثم ركضتْ إلى المطبخ بذريعة أن شيئا يحترق على النار.

وفي العشاء، ولأن البروفيسور، بالإضافة لحزنه، لم يفتح مظروف دار النشر ولا بروفة الكتاب بعد، عادت زوجته لتسأله، وهذه المرة بنوع من الغضب، إن كان حدث له شيء.

- أنا محتاج إلى أن أقتل أحدا -أجاب البروفيسور- إن لم أقتل أحدا، فسأموت. هذا ما يحدث.

في تلك الليلة، ظلت السيدة متوترة بجانب الرجل الذي نام في غمضة عين. وفي اليوم التالي، وأثناء الإفطار، تصرف البروفيسور كأن شيئا لم يكن. ثم، عندما ارتدى المعطف ولاحظ ورم السكين، سأل:

- ماذا تفعل هذه هنا؟

- لابد أنه خطأ مطبعي -قالتْ- سأتكفل أنا بإعادتها.

وكانت هذه كل الحكاية.

دليل مدريد
LA QUÍA DE MADRID

عندما قرر خوانخو[54] السفر إلى مدريد للمرة الأولى في حياته، اشترى دليلا لـ بوينوس آيرس لأن أدلة مدريد في محطة مدينته كانت قد نفدت. فكر أن «كل المدن في النهاية مجرد شوارع». وبالفعل، كانت كلها مجرد شوارع. ما الفارق بين أسمائها. المهم أن السير في شارع ما سيؤدي إلى شوارع أخرى تصب بدورها في أوردة شبيهة بالسابقة. فكر أن الشارع أحد اختراعات الإنسان الألفت نظرا؛ تظهر لتفتت لا نهائية الكون، لكنها في النهاية تغدو أكثر تعقيدا منه. لذلك يسافر الناس إلى الجبال في نهاية الأسبوع.

وصل خوانخو، إذن، إلى محطة أتوتشا ومعه دليل بوينوس آيرس، وأول ما فعله كان فحص خريطة المدينة ليضع نفسه خياليا في مكان ما. «أنا في هذه الناصية»، قال لنفسه وهو يضع سبابته عشوائيا على إحدى نواصي بوينوس آيرس. «لو واصلتُ في هذا الشارع الرئيسي فسأصل إلى هنا»، قال وفعل. وبدأ يسير بحقيبة السفر في يده في «منتزه البرادو» ووصل إلى «هنا». «هنا» كان بالمصادفة «ثيبِلس»[55]، لكن كان يمكن أن يكون أي مكان آخر.

(45) هو اسم التدليل لخوان خوسيه [المترجم].

(55) ميدان مشهور.

نظـر في خريطـة بوينـوس آيـرس ورأى فيهـا ميدانـا. قـرر أن يسـير طبقـا للخريطـة إلى اليمـين وبهـذه الطريقـة بلـغ «لا بويرتـا دي ألـكالا»، ومـن هنـاك، وبالخريطـة في يـده دائمـا، وصـل إلى شـارع بيلاثكيـث. وهنـاك وجـد بنسـيونا يطمـح إلى أن يكـون فندقـا. وفكـر أنـه كان مـن الأفضـل بنسـيونا بطموحـات فنـدق مـن فنـدق بطبيعـة بنسـيون، فطلـب إقامـة بإسـبانية مذهلـة.

لـو أنـه بـدلا مـن العثـور عـلى دليـل لــ بوينـوس كان اشـترى دليـلا للنـدن، لـكان سـيضطر للتحـدث بالإنجليزيـة، حـدّث نفسـه وحمـد اللـه. رغـم أنـه في نفـس لحظـة قـول ذلـك خـرج مـن عمـق البنسـيون زوجـان وتوجهـا بالإنجليزيـة إلى فتـاة الاسـتقبال التـي لم تبـدِ أي اسـتغراب. أقصـد أنـه لا يمكـن فحسـب السـفر إلى مدريـد بدليـل لبوينـوس آيـرس، إنمـا كذلـك باللغـة التـي تـروق لـك. ولأنـه كان يعـرف قليـلا مـن الفرنسـية جـرّب حظـه لـيرى كيـف تسـير الأمـور، وقـال لموظفـة الاسـتقبال:

- Bonjour، madame. Il fait froid

- Oui، monsieur .

بعـد هـذه التجربـة، عـاد خوانخـو إلى الإسـبانية حيـث الراحـة الكـبرى. لكـن بـدا لـه أن العـالم حافـل بإفـراط بأدلـة سـفر وبلغـات ومعلومـات... وفي النهايـة، كلنـا نحـصر أنفسـنا في قـول الجـو بـارد، الجـو حـار، إلـخ. وبمجـرد أن دخـل غرفتـه، فكّـر أن هنـاك كذلـك إفراطـا في المتاحـف والمطاعـم. في دليلـه لبوينـوس آيـرس، كان ثمـة ثـلاث صفحـات للمتاحـف وأربـع أو خمـس للمطاعـم. وفي قسـم «أيـن تذهـب هـذا المسـاء»، رأى عـددا غـير متنـاه مـن صـالات الحفـلات والحانـات الأميركيـة. أمـيركا كانـت في كل الأماكـن، يـا للغرابـة. ومـا

مـن إنسـان يسـتطيع زيـارة كل هـذه المتاحـف ولا تنـاول الطعـام في نصـف هـذه المطاعـم المذكـورة في الدليـل، حتـى لـو عـاش مئـة عـام. يـا للتبذيـر.

عـلى أي حـال، وبمـا أنـه كان مـن أنصـار الرحـلات الثقافيـة، أكـثر مـن رحـلات المتعـة الخالصـة، قـرر في اليـوم التـالي زيـارة متحفـين اختارهـما بالمصادفـة مـن دليـل بوينـوس آيـرس. الأول كان متحـف العـادات، إذ بـدا لـه أنـه مـن المهـم بمـكان أن يتعـرف عـلى عـادات المـكان. وقـف، إذن، في أي ناصيـة مـن شـارع بيلاثكيـث، وانحـرف يمينـا ويسـارا، دائمـا بحسـب إشـارات خريطـة بوينـوس آيـرس، حتـى وصـل بالمصادفـة لمتحـف لثـارو جالديانـو بمدريـد. لم يكـن بالضبـط متحفـا للعـادات، رغـم أن كل المتاحـف متاحـف عـادات بطريقـة مـا. فتحـت الزيـارة شـهيته، وبعـد الجولـة دخـل أول مطعـم قابلـه. مطعـم لم يظهر في دليل بوينوس آيرس، لكن ما من دليل شامل.

عـلى أي حـال، أكل بشـهية وأخـبر الشـيف، شـاكرا، بـأن الحلـو لا يظهـر في الدليـل. ألقـى الشـيف نظـرة عـلى الكتـاب وتعلـل بأنـه دليـل لبوينـوس آيـرس.

- وما الفارق إذن؟ رد خوانخو وهو يطلب كونياك.

وقـضى أسـبوعا في مدريـد، لم يتوقـف خلالـه عـن زيـارة الآثـار المشـار إليهـا كآثـار مهمـة في دليـل بوينـوس آيـرس. وحـين عـاد إلى مدينتـه، سـألته أمـه كيـف كانـت الرحلـة في مدريـد، وقـال لهـا في النهايـة إنـه كان في بوينـوس آيـرس.

- آه! أجابته الأم.

- أرأيتِ. أضاف.

أخذوا إنريكي إلى السجن
ENRIQUE FUE A LA CÁRCEL

حين كان إنريكي في العاشرة، كان يسمع كلما اضطجع ضجيجا داخل خزانة الملابس. قال ذلك لأبويه اللذين سخرا منه، بحيث قرر أن يحل المسألة بنفسه. كان قد قرأ في قصة ما أن أفضل طريقة لمواجهة الأشباح هي مواجهتها وعقد صفقة معها. في تلك الليلة، إذن، عندما بدأ الضجيج، نهض من سريره وفتح النور ثم فتح الخزانة بقلب في الحنجرة. كان يتوقع العثور على الوحش، لكنه رأى سيدا يرتدي معطفا وربطة عنق وحقيبة سامسونايت سوداء.

- من أنت؟ سأل.

- أنا مدير شؤون العاملين. أجابه الرجل ذو الحقيبة.

كان إنريكي يعرف من هو الجني، والعفريت، والساحر، والشبح، والعرّاف، لكنه لم يسمع قط عن مدير شؤون العاملين، وبالتالي نزل عليه الصمت. لم يكن مستعدا لمواجهة هذا النوع من الوحوش.

خرج مدير شؤون العاملين من الخزانة وقعد على منضدة إنريكي. ثم فتح الحقيبة السامسونايت وأخرج منها أوراقا وبدأ

يوقّعها. وبجانبه قعد إنريكي.

- ما هذه الأوراق؟ سأل.

- أوامر بالطرد. مديرو شؤون العاملين لديهم سلطة طرد الناس من عملهم.

كان إنريكي ينظر لأوامر الطرد عندما رأى اسم أبيه في واحدة منها.

- هذا أبي. قال.

- نعم، إنه أبوك. أحاول طرد أشخاص لديهم أبناء حتى يكون الوضع العائلي أكثر دراماتيكية.

شرع إنريكي في البكاء وترجى مدير شؤون العاملين ألا يطرد أباه. كان له عم عاطل منذ شهور واضطر ابن عمه إلى ترك المدرسة لأنهم لم يستطيعوا دفع المصاريف له. ثم أصبح وجه عمه مثل المجنون، ليس لأنه مجنون بل لأنه يائس. وكان وضعهم، رغم المساعدات العائلية، مقلقا. وكان إنريكي مذعورا من احتمالية رؤية أبيه في ظروف مشابهة.

لقد بكى كثيرا وتوسل حتى خضع مدير شؤون العاملين في النهاية وتفاوض معه في حل.

- انظر -قال له- أكثر ما نقدّره كمديرين لشؤون العاملين هو الأصابع. لا يمكن أن نوقّع شيئا إن لم يكن لنا أصابع ونحن نعيش من ذلك، من التوقيع. ونحتفظ في مملكتنا بمستودع للأصابع البديلة، إذ عادة ما تسقط منا. إن أعطيتني خنصرك الأيسر، فسأمزق أمر طرد أبيك ولن أعود أبدا لأطلب منك شيئا.

خضع إنريكي وبتر له مدير شؤون العاملين الإصبع، ومزق الأمر. ثم قفل الحقيبة ودخل الخزانة واختفى. تعلم إنريكي كيف

يـداري طـرف هـذا الإصبـع بحيـث لم ينتبـه لا أبـواه ولا مدرّسـوه إلى أن الخنـصر بـات مبتـورا. وخـلال سـنوات، عـاش بخـوف أن يظهـر لـه مـن جديـد مديـر شـؤون العاملـين ويطلـب منـه إصبعـا جديـدا، لكـن لم يظهـر؛ وكان حقيقـة أنـك لـو عقـدت معاهـدة مـع الأشـباح فسـيختفون مـن حياتـك.

قـضى أبـو إنريـكي حيـاة عمليـة عاديـة، ومـع مـرور السـنين تقاعـد مـن نفـس المؤسسـة التـي كان يعمـل بهـا منـذ الأزل. وإنريـكي، مـن جانبـه، قـد كـبر وأصبـح طبيبـا. لم يكـن ثمـة أطبـاء في العائلـة، لكنـه أرجع هـذا الميـل إلى فقدانـه لإصبـع. كان يفكـر بشـكل فانتـازي أن الطبيـب سـيعثر في النهايـة عـلى عـلاج لهـذا البـتر الـذي كلفـه جهـدا كبـيرا لمداراتـه عـن العـالم. واعتـاد الخـروج بيـده اليـسرى في جيبـه وعندمـا كان يخرجهـا كان يحتفـظ بقبضـة مقبوضـة، بالخنـصر للداخـل، كأنـه يحفـظ إصبعـا.

وذات يـوم هاتفـوه مـن مستشـفى كان قـد أرسـل لهـا سـيرته الذاتيـة، وعرضـوا عليـه عمـلا كجـراح. وفي السـاعة المحـددة راح إلى المستشـفى مرتديـا بدلـة وربطـة عنـق مخصصتـين لمقابـلات العمـل، واصطحبـوه حتـى مكتـب مديـر شـؤون العاملـين، الـذي قـدم لـه عقـدا ليوقّعـه. لكـن إنريـكي لم يـر العقـد، إنمـا رأى إصبـع خنـصر مديـر شـؤون العاملـين، إصبعـا تعـرّف عليهـا في التـو كإصبـع بُـترِ منـه في سـنوات طفولتـه. حينئـذ اندفـع فـوق الرجـل وعندمـا تمكنـوا مـن سـحبه مـن فوقـه كان قـد بـتر تقريبـا إصبـع خنـصر اليـد اليـسرى. وحـين شرح الحكايـة للقـاضي، طلـب منـه هـذا أن يفتـح يـده اليـسرى التـي كان يقبضهـا منـذ سـنوات، وبشـكل لا يمكـن شرحـه ظهـر هنـاك بداخلهـا إصبـع خنـصر ضامـر ومتغضّـن، لكنـه بـكل عُقلـه. فأخـذوا إنريـكي إلى السـجن.

نجاح محلي
UN ÉXITO LOCAL

أصبح خوليو كاتبا بين ليلة وضحاها. كان قد قرأ بشغف رواية بيير كلوسو «الأشياء تنادينا»، وعندما انتهى منها قرر أن يكون روائيا. لم يكن غريبا أن يأسره كتاب الكاتب الفرنسي الذي يحكي قصة رجل مهووس بالسرقة في باريس ما بين الحربين. كان بطل كتاب كلوسو (لا أعرف الآن إن كان يُكتب بحرف سين واحد أم باثنين) يعيش مفتونا بالأشياء منذ طفولته. كان ابن محامٍ مكتبه مترع بالكتب وبالأصنام، وكان الشاب بيير (لاحظ أن الاسم الأول هو أيضا اسم المؤلف) يقضي ثلاث ساعات ميتة وهو يلمس ويتأمل رؤوس الغليونات التي راكمها أبوه في طبق من الخوص فوق منضدة. ثمة رؤوس ناعمة وأخرى محفورة، ضيقة أو واسعة، وكل واحدة مصنوعة من مادة مختلفة: عظم، قصب، خشب، مرجان... وبعضها يتخذ رأس حيوان أو رجل. هناك بغزارة كذلك وجوه نساء تصل شعورهن تقريبا حتى منتصف المنضدة.

بعد ذلك، كان المراهق بيير يتحسس المحابر التي يزين بها مكتبه، رغم أن أكثر ما كان يعجبه هو مجموعة أقلام أبيه الحبرية. وكان يقضي الساعات الميتة وهو يفتح ويغلق هذه الأقلام، مبهورا

بلمعان بعض أقلام الذهب أو الإيريديوم أو الفضة أو البلاتين. في هذه الفترة بدأ سرقاته الأولى، كان يفك السن الحبر ويتركها فارغة داخل الفترينات المعروضة بها، مثل جسد بلا أمعاء. وكان أبو بيير، الذي كان يقتصر على النظر للمجموعة من دون فتح هذه الأقلام، لا ينتبه إلى هذه السرقات إلا بعد مرور سنوات طويلة.

لم يكن صعبا أن يتماهى خوليو مع شخصية كلوسو، إذ ومن دون الوصول لهذا التطرف في السرقة المَرَضية، كانت شقته حافلة بأشياء مسروقة من بيوت أصدقائه وكذلك من مطاعم وفنادق. وخلال فترة ما، عندما كان مراهقا ولم تكن أنظمة الأمان بالمولات التجارية بنفس دقة الأنظمة الحالية، كان لصا معتادا للقداحات ودبابيس ربطات العنق.

لقد قرأ رواية كلوسو كأنه يقرأ سيرته ذاتها، وكنا نقول إنه عندما انتهى منها قرر أن يسرق فكرة أن يصير روائيا. وبشكل عام، فالهوس بالسرقة لا يأتي عادة بمفرده، بل يأتي مرتبطا بمتلازمات أخرى. وليس غريبا أن يكون المهووس بالسرقة، مثلا، مهووسا بالفانتازيا أيضا. وكان خوليو كذلك. كان يكذب مثلما يكذب هذا النوع من المرضى؛ من دون أي هدف. ومن الخطأ أن نفكر أن الكذاب يسعى دائما للحصول على مكسب من أكاذيبه. لا، فالأغلبية تكذب كنوع من الاستجابة للفطرة، مثل النبات ينمو في اتجاه النور. هكذا، عندما كان خوليو يذهب إلى السينما، كان يؤكد أنه ذهب إلى المسرح، والعكس. وكان يشيد بالكلمات واقعا بديلا للواقع. وبشكل ما، كان يعيش حياتين، إذ كان في نفس الأمسية يشاهد فيلما لنفسه ومسرحية للآخرين.

الملفت هو الطريقة التي صار بها كاتبا بعد أن قرأ «الأشياء

تنادينا». أصبح كاتبا من دون أن يصبح كاتبا، بمعنى أنه لم يكتب ولا حتى سطرا. لكن المذهل أنه كان يفتح الجرائد كل يوم على صفحة الثقافة ليرى إن كان قد نشر شيئا.

- دعني أرى إن كنت نشرتُ شيئا. قال لي ذات يوم بجدية شديدة وهو يخطف الجريدة من يدي.

أنا كنت أعرف أنه لا يكتب، رغم أنه كاتب، لكني لم أكن أتجرأ لأقول له إنه من المستحيل أن ينشروا في الصحافة شيئا لم يُكتب بعد. عليّ أن أعترف من ناحية أخرى أن هذه الفانتازيا كانت تدهشني. ربما توصلتُ في تفكيري إلى احتمالية واقعية بأن النقاد قد يكتبون عن رواية لم تُكتب. ومع الوقت أنا نفسي من كنت أسأله أحيانا إن كانوا قد ذكروا شيئا في التلفزيون عن روايته الأخيرة، وعادة ما كان يجيبني بإجابات ملتفة مثل أنه لا يشاهد التلفزيون. وذات يوم هاتفته وهنأته بكل جدية لنجاح كتابه الأخير.

- آه، نعم -قال لي- أعتقد أنه يبيع بشكل جيد. من نشره؟

قلت له اسم أي دار نشر فهدأ. وآخر مرة زرته كان بيته مترعا بصحف أجنبية. لقد كان النجاح في إسبانيا يبدو له نجاحا محليا فيما كان يعيش منتظرا نجاحه في بلدان أخرى.

موت بأثر رجعي
LA MUERTA RETROACTIVA

عندما بلغ العاشرة، ظهر الشيطان لـ رودريجو فويرتس وقال له إن لم يعرج مرة واحدة في الشهر فستموت أخته الصغيرة. كان رودريجو يكره أخته، لكنه لم يكن مستعدا لتحمل شعور بالذنب سينال منه بسبب هذه التراجيديا طوال حياته. وبالتالي، وحتى يفعل الأشياء بمنهج، كان يذهب إلى المدرسة ويعود منها وهو يعرج في الجمعة الأولى من كل شهر. لقد تسبب له ذلك بمشكلة مع أبويه ومع مدرسيه ومع زملائه أنفسهم، لكنه كان يصلّح الحال بالعثور على ذريعة ما؛ إما أن الحذاء يؤذي قدمه، وإن لم يكن فلأن كاحله التوى أو أنه قص أظفرا أكثر من اللازم ويؤلمه. وبفضله، كبرت أخته قوية واستطاع أن يكرهها دون أي تأنيب ضمير.

وحين كبر، واصل السير عرجا مرة في الشهر، إذ رغم أنه لا يؤمن بشيء، كان يؤمن بالحظ السيئ، وكان يحصّن نفسه منه بهذه الطقوس الصغيرة. لم يظهر له الشيطان متجسدا إلا في تلك المرة وهو في العاشرة، لكنه كان يتسلل إلى رأسه في شكل نبوءات تبث فيه الألم. وهكذا، عندما كان يسير على الرصيف الأيمن، كانت تهاجمه فكرة أنه لو عبر الشارع فسيقع فوق رأسه أفريز.

أو عندما تكون طائرته على وشك الإقلاع، كان يفوّتها ويركب التي تليها حتى يخدع الحظ. كان يقضي حياته مستبدلا رصيفا برصيف، قطارا بقطار، عملا بعمل... وذات يوم، سخرتْ أخته من هذه العادات المجنونة فقال لها:

- اسكتي، أنتِ لا تزالين حية بفضلي.

وحكى لها حكاية الشيطان. فاعترفت له أخته حينئذ بأن إبليس أيضا ظهر لها في طفولتها وأكد لها أنها إن لم تغمز بعينها اليسرى عشر مرات واليمنى خمس عشرة مرة في الأسبوع فسيموت أخوها.

- لكن لم أعره اهتماما وأنت لم تمت. أضافت.

- لكن يمكن أن أموت في أي لحظة بأثر رجعي يا معتوهة. أجابها رودريجو بوجه شاحب من القلق.

هي لم تكن تعرف فيما يكمن الأثر الرجعي وتحتم على رودريجو أن يشرح لها، ثم أضافت له أخته:

- من المستحيل أن تموت بأثر رجعي.

كان رودريجو يعرف أنه فيما يخص الرعب كل شيء ممكن، لكن أخته كانت امرأة سطحية جدا وأدرك أنه غير مجدٍ أن يفهّمها ما كان يشعر به.

- إذن فبداية من الشهر المقبل سأتوقف عن العرج. قال لها بنبرة مهددة.

- يبدو لي كأنك ستجري عملية جراحية. أجابتْ.

في الواقع، لم يكن قادرا على التوقف عن العرج الشهري، رغم أنه أقسم لأخته أنه قد تركه.

- وها أنا ما زلت موجودة، حية أرزق. كانت تقول في اللقاءات العائلية وهي ميتة من الضحك كلما لاح الموضوع.

وكان كره رودريجو لأخته يتزايد مع مرور السنين. في الجمعة الأولى من كل شهر كان يعرج بشكل سيئ ليرى إن كانت ستموت مرة واحدة أم لا، لكن الشيطان كان يكفيه أن يعرج حتى يحفظ له حياتها، وسيّان عنده أن يفعل ذلك بجودة أو بسوء. في هذه الأيام تسللتْ إلى رأسه فكرة أنه ربما لو غمز بكل عين عدد المرات التي أمر بها الشيطان أخته، فربما يكون الوقت متاحا لإنقاذ حياته ذاتها. هكذا حَسَبَ الغمزات المتأخرة، إذ لم تقم أخته بهذا الطقس ولو مرة واحدة، وكان الناتج ملايين الغمزات. لم يكن يهمه ذلك؛ كل يوم كان يغمز لعدة ساعات بأثر رجعي حتى بلغ اليوم الذي فيه.

وبعد أن بلغ كل منهما الشيخوخة، ماتت أخته لأسباب طبيعية، رغم أن رودريجو لم يكن قد كف عن العرج ولا يوم جمعة واحد في أي شهر. ذلك ما جعله يرتاب في أن كل ذلك لم يكن إلا محض جنون. حينئذ توقف عن الغمز أيضا (ولم يعد يهمه الموت) وتأكد أنه لن يموت. وبدت له فكرة الموت بأثر رجعي فكرة حمقاء، ورويدا رويدا تخلى عن كل الطقوس الخرافاتية، باستثناء العرج الذي تبقّى له كحركة غير إرادية بات من الصعب عليه التوقف عنها أكثر من الاستمرار فيها.

وخلال تلك السنوات، السنوات الأخيرة من حياته الصعبة، وبعد أن تحرر من كل الهوس الذي ظل طويلا أسيرا له، عاش في النهاية حياة سعيدة وراحة بال مثل تلك الحياة التي عاشتها أخته. حينئذ أدرك أنها لم تمت، إنما هي الآن تعيش في داخله بفضل عرجه ذاته. فبات يكرهها من جديد، رغم أن كرهه لها يفترض كرهه لذاته. وحين بلغ سنواته التسعين، كف عن العرج ثم مات بعد قليل. وعندما كان يحتضر، أدرك أن من كان يحتضر هي أخته. إنه كان قد مات مرات كثيرة من قبل، وربما بأثر رجعي.

المترجم في سطور

أحمد عبداللطيف

● ولد في القاهرة عام 1978.

● روائي ومترجم وباحث مصري، تخرج في قسـم اللغة الإسبانية بكلية اللغات والترجمة - جامعـة الأزهر، وحصل على الماجسـتير في الأدب المقارن من جامعة أوتونوما دي مدريد، وحاليا هو باحث دكتوراه في نفس الجامعة.

● صـدرت لـه خمس روايـات، وما يربو على عشريـن كتابا مترجما لكُتّـاب مثل جوزيه سـاراماجو، ماركيز، جيوكوندا بيلي، خوان خوسـيه ميّاس، ميجيل دي أونامونو، بالإضافة لمئات القصص والمقالات المنشورة بالصحف المصرية والعربية، كتابة وترجمة.

● في الإبـداع، فازت روايتـه الأولى «صانع المفاتيـح» بجائزة الدولة التشـجيعية 2011، وروايته الثالثة «كتاب النحات» بالمركز الأول بجائزة ساويرس الثقافية عام 2015، ووصلت روايته الخامسـة «حصن الـتراب - حكاية عائلة موريسـكية» إلى القائمة الطويلة بجائزة البوكر العربية عام 2018.

وفي الترجمـة، فاز بجائزة المركز القومي للترجمة عام 2013 عن ترجمته لرواية «الكون في راحة اليد» للكاتبة النيكاراجوية جيوكوندا بيلي.

د. محمد عبدالمجيد سويد النصار

- كويتي من مواليد العام 1979.
- حاصل على الدكتوراه في الآداب تخصص لغويات باللغة الإسبانية من جامعة مورثيا - إسبانيا العام 2017.
- شارك في عدة ورش للترجمة (من العربية إلى الإسبانية) في مجال المقالات والنقد الأدبي والجرائد والمجلات في العام 2003 - 2004.
- حضر العديد من الدورات في الترجمة والتحليل الخطابي.
- يعمل حاليا في وظيفة مترجم بإدارة التراث العربي في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.

ما صدر من هذه السلسلة

314	حياة إنسان	تأليف : ليونيد أندرييف
315	دون كيشوت	تأليف : ميخائيل بولجاكوف
316	واحدة بعد أخرى تتفتح أزهار البرقوق	تأليف : كنيث ياسودا
317	ملحمة علي الكاشاني	تأليف : خلدون طائر
318	نون و القلم	تأليف : جلال آل أحمد
319	سيري سامبيجي	تأليف : تشاندرا سيخار كامبار
320	أيام بورمية	تأليف : جورج أورويل
321	ست وصايا للألفية القادمة	تأليف : ايتالو كالفينو
322	السكرتير الخصوصي	تأليف : ت. س. إليوت
323	قصص برازيلية	تأليف : مجموعة من القاصين البرازيليين
324	شذرات من خطاب في العشق	تأليف : رولان بارت
325	لون الماء	تأليف : جيمز ماكبرايد
326	وجهان لحواء	تأليف : أمريتا بريتام
327	المنزل ذو الشرفات السبع	تأليف : اليخاندرو كاسونا
328	من الأدب الباكستاني الحديث	تأليف مجموعة من القاصين الباكستانيين
329	مختارات من القصة التركية المعاصرة	تأليف : مجموعة من القاصين الأتراك
330	مسرحية محكمة العدل في بلخ	تأليف : بهرام بيضائي
331	مطبخ - خيالات ضوء القمر	تأليف : بنانا يوشيموتو
332	الطباخون الأشرار - الجرة المكسورة	تأليف : جونتر جراس
333	شمل تشابه ضائع	تأليف : هاينرش فون كلايست
334	حكايات الهنود الأمريكيين و أساطيرهم	تأليف : أندريه شديد
335	زهرة الصيف	تأليف : فلاديمير هلباتش
336	طام - طام زنجي	تأليف : مجموعة من القاصين اليابانيين
337	اليبروح	تأليف : ليوبولد سيدار سنغور
338	منزل النور	تأليف : نيكولو ماكيافللي
339	كثبان النمل في السافانا	تأليف : جوهر مراد
340	أناتول وجنون العظمة	تأليف : تشنوا أشيبي
341	غرام ميتيا	تأليف: أرتور شنيتسلر
342	آرنجندن والحارس الليلي	تأليف: إيفان بونين
343	ورقة في الرياح القارسة	تأليف: فيمي أوسوفيسان
344	مدرسة الدكتاتور	تأليف: تنغ - هسنغ يي
345	رسائل عيد الميلاد	تأليف: إيريش كستنر - تيد هيوز
346	حكايات وخرافات أفريقية (1) - الطفل الملك	تأليف: سليمان جيغو ديوب
347	مسرحية عذراء أورليان	تأليف: فريدريش شيللر

ما صدر من هذه السلسلة

348	حكايات وخرافات أفريقية (2) الأدغال والسهول العشبية تحكي	تأليف: سليمان جيغو ديوب
349	القصة القصيرة الإسبانو أمريكية في القرن العشرين	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالأسبانية
350	مسرحيتا: 1 - محنة الأخ جيرو 2 - تحوُّل الأخ جيرو	تأليف: وول سوينكا
351	روض الأدب (مختارات قصصية)	تأليف: أو. هنري
352	مسرحية «آنتيجون»	تأليف: ب. بريشت
353	أجمل حكايات الزن يتبعها فن الهايكو	تأليف: هنري برونل
354	مسرحية «المقهى»	تأليف: لاوشه
355	مسرحيتا: -1 صناعة تاريخ - 2 ترجمات	تأليف: برايان فرييل
356	رواية «الشباب»	تأليف: ج. م. كويتتزي
357	مختارات من الشعر المجري المعاصر (شعراء السبعينيات)	تأليف: مجموعة من الشعراء المجريين
358	مسرحيتا: -1 تلاميذ الخوف -2 الغزاة	تأليف: إيجون وولف
359	اسمي آرام (مجموعة قصصية)	تأليف: وليام سارويان
360	حامل الإكليل (قصص مختارة)	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالألمانية
361	الصُّــــــورة (مسرحية)	تأليف: سيلافومير مروجيك
362	الأيام الخمسة الأخيرة لرسول (رواية)	تأليف: تحسين يوجل
363	سبع مسرحيات ذات فصل واحد (من بولند)	تأليف: إيرينيوش إيريدينسكي أندجـي ماليشكا ستانيسلاف ليم (ستانيسواف) سوافومير مروچيك
364	سبع نساء... سبع قصص	تأليف: مجموعة من القاصات الفارسيات
365	زمن الضحك (ملهاة خفيفة من ثلاثة فصول)	تأليف: نويل كاورد
366	بالأبيض على الأسود (رواية)	تأليف: رُوبين دايڤيد غونساليس غاليغو
367	مسرحيتا: -1 سهرة في المقهى -2 موت ممثل مشهور	تأليف: تيان هان
368	إمرأة وحيدة «فروغ فرخزاد وأشعارها» سيرة حياة	تأليف: مايكل هلمان

ما صدر من هذه السلسلة

369	«الملاح» (مسرحية من الأدب البولندي)	تأليف: ييجى شانيافسكي
370	ليلة التنبؤ (رواية)	تأليف: بول أوستر
371	هذا الجيل المحظوظ (مسرحية)	تأليف: نويل كاورد
372	لا وجود لخصومات صغيرة	تأليف: أمادو همباطي با
373	الليلة التي أمضاها ثورو في السجن (مسرحية)	تأليف: جيروم لورنس وروبرت إي. لي
374	مختارات من الشعر الإيراني الحديث	تأليف: مجموعة من الشعراء الإيرانيين
375	العقرب وقصص أخرى (الجزء الأول)	تأليف: بول بولز
376	العقرب وقصص أخرى (الجزء الثاني)	تأليف: بول بولز
377	«الأسيرة» (مختارات من ديوان شعر)	تأليف: فُروغ فرخزاد
378	شارع بريك لين (الجزء الأول)	تأليف: مونيكا علي
379	شارع بريك لين (الجزء الثاني)	تأليف: مونيكا علي
380	الطريق (رواية)	تأليف: كورماك مكارثي
381	مختارات من القصص القصيرة الأوزبكية	تأليف: مجموعة من الأدباء الأوزبك
382	عشيق الصين الشمالية (رواية)	تأليف: مارغريت دوراس
383	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الأول)	تأليف: إرنست همنغواي
384	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثاني)	تأليف: إرنست همنغواي
385	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثالث)	تأليف: إرنست همنغواي
386	النمر الأبيض (رواية)	تأليف: آرافيند آديغا
387	موطن الألم (رواية)	تأليف: دوبرافكا أوجاريسك
388	فيلا أماليا (رواية)	تأليف: باسكال كينيارد
389	الإحساس بالنهاية (رواية)	تأليف: جوليان بارنز
390	ياسمينة (وقصص أخرى)	تأليف: إيزابيل إبرهاردت
391	المغامرة الغامضة (رواية)	تأليف: شيخ حامد كَان
392	الرجال الذين يحادثونني (رواية)	تأليف: أناندا ديفي
393	أنطولوجيا القصّة الإيرانية الحديثة	تأليف: مجموعة من الأدباء الإيرانيين
394	حكايات حكماء أفريقيا وأسطورة نجدو ديوال	تأليف: أمادو همباطي با
395	خرائط (رواية)	تأليف: نور الدين فرح
396	إله الصدفة (رواية)	تأليف: كريستن توروب
397	أزهار عباد الشمس العمياء (رواية)	تأليف: ألبرتو مينديس
398	الأبدية بعيدة جدا (وقصص أخرى)	تأليف: تيه نينغ
399	اذهب حيث يقودك قلبك (رواية)	تأليف: سوزانا تامارو
400	الحضارة أمي (رواية)	تأليف: إدريس الشرايبي

ما صدر من هذه السلسلة

401	فنان الاختفاء (ثلاث روايات قصيرة)	تأليف: أنيتا ديساي
402	عيناها (رواية)	تأليف: بزرگ علوي
403	السباحة إلى المنزل (رواية)	تأليف: ديبورا ليڤي
404	الرِّقَّة (رواية)	تأليف: دافيد فونكينوس
405	على قيد الحياة (رواية)	تأليف: يو هوا
406	الأب (رواية)	تأليف: يورج أكلين
407	إِنِّيْ أَتَعَافَى (رواية)	تأليف: دافيد فوينْكِيْنوس
408	الوردة الزرقاء (رواية)	تأليف: بينلوبي فيتزجرالد
409	إبداعات نسائية (مجموعة قصصية)	تأليف: مجموعة من الكاتبات التركيات
410	الإيـــاب (ديوان شعر)	تأليف: هاينْرِيش هاينْهْ
411	سبع حكايا تعود من بعيد	تأليف: جان كريستوف روفان
412	المخادع الحقيقي (رواية)	تأليف: توف جانسون
413	اليـوم السابع (رواية صينية طويلة)	تأليف: يـــو هـــوا
414	الرجلُ الذي كان يَنظُر إلى الليل (رواية)	تأليف: جِلْبير سِيْنُويه
415	رَاوِي مَرَّاكِش (رواية)	تأليف: جويديب روي ـــــ باتاجاريا
416	فَتَاةٌ في حَالَةِ حَرْب (رواية)	تأليف: سارة نوفيتش
417	آكلو اللوتس الجزء الأول (رواية)	تأليف: تاتيانا سولي
418	آكلو اللوتس الجزء الثاني (رواية)	تأليف: تاتيانا سولي
419	بستنة في المنطقة الاستوائية (ديوان شعر)	تأليف: أوليف سنيور
420	مختارات من القصة القصيرة الهندية الحديثة	تأليف: مجموعة من كتّاب شبه القارة الهندية
421	جمعية غيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطا (رواية)	تأليف: ماري آن شيفر وآني باروز
422	كي يواجهوا الشمس المشرقة (رواية)	تأليف: جون ماكغرين
423	صوت مُنْفَرِد (رواية)	تأليف: سوزانا تامارو
424	●السيدة أَرنول - ●الجبل (روايتان)	تأليف: جان نويل بانكرازي

يمكنكم الاشتراك والحصول على نسختكم الورقية من إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب من خلال الدخول إلى موقعنا الإلكتروني:

https://www.nccal.gov.kw/#CouncilPublications

البيان	عالم المعرفة		الثقافة العالمية		عالم الفكر		إبداعات عالمية		جريدة الفنون		المسرح العالمي	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
مؤسسة داخل الكويت	25		12		12		20		18		20	
أفراد داخل الكويت	15		6		6		10		8		10	
مؤسسات دول الخليج العربي	30		16		16		24			36	24	
أفراد دول الخليج العربي	17		8		8		12			24	12	
مؤسسات خارج الوطن العربي		100		50		40		100		48		100
أفراد خارج الوطن العربي		50		25		20		50		36		50
مؤسسات في الوطن العربي		50		30		20		50		36		50
أفراد في الوطن العربي		25		15		10		25		24		25

قسيمة اشتراك في إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الإسم:	
العنوان:	
المدينة:	الرمز البريدي:
البلد:	
رقم الهاتف:	
البريد الإلكتروني:	
اسم المطبوعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقدا / شيك رقم:
التوقيع:	التاريخ: / / 20م

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - إدارة النشر والتوزيع - مراقبة التوزيع

ص.ب: 23996 - الصفاة - الرمز البريدي 13100

دولة الكويت

الموزعين العرب
ARAB DISTRIBUTORS UNION

أسماء وأرقام وكلاء التوزيع
أولاً: التوزيع المحلي - دولة الكويت

م	الدولة	وكيل التوزيع	رقم الهاتف	رقم الفاكس	الإيميل
1	الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	00965 24826820 /1/2	00965 /24826823	im_grp50@yahoo.com
ثانياً: التوزيع الخارجي					
2	السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	00966 /14419933 – 14418972	00966 /12121766 – 1212774	bander.shareef@saudidistribution.com babiker.khalil@saudidistribution.com
3	البحرين	مؤسسة الأيام للنشر	00973 /17617733 – 36616168	00973 /17617744	cir@alayam.com rudainaa.ahmed@alayam.com
4	الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	00971 43916501 /2/3	00971 /43918354 – 43918019	eppdc@emirates.net.ae info@eppdco.com essam.ali@eppdco.com
5	سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	00968 /24492936 – 24496748 – 24491399	00968 /24493200	alattadist@yahoo.com
6	قطر	شركة دار الثقافة	00974 /44621942 – 44622182	00974 /44621800	thaqafadist@qatar.net.qa
7	مصر	مؤسسة أخبار اليوم	00202 25782700/1/2/3/4/5 00202 25806400	00202 /25782540	ahmed_isaac2008@hotmail.com
8	لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	00961 1666314 /15	00961 /1653259 00961 /1653260	topspeed1@hotmail.com
9	تونس	الشركة التونسية	00216 /71322499	00216 /71323004	sotupress@sotup.com.nt
10	المغرب	الشركة العربية الأفريقية	00212 /522249200	00212 /522249214	s.wardi@sapress.ma
11	الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	00962 /6535885 – 797204095	00962 /65337733	alshafiei.ankousha@aramex.com basem.abuhameds@aramex.com
12	فلسطين	شركة رام الله للتوزيع والنشر	00970 /22980800	00970 /22964133	wael.kassess@rdp.ps
13	اليمن	القائد للنشر والتوزيع	00967 /1240883	00967 /1240883	alkaidpd@yahoo.com
					daralryan_cup22@hotmail.com


MOHAMED KHATAB


المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب



الأشياء تنادينا - قصص

يعتبر خوان خوسيه ميّاس (1946) أحد أهم كُتّاب إسبانيا في الأربعين عاما الأخيرة، إذ استطاع الكاتب الذي يطلقون عليه «كافكا الإسباني» أن يغير مسار السردية الإسبانية بمنحها كثيرا من الخيال والغرائبية، وبتطعيمها بجماليات فنية لم تعرفها من قبل. وعبر الاستبطان والتحليل النفسي، وعبر الهواجس الذاتية والوساوس، والأفكار الخيالية البرّاقة والطازجة، استطاع الكاتب أن يشيد عالما موازيا يهدم فيه الحدود الفاصلة بين الواقع والخيال، الواقع والحلم، الواقع والفانتازيا، ليقدم بسرديته عالما نعرفه لكننا أبدا لم نلتفت له. فاستحق بذلك أن يلفت نظر النقاد والقراء والباحثين الأكاديميين، وأن ينال أهم الجوائز الإسبانية مثل جائزة «نادال» و«بلانيتا» وجائزة النقد.

وفي مجموعته القصصية «الأشياء تنادينا» ينطلق ميّاس من حادث واقعي بسيط ليصل به إلى أشد الأفكار غرابة. إنه التكنيك الفني الذي يستخدمه ليكتشف غرابة الواقع، ويتعمق من خلاله في الذات الإنسانية عبر بوابة «الغريب»، لنتعرف عبر القصص على أنفسنا، ونعيد من خلالها تعريفاتنا للعالم. هنا تتجلى، كذلك، أساليبه الفنية وجمالياته المميزة التي صنعت منه «مايسترو» القصة الإسبانية. فالمألوف ليس مألوفا كما نظن، والأشياء ليست دائما كما تبدو، فخلف التفاصيل الصغيرة تكمن الأسئلة الكبرى، والقصة «الميّاسية» تفتح للقارئ أفقا جديدا لمشاهدة كل ذلك، واختباره.

بشكل ما، يعتبر خوان خوسيه ميّاس نتاجا لتلاقح كل ميثولوجيات العالم، وابنا بارا للفانتازيا العربية واللاتينية والأوروبية، لكنها الفانتازيا الحديثة، المرتبطة باليومي والمعاصر.



ISBN: 978-99906-0-589-1

رابط بيع الإصدارات على الموقع الإلكتروني